

أبو العتاهية  
رائد الزهد في الشعر العربي

- ٤ -

تأليف  
أسامة عانوتي

رسالة مرفوعة الى الدائرة العربية  
في الجامعة الاميركية في بيروت لدرجة  
ماجستير في الآداب .  
بيروت - لبنان -  
حزيران سنة ١٩٥٧

## المقدمة

كان للزهد في ادب العرب، ولا سيما في الشعر منه، شأن كبير . ذلك ان الزهد نفسه كان ذا شأن في حياتهم . بيد ان الدراسات الحديثة لم تتناول موضوع الزهد كما ينبغي في الشعر بما يستحقه من اهتمام ودرس، فظل مهملا او كالمهممل .

وموضوع هذه الاطروحة، ابو العتاهية، من اعلام ادباء الزهد الذين لم توفهم البحوث حقهم، ولم تعرض الى ادبهم بالدرس العميق . وغرض هذه الاطروحة، قبل كل شيء، ان يكشف عن نزعة الزهد في ادب هذا الشاعر وان يتبين معالمها من خلال شعره .

ولا نزم اننا احطنا - في هذا البحث القصير المتواضع - بكل شيء عن الرجل وزهده . فالواقع، الذي لا نتواضع فيه ولا نجامل، ان في البحث فجوات عديدة . وعزائنا وذرنا اننا نبهنا الاذهان الى هذا الموضوع الشائك المعمل، ووضعتنا لبنة صغيرة قد تحمل سوانا من طلاب الحقيقة وخدامها على ان يوطدوا دعائمها ويقبضوا فوقها بنيانا متينا شامخا .

ولا محيص لنا من الاعتراف بان هذا الموضوع ليس فيه من عناصر التشويق شيء كثير . فصبغته الجفاف، وطبيعته السأم بوجه الاجمال . فهو في الزهد، والتنفير من الحياة، والاتعاظ بالموت، وقل ان يطرب احدا صوت الندب والنعي . ولكن الحقيقة اطرب من هذا كله وارفع، واجدر بالاصفاء ولو تعاورتها الاصوات المنكرة، او حفت بها الاجواء القاتمة .

ولقد خيل الينا ان في هذا الموضوع حقيقة تفرس قد سميتها ان يكشف عنها وتجلس . ولا يضيرنا ان لا نكون قد بلغنا الغاية، وحققنا الغرض، ما دام رائدنا محاولة الوصول اليه .

اما التوفيق فولييه الله . وحسب هذه الصفحات القليلة المتواضعة، ان تكون جندا معبأة لخدمة الحقيقة والادب العربي . والجند لا تسأل وهي تمضي الى المعركة اتظفراهم تهنم . وحسبها من فخر، هذا الجهاد الواجب المقدس .

## الخلاصة

قلت في مقدمة هذه الأطروحة ان موضوعها قد كان نصيبه الاهمال والصد من الباحثين لغير سبب ، بالرغم من مكانة ابي العتاهية والزهد في الادب العربي .  
وابديت بعض اسباب هذه الجفوة التي يبدو لي ان قوامها عامل نفسي يباعد بين الباحثين وبين هذا الموضوع المسرف في الرصانة والجد الى حد الجفاف والى حد اليأس احيانا .  
وارتأيت تمهيدا للبحث وتوضيحا ، ان يتناول القسم الاول دراسة العصر الذي عاش فيه ابي العتاهية والذي كانت فيه بذور النزعة الزهدية في احضان تربة منه صالحة ، فما لبثت ان نمت واينعت واثت اكلها طائفة كبيرة من زهاد التاريخ العربي كابراهيم بن ادهم ، وشقيق البلخي ، ورابعة العدوية والغضيل بن عياض وغيرهم .  
وبيئت ان حركة الزهد هذه ان هي الا مظهر من مظاهر الردة الروحية التي كانت تعبيرا سلبيا - ان شئت - عن النقطة على تطور العصر جملة ، في الاجتماع كما فسي السياسة والفكر . واسترسلت بعض الشيء في استقصاء عوامل هذا التطور ومظاهره، وهزوت الى ذلك جميعا هذه الردة الروحية . ففي الحياة الاجتماعية التي اعان على تطويرها الفتح والاختلاط بالام الاجنبية المغلوبة ، كان ثمت ما يغري بالزهد من فسق وخلعة ومجون وترف شره . وفي الحياتين السياسية والفكرية كثير مما نقص عليه الجمهور : المشادات الكلامية وينبوعها الخلافات الحزبية والسياسية ، ونشوء الفرق الكلامية ، والثورات الداخلية ، والحروب الخارجية المتعددة .

اما في القسم الثاني من البحث فقد ربطت بين نشأة ابي العتاهية ونزعة الزهدية التي استعرضتها بتفصيل في القسم الثالث ، بعد ان التفت بين خيوطها المتناثرة ، المتناثرة في شعره الزهدي . ولقد بدا لي حينذاك ان شعره الزهدي يدور في فلكين متميزين : فلك المجتمع والناس اللذين ساء ظنه بهما فرآهما شرا كلهما وهيويا فبسط سواتهما وذمهما . وفلك الحياة والموت حيث يمتلكه الخوف ويستولي عليه عقيدته الخاصة في الغناء ، فيسرف في التشائم ويشتط في القنوط ويصور الحياة اسوأ صورة واقتنها وابتعها

على اليأس ، ويدعو بقوة وحنم الى التخلي منها ، حتى اذا خيل الي ان الصورة عنه قد اتضحت  
معالمها وبانت قسماؤها ، زعمت لنفسي انني قادر على ان اطمس حكما عادلا منصفاً على زهد  
هذا الرجل الذي تضاربت فيه الاحكام وتباينت الآراء . وفحواه ان الرجل لم يكن في معاشه  
زاهدا كالزهاد المعروفين ، ولكنه كان زاهدا فنيا . ومثل هذا الشعر الزاهد لا ينبعث  
دونما احساس داخلي الا وهو يأسه من الحياة ، او قل فئسه الخاص لها . وهل اليأس الا  
بعض الزهد او الجانب النظري منه ؟ فاذا انتفت عنه صفة الزهد العملي ، فان نزعة  
الزهد كامنة فيه اصلا . وهذا شعره الكثير في الزهد لا يعقل ان يكون صنعة جميعا . فان  
صبغة الزهد فيه قوية ، واضحة . ومكانة ابي العتاهية في عالم الزهد انما ترتكز على  
هذا الشعر الذي كان يمثل نزعة مضادة لنزعة سائدة في عصره هي نزعة اللهو والمجون . لقد  
كان للفسق والعبث في عصره شعراء تغنوا بهما واغروا ، ولكن الصلاح والجد لم يُقدّر لهما  
غير ابي العتاهية ينشد لحنهما نشيدا قوى النبرات ، ميزا لاداء . فهو قد " شعر الزهد "  
في زمنه ونهج في ذلك نهجا مستحدثا . فقد كان قبله شعر زاهد كثير ، ولكنه جدد في  
ذلك وابدع ، واتى بما لم يأت به قبله . بسط معاني الزهد وفلسفها وعرضها ، ثم  
راح يبدى فيها ويعيد بالوان واشكال مختلفة . فهو اذن جدير بالراحة من وجهتيين ،  
من الوجهة الخلقية كداعية الى حياة غير الحياة التي كان معاصروه يدعون اليها ويغرمون  
بها ، ومن الوجهة الفنية كشاعر بارع ، مطبوع يعبر عن هذه الدعوة الجديدة بادب طيِّع ،  
سائح .

وحسبت ان اختتامي البحث بمختارات من زهد ياتيه ، تثبت ما ذهبت اليه من تصوير  
لنزعة الى الزهد ويأسه من الحياة ، فكان القسم الاخير من الاطروحة عبارة عن مقتطفات  
مصنفة من شعره الزاهد ، كان هي فيها ان اضم اطراف هذه النزعة للقارئ ما وسعني ذلك  
عليه يجد فيها بعض الغناء من ديوانه ، وبعض العون في استكمال صورته في ذهنه .

## - الباب الاول -

- :-

### ابو العتاهية واحوال عصره

- - - - -

غرض هذه الرسالة كما اشرنا في المقدمة تبين نزعة الزهد في ادب ابي العتاهية من خلال شعره . ولا يتسنى ذلك ما لم نتعرف الى بيئته وعصره ، ونقف على الاجواء التي عاش فيها ونربط بينها وبين نزعة الزهد التي ذاعت في ذلك العصر ، والتي اعتنقها ابو العتاهية وتمثلت في شعره . هذه النزعة التي شك في صدقها قم ، وآمن بصدقها آخرون .

مجمل الوصف لعصره كلمتان : خير وشر ، صلاح وفساد . كان خير العصور ، وكان شر العصور . كان عصر الايمان وكان عصر الشك ، كان عصر الصلاح وكان عصر الفساق ، كان عصر الارتقاء وكان عصر الانحطاط . وليس يعنيننا من وصف العصر الا الصورة الخاطفة الواضحة نستعين بها على وصف البيئة التي شب فيها شاعرنا وترعرع . ولد ابو العتاهية ومات في العهد العباسي الاول ، ورأى ازهى سني الحكم العباسي واخسرها ، واحفلها بالتطورات السياسية والاجتماعية والفكرية . ومرد هذا التطور الى جملة عوامل نذكر منها في الفصل التالي ما كان ذا تأثير واضح في نزعة الزهد .

## - الفصل الاول -

### عوامل التطور في الحياة العباسية

---

اهم هذه العوامل على ما بدا لنا اربعة هي :

١ - التناحر العنصرى

٢ - الازدهار الاقتصادى

٣ - الاغراق في الفنون الحضريّة

٤ - التقدم العلمى وتسرب الافكار الفلسفية .

(١) - التناحر العنصرى :

---

والشعبوية هي الصورة التي تمثل فيها هذا التناحر . ومعنى الشعبوية كما جاء في " لسان العرب " التهمين من شأن العرب والخط من قدرهم " والشعوي هو الذى يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم " (١) ويرد التسمية قم الى كلمة الشعوب في قوله تعالى : " يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ " (٢) . معتمد على ان المقصود بالشعوب بطون العجم ، والقبايل قبائل العرب (٣) ولم تكن هذه النزعة بارزة في عهد بني امية الذين نعتت دولتهم بصفاء العروبة . ولكنها قويت في حكم بني العباس واشتدت . فقد كان الموالي في الدولة الاموية يسامون الخسف والهوان ، اذا استثنينا من ذلك عهد عمر بن عبد العزيز الذى حاول نصفه الموالي واخذهم بتعاليم الاسلام ولكنه كان يلام ويعارض كلما اتى شيئا من ذلك القبيل بدافع من العصبية المتشككة

---

(١) لسان العرب ( مادة شعب )

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٣

(٣) ضحى الاسلام ٥٢/١

في صدور الامويين كما حدث يوم ولّى مولى على وادى القرى (١) كانت ايدى النبط منهم مثلاً توسم بالمشراط (٢) ، وكانوا ينفون من واسط والبصرة (٣) ، ولكن الامر تبدل فسي الدولة العباسية التي قامت على اكشاف الاعاجم من الغرس ومساعدتهم واستحالت "عجبة خراسانية" كما وصفها الجاحظ (٤) . واذا هي وقف على العجم والبرامكة (٥) . وأثار هذا حفيظة العنصر العربي وسخطه فكانت بين العنصرين مفاخرات ومناظرات في الشعر كلها في النثر ، بل حتى في الحديث والفقه اللذين دس فيهما الفريقان .

واتضح هذا الصراع في مقتل ابي مسلم وفي نكبة البرامكة ، ثم في الفتنة بين الامين والمؤمن ، وما اعقب ذلك من ثورات واحزاب . والقضاء على ابي مسلم اقرار من العنصر العربي يتفاهم خطر العنصر الفارسي ونفوذه . وهذا جعفر بن حنظلة يقول لأبي جعفر المنصور بعد ان فتك بابي مسلم " يا امير المؤمنين ، عدّ هذا اليوم اول خلافتك " (٦)

وما كاد هذا الصراع عهداً قليلاً حتى تبدى مرة أخرى أعنف وأفجع في نكبة البرامكة على يد الرشيد الذي وثقهم من نفسه وقتلهم امور ملكه فقال ليحيى البرمكي :

" قد قلدتك امر الرعيمة واخرجته من عنقي اليك فاحكم في ذلك بما ترى من العدل ، واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وامض الامور على ما ترى . ودفع اليه خاتمه " (٧)

وكان الحكم مساجلة بين العرب والغرس ، ومنازعة بينهما . قال الرقاشي

( وقيل ابونواس ) عقب نكبة البرامكة :

ودونك سيفاً برمكياً مهنداً  
اصيب بسيف هاشمي مهنداً (٨)

- |                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| (١) ضحى الاسلام ١ / ٤١      | (٥) ابن خلدون ١٦٠           |
| (٢) شرح نهج البلاقة ١٣٣ / ٤ | (٦) مروج الذهب ١٨٤ / ٦      |
| (٣) محاضرات الادباء ٢٢٠ / ١ | (٧) الطبري الجملة ٣ الجزء ١ |
| (٤) البيان والتبيين ٣٦٦ / ٣ | صفحة ٦٠٣ - ٦٠٤              |
|                             | (٨) ابن الاثير ١٢٢ / ٦      |



كان العرب يحسون انهم مغبونون • فالدولة كلها في ايدي البرامكة ، والعرب  
مبعدون عنها ، مقصيون عن المناصب الكبرى فيها • قال ابن خلدون : " . . .  
وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجافهم اموال الجباية حتى  
كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه • فغلبوه على امره ، وشاركوه  
في سلطانه • ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه ، فعظمت آثارهم ، وبعد صيتهم ،  
وعمرها مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولد هم وصنائعهم واحتازوها عن سواهم من  
وزارة وكتابة وقيادة وحجابه وسيف وقلم • يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى  
بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل  
الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لكان ابيهم يحيى من كفاة هارون ولي عهد  
وخليفة . . . فتوجه الايتار من السلطان اليهم • وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاء  
عندهم وانصرف نحوهم الوجوه . . . " (١)

وجاء الخلاف ، آخر الامر ، بين الامين والمأمون بعد فترة قصيرة من الراحة من  
عناء هذه الحرب العنصرية - ان صح التعبير - يشطر المجتمع العباسي شطرين :  
ينتظم احدهما الفضل بن سهل الفارسي يناصر المأمون الفارسي الام ، وينتظم الآخر  
الفضل بن الربيع العريبي يناضل عن الأمين العريبي الام • وعدت نصرته المأمون نصرته  
للفرس (٢) • ولكنها نصرته لم يهنا بها الفرس طويلا • فقد تكشفت للمأمون سياسة  
الفضل الفارسية البعيدة الاهداف والاغراض ورأى ان عرشه يتكزح وان الرأي العام العربي  
يتهدى له مغضبا ، ويوشك ان يخلعه (٣) • ففضى على الفضل (٤) • وسواء كان نسي  
ذلك مختارا ام مرفعا لينقذ ملكه ، فقد كان تدبيره خطوة اخرى خطاها هذا التناحر العنصري  
الذي اثار كثيرا من العقلاء ، وهو صورة لهذه الحياة العنصرية الحافلة بالقلق والمناحرات

(٣) ابن الاثير ٦ / ٢٣٠ والطبري جم ٣

ج ١٠ / ١٠١٣

(٤) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠٢٥ - ١٠٢٧

(١) ابن خلدون ١٤

(٢) ضحى الاسلام ١ / ٤٤



التي تضافرت جميعا واغرت فئة من الناس باعتزالها متوسلين لذلك بنزعة الزهد التي  
سنعالجها بتفصيل في الكلام على زهد ابي العتاهية .

## ( ٢ ) - الازدهار الاقتصادي والبذخ :

اتسعت رقعة الملك العباسي في هذا العهد حتى بلغت اكثر من ضعفها  
مساحة اوروسيا . واستتب ذلك بالطبع وفرة الخراج . فثروة السواد في اواسط القرن  
الهجري الثالث يقومها زيدان بالنقد اعتمادا على ابن خرداذبة فتساوى ٧٨٣١٩٣٤٠ (١)  
درهما بالذهب العباسي . فليس بالبذخ اذن ان تتضخم ثروات الافراد . والواقع  
ان هذه الثروات لم تتكون طرفة . وانما بدأت تنهيا منذ عصر بني امية ثم أخذت تنمو  
بمواضع الاسلامي حتى بلغت ما بلغت في العصر العباسي ولا سيما أيام المأمون .  
فعبد الرحمن الناصر مثلا كان له خمسة عشر مليون دينار (٢) . وعبد الرحمن بن محمد  
خلف عشرين مليونا . فليس غريبا ان يكون للخيزران مائة وستون مليون درهم (٣) ، ولمحمد  
بن سليمان خمسون مليون درهم ، الى جانب الدور والضياع وان يغل كل يوم مائة الف درهم (٤) .

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٥١ / ٢ - والدينار وحدة  
نقد ذهبية سكتها العرب على غرار الدينار المرقلي  
وهي تزيد وزنا على نصف الليرة الانكليزية بقليل ( ٦٦  
قمة ) . وكان الدينار يصرف اول الامر بعشرة دراهم  
ثم اخذت اسعار الفضة تتقلب بحيث بلغ احيانا  
عشرين درهما .

(٢) ابن خلدون ١٥٧ - ١٥٨

(٣) مروج الذهب ٦ / ٢٨١

(٤) مروج الذهب ٦ / ٢٨١

كانت الاموال تتدفق على الدولة ، وعلى فئة قليلة من السكان . وكان البذخ في الهبات من علامات هذا الرفه الاقتصادي . كانت الف درهم ثمن لكل بيت من تصيدة ينشدها مروان بن أبي حفصة للمهدي (١) ، ومليون درهم هدية المأمون الى طبيبه (٢) ومائة الف درهم ثمن الصوت يغنيه اسحق الموصلي يحيى بن خالد (٣) . ولكنه رفه لم يكن عاما بل كان وقفا على طبقة معينة من المجتمع هي طبقة افراد البيت المالك والوجهاء . ففي الحين الذي تبلغ فيه غلة محمد بن سليمان مائة الف درهم كل يوم يعترضه مجنون فيقول له : " يا محمد أمن العدل ان تكون غلتك في كل يوم مائة الف درهم ، وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه ؟ " (٤) . فقد كانت الطبقة قائمة فعلا في المجتمع العباسي . وهذا يحيى بن خالد يعيب على بناء ابنه أنه مخالط دور السوق (٥) . فأقطاعية الخلفاء والحكام والوجهاء ، والطبقة ، وتباين الثروات وسوء توزيعها ، كل ذلك كان من عداد العوامل التي أدت الى الاغراق في الملاذ والاقبال على المتع أقبالا نهما أثار الفقراء والمعدمين فنقموا كما أثار الانتفاء فتزهدوا وقنعوا (٦) ، حتى قال بعض الزهاد :

|                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| قل لمن أظهر التنسك في النسا | من وأمسى يُعَدُّ في الزهاد |
| ألنم الشجر والتواضع فيبـ    | ليس بغداد منزل العباد      |
| ان بغداد للملوك محـ         | ومناخ للقاري الصياد (٧)    |

(١) الاغانى ٨٧ / ١٠ - ٨٨

(٢) طبقات الاطباء ١٢٨ / ١ - ١٢٩

(٣) حلية الكميت ٧٣

(٤) مروج الذهب ٦ / ٢٩٠

(٥) عيون الاخبار ١ / ٣١١

(٦) ضحى الاسلام ١ / ١٣٧

(٧) معجم البلدان ١ / ٦٩٠

وقال آخر :

بغداد أرض لاهل المال طيبة      وللمفالي سد دار الضحك والضحيق  
أصبحت فيها مضاعا بين أظهرهم      كأنني مصحف في بيت زنديــــــــــــق (١)

ولنستعمل على ايضاح ذلك بشرح العامل الثالث

### (٣) - الاغراق في الفنون الحضريّة :

حملت الفتوح الاسلاميّة فيما حملت الرقيق من جوار وغلما ن • فشاعت تجارته  
كما هو مشهور • وتفنن النخاسون في جمع الجوارى والعناية بهن وغالى الناس في  
اثانهن • ويبدو أن المزاج العربي كان ميالا اليهن ، فقال احدهم : " عجبت  
لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل ؟ ولمن احفى شعره كيف اعفاه ، وعجبا لمن  
عرف الاماء كيف يقدم على الحرائر ؟ " (٢) • فقد كان ورود هن على المسلمين ورودا  
لالوان من الجمال لا عهد لهم بها : روميات ، وحبيشيات ، وتركيات ، وسودانيات ،  
وهنديات الخ • • • فتنافسوا في اقتنائهن وتهادوهن ، وكان عند أم جعفر منهن  
كثيرات " • • • عمت رؤوسهن وجعلت لهن الطرز والاصداغ والاقبية والبستهن  
الاقبية والقراطي والمناطق فماست قدودهن وبرزت اردافهن وبعثت بهن اليه (ابنها) ،  
فاختلفن بين يديه فاستحسنهن ، واجتذ بن قلبه اليهن ، وبرزهن للناس من الخاصة  
والعامة ، فاتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطمومات والبستهن الاقبية والمناطق  
وسموهن الغلاميات " (٣) • والرشيذ بذل ثلاثين الف درهم في مغنية اسمها  
عنان (٤) • وقيل أن ابنه الامين اشترى جارية بملء حراقة ذهبيا أى بما يقم  
بعشرين مليون درهم (٥) •

(٤) العقد الفريد ٦ / ٨٠

(٥) الاغاني ١٥ / ١٤٥

(١) معجم البلدان ١ / ٦٩٠

(٢) العقد الفريد ٦ / ١٢٨ - ١٢٩

(٣) مروج الذهب ٨ / ٢٩٩

ولم يكن هذا التهاك على الجوارى وفقا على الخلفاء وحدهم ، فقد كان لابراهيم الموصلي المغنسي عدد كبير منهم بلغ ثمن أحداهن ثلاثين ألف دينار ، وكان لرجل اسمه عون الخياط جارية باعها بمائة ألف دينار <sup>(١)</sup> . وكانت الجوارى تورث فيما يورث من متاع ومال <sup>(٢)</sup> . فلا غرو ان يكون تزواج بأعجبيات ، فأهبات بعض الخلفاء كن من الاعجبيات ، كأم المنصور والمأمون والمعتصم وغيرهن <sup>(٣)</sup> . ولا غرو ان يكون لهؤلاء الجوارى أثر كبير في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية ، وفي نشر الخلاعة والمجون بوجه خاص <sup>(٤)</sup> . ولقد كانت مجالس اللهو والطرب ميدانا لهذا السبي

” دعاني المأمون وعنده ابراهيم بن المهدي ، وفي مجلسه عشرون جارية قد اجلس عشرا عن يمينه وعشرا عن يساره ومعهن العبدان يضرين بها ” <sup>(٥)</sup> . ونسي مجلس آخر كان بين يديه عشرون وصيفة رومية ” منرات قد تزيّن بالديباج الرومي وعلقن في اعناقهن صلبان الذهب وفي ايديهن الخوص والزيتون . . . فلما أخذن الطرب من رقصهن وغنائهن نشر عليهن ثلاثة الاف دينار <sup>(٦)</sup> .

وكان لهؤلاء الجوارى اثرهن في تطوير الحياة الاجتماعية فبات لمجالس الانس آدابها وظرفاؤها ، ودخلت في الغناء الوان جديدة ، وتلقح المجتمع العباسي كله بتراث الامم التي تنتمي اليها هذه الجوارى . فاذا رأيت أن أم المنصور ترصع خنثها بالجواهر <sup>(٧)</sup> وتتخذ الآلة من الذهب والفضة المكلفة بالجواهر وتبالغ في ملبسها

(١) الطبري ج ٢ ج ١١ / ١٣٣٢

(٢) الاغانى ٢٢٢ / ٥

(٣) المعارف ١٨٨ / ٢٠٠

(٤) ضحى الاسلام ١ / ٩٢

(٥) الاغانى ٢٨٥ / ٥

(٦) الاغانى ١٣٨ / ١٩ - ١٣٩

(٧) مروج الذهب ٢١٨ / ٨

حتى تنفق على ثوب واحد خمسين ألف دينار، وتتخذ القباب من الفضة والابنوس  
والعندل وتوشىها بالديباج والحرير وتوقد شمع العنبر، وإذا رأيت أن الناس قد  
تشبهوا بها <sup>(١)</sup>، فأغز ذلك الى هذا السببي من الجوارى اللاتي اتين الى  
مجتمع العباسيين ببدعة الثياب الموشاة بالذهب، او المزدانة بالاشعار، والنعال  
المزخرفة المحلاة بالكتابة <sup>(٢)</sup>.

اما الغلمان فلقد ملأوا القصور . وهذا الامين صرف اليهم همه حين ولتي  
الخلافة فأرسل في طلب الخصيان " وغالى بهم وصيرهم لخلوته في ليله ونهاره،  
وفرض لهم فرضا سماهم ( الجرادية ) وفرضا من الحبشان سماهم ( الغرابية )  
نقال احدهم . . .

لقد اتييت للخصيان بعملًا تحمل منهم ثمم البسوس <sup>(٣)</sup>  
وكان من اثر هؤلاء الخصيان ان فشت ظاهرة حب الغلمان التي تعزى الى  
ازدياد النفوذ الفارسي في ذلك العصر <sup>(٤)</sup> . فقد ذكر الطبري ان الامين انصرف  
بغلمانة عن النساء " ورفض النساء الحرائر والاماء حتى رمي بهن . ففي ذلك يقول  
بعضهم :

وما للغانميات لديه حظ  
اذا كان الرئيس كذا سقيما  
سوى التقطيب والوجه العبوس  
فكيف صلاحنا بعد الرئيس <sup>(٥)</sup>

(١) مرجع الذهب ٢١٨/٨

(٢) الموشى ١٢٥/٢ وما بعدها وصفحة ١٦٥ - ١٩٢

(٣) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٥٠ - ١٥١

(٤) الحضارة الاسلامية ١٠٨

(٥) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٥٠ - ١٥١

وعمت العصر موجة من التهمك والمجون والخلاعة • وكان بعض الملاح والعقلاء  
يبدلون جهدهم في صد هذا التيار القوي بالدعوة الى التقى وبالتزهد بشؤون الدنيا  
وملذاتها الانيمية (١) .

#### (٤) - التقدم العلمي وتسرب الافكار الفلسفية :

كان لاختلاف عناصر السكان وتباين اقاليمهم أثريين في تسرب الثقافات الاجنبية  
الى العباسيين • ويعود الفضل الاكبر في وصل العباسيين بالثقافة الفارسية الهندية  
الى مدرسة جنديسابور • فقد كان المنصور يستدعي رئيس اطبائها جورجيس بن بختيشوع  
لمعالجته (٢) ، والرشيدي يعزل جبريل بن بختيشوع بانشاء بيمارستان في بغداد  
على غرار بيمارستان جنديسابور (٣) • اما الثقافة اليونانية فقد جاءتهم من الاسكندرية  
وحران على يد السريان ولا سيما بطريق بيت الحكمة في بغداد • ونخص بالذكر فلسفة  
افلوطين المعروفة باسم الافلاطونية الحديثة ، وما خلفته من اثر في الصوفية الاسلامية •  
وسنرى فيما بعد ان الثقافة اليونانية قد أثرت في الحياة الفكرية تأثيرا منقطع النظير •  
وحسبنا هنا أن نقول أن جماعة الفلاسفة أمثال الفارابي وابن سينا وابن رشد ، وجماعة  
المتكلمين الذين كان لهم نصيب وافر في تطوير العصر وأشاعة القلق الروحي فيه ،  
قد أقبلوا على النقاش والجدل في المجتمع العباسي مشبعين بتراث اليونان وفكر اليونان •  
ذلك القلق الذي حمل نفرا من الملاح على اعتزال الحياة العباسية • فقد كانت المشادات

(١) ضحى الاسلام ١٠٣/١

(٢) طبقات الاطباء ١٢٣/١

(٣) طبقات الاطباء ١٧٤/١

الكلامية والفلسفية على أشدها ، وكانت موضع استهجان كثير من الروعين أو نعمتهم  
 كما سيوضح من سياق الحديث عن الحياة الفكرية . وكذلك الثقافة الهندية فقد  
 اعارها العلماء نصيبا وافرا من الاهتمام ، ولا سيما الحساب ، والعقائير . وهذا ابن النديم  
 يذكر طائفة من الكتب الهندية المشهورة التي نقلت الى العربية (١) . ومن هذه الثقافة  
 الهندية اقتبست الصوفية فكرة الفناء الروحي ( النارانا ) وكذلك الصبغة التي اصطبغ  
 بها الزهد حتى تحول من نزعة الى فلسفة (٢) . ولقد ظهرت هذه الثقافة في عقيدة  
 التناسخ التي دانت بها بعض الفرق الدينية ، وفي قول السبئية بتناسخ الجزء الالهي ،  
 وفي جماعة النصيرية التي تزعم ان الذين لا يؤمنون بعلي يرتدون " جمالا او بغالا او حميرا  
 او كلابا او نحو ذلك من اصناف الحيوان " (٣) . وصاحب الاغانى (٤) يذكر مذهب  
 السمنية الذي كان شائعا في ذلك العصر وهو من المذاهب الهندية القائلة بالتناسخ .  
 ولم يكن الاقتباس من الهند في الروحانيات فحسب ، ولكنه كان كذلك في الرياضيات والفلك  
 والادب ، وفي الحكم والطب بوجه خاص .

ونشطت حركة الترجمة في العلم الاعجمية منذ العهد الاموي على يد خالد  
 بن يزيد ، ولكنها كانت محاولات فردية تقتصر على العلم العملية ولا تتعداهما  
 الى العلم العقلية (٥) . غير انها اتسعت في العصر العباسي ، فترجمت الكتب في  
 التجسيم والطب . وكان لتشجيع الخلفاء اكبر الفضل في رواجها حتى قيل ان المأمون  
 كان يمنح المترجم زنة ما يترجم ذهباً (٦) . ولقد عثر الرشيد في حروبه في انقرة

(١) الفهرست ٣٠٥ ، ٣١٥ - ٣١٦

(٢) امراء الشعر ٥٧

(٣) ضحى الاسلام ٢٥٣/١

(٤) الاغانى ١٤٧/٣

(٥) ضحى الاسلام ٢٨٤/١ - ٢٨٥

(٦) وجمع تاريخ التمدن الاسلامي ١٤٣/٣



وعمرية وسائر بلاد الروم على كتب كثيرة حملها الى بغداد وعهد الى طبيبه يوحنا بن ماسويه بترجمتها (١) . وهو الذي الما بترجمة كتاب اقليدس والمجسطي .  
 الا أن عهد المأمون كان أكثر عناية بكتب الفلسفة . فقد تعددت الفرق والآراء الدينية في القرن الثاني ، وظهر مذهب الاعتزال وكثر المتشيعون له ، وكانت قضية خلق القرآن مستحوزة على اهتمام وعقيدة ، يعاقب من لا يدين بها ، فيعقد المجالس وينظر الفقهاء دفاعا عنها وانتصارا لها (٢) .

ووضعت في هذا العصر اسس كل العلوم تقريبا : جمع الحديث وحققه ، ودرس النحو ، ودونت العروض ، وأقبل العلماء على الشعر يجمعونه وألفت المعاجم ووضعت الكتب في الفقه والتاريخ والسير والمغازي .

وهكذا ترى انه طرأت على الحياة العباسية جملة عوامل أدت الى تطويرها وتوجيهها وجهة جديدة لم تعرض الناس جميعا ، وانما جعلتهم فريقين : فريقا يقبل عليها وينهل من معينها ولذا انها . وفريقا ينقم عليها انها استحدثت وأبدعت ما لم ينزل الله به من سلطان . فلننظر اذن في مظاهر تطور الحياة العباسية بعد ان اجملنا الكلام في اهم عوامل هذا التطور .

(١) طبقات الاطباء ١ / ١٧٥

(٢) حياة الحيوان ١ / ٧٢

## - الفصل الثاني -

### مظاهر التطور في الحياة العباسية

---

لا معدى لنا بعد أن ألمنا بابرز عناصر تطور الحياة العباسية من أن نستعرض بعض مظاهر هذا التطور المتمثلة في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية العباسية .

#### ( ١ ) - الحياة السياسية :

---

خلاصة ما يقال في الحياة السياسية في العصر العباسي الاول ، انها حياة قلقة مضطربة ، الشعبية على اشد ما تكون ضراوة بين العرب والفرس . وقد اندست في شتى مناحي الحياة . تسترت تارة بالادب والتشيع والحديث والفقه ، واعتصمت تارة اخرى بحركات الزنادقة ، ولم تأل جهدا في استغلال الفتن الداخلية كما رأينا في الخلاف بين الامين والمامون . ويعتقد احمد امين ان كثيرا من الشعبين الفرس كانوا يحسون في اعماق انفسهم ، وهم يتكلمون بالعرب الذين يثرون في انحاء المملكة العباسية ، انهم انما ينتقمون من يوم القادسية المشهور (١) . وهو اليوم الذي سطر فيه العرب انتصارهم على الفرس وغلبتهم عليهم فتغنوا به طويلا . وظل الفرس يتحسسون المهانة والامس كلما تمثلوا هذا اليوم . فليس غريبا اذن ان نشاهد الشعبية <sup>واسعة</sup> كثير من الاحداث السياسية الداخلية او الثورات التي قامت بعد مقتل ابي مسلم كثورة سنبان ، وهو مجوسي من خراسان ، طالب بدم ابي مسلم وظاهره اهل خراسان ، والراوندية ، وهي جماعة من اتباع ابي مسلم قالت بان الروح التي كانت في عيسى بن مريم حلت في علي ثم في ولده الائمة واحدا واحدا . وزعموا انهم آلهة ، فاستباحوا الحرمات .

ومنهم من ألّٰه ابا جعفر المنصور • وظلّوا على دعواهم بالرغم من تنكيل المنصور بهم  
يظهرون تارة في فرقة الخرمية ، اتباع بابك الخرمي الذي ادعى الالهية ، وعاث  
في الارض فسادا ، وأباحوا المحرمات وقالوا بالاشراكية في النساء ، وعظموا ابا مسلم  
ولعنوا المنصور • وقوام ديانتهم النور والظلمة • وتارة بالمقنعية الذين خرجوا  
بزعماء رجل لقب بالمقنع لانه كان يضع على وجهه القبيح قناعا من ذهب ليخفي به  
قبحه • ادعى الالهية ، وقال ان صورة الله حلت بالتسليم في آدم ثم في علي ففي  
اولاده ثم في ابي مسلم ثم فيه من بعده • وكان يقول انه لا يظهر بصورته حتى  
لا يحترق عباده بنوره • وتعاليمه لا تختلف عن تعاليم سابقيه من اسقاط للفرائض واباحة  
لما حرم الله على المسلمين ، وقال بتعاليم مزدك (١) • والمتبّع للتاريخ العربي  
والاسلامي يرى ان اسلام الفرس وولايتهم للعرب لم يكونا صادقين ، فظلت تعمل  
في نفوسهم النزعة الدينية (٢) والقومية ، تنبعث كلما تنسّمت في الكيان الاسلامي  
والعربي رُوح الوهن والضعف ، كما شاهدنا فيما ذكرنا من احداث • فطاهرين الحسين  
وهو من قواد المأمون الذين ولاهم على خراسان ، ما كاد يستتب له فيها الامر ، حتى  
تفرد في الحكم ، فاسقط اسم المأمون من خطب الجمعة ، واسس الدولة الطاهرية ،  
وهي اول دولة استقلت عن الخلافة العباسية (٣) •

هذا من الناحية العنصرية • اما من الناحية الحزبية - بتعبيرنا الحديث -

فقد كان العصر قلما كذلك • تعددت فيه الاحزاب السياسية التي ترجع نشأتها الى

(١) تاريخ الاسلام السياسي ١٩/٢ - ١١٣ وفيه ذكر لمصادر عن هذه الفرق •

راجع بصورة خاصة الصفحات ١٠٢ ، ١٠٣ - ١٠٥ •

(٢) الصراع بين الموالى والعرب ٤٠

(٣) راجع الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٠٦٤ - ١٠٦٥

عهد معاوية ومن نهج نهجه من خلفاء بني أمية في توطيد دعائم الملك الأموي .  
 فالخلاف بين علي ومعاوية ، وانقسام المسلمين حزبيين : حزب علي وحزب معاوية ،  
 ونشوء الخوارج ، ثم تجدد الخلاف بين الشيعة والأمويين اثر مصرع الحسين —  
 ومأساة كربلاء ، وقيام حزب الزبيريين الذي دعا لعبد الله بن الزبير في مكة سنة  
 ٦٣ للهجرة ، فحزب العباسيين الذي قوض العرش الأموي — كل هذا أدّى  
 الى اضطرابات وفتن كثيرة — فالشيعة لم ينسوا حقهم في الخلافة ، فقد ثار محمد  
 بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ( النفس الزكية ) واخوه  
 ابراهيم في الحجاز والعراق ، في عهد المنصور ، وثاروا كذلك أيام الهادي بزعماء  
 الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي الذي قتل في موقعة  
 نـخ ، وبعده خرج يحيى وادريس ابنا عبد الله في الديلم والمغرب ، ومحمد بن  
 جعفر والقاسم بن ابراهيم بعدهما . وصحيح ان ثورات العلويين قد كُبتْ فـسي  
 الحكم الأموي ، إلا ان العلويين لم يعدموا الانصار والمؤيدين . فقد ثاروا ثورة  
 الحسين الشهيرة ، وثورة المختار في العراق ، ثم في خراسان حيث تحولت دعوتهم  
 من علوية الى عباسية . جميع هذه الثورات مهدت لثوراتهم في الحكم العباسي .  
 اما الخوارج وهم الفئة التي خرجت على علي لقبوله بالتحكيم بعد واقعة  
 صفين فكانوا اعداء الأمويين واعداء العلويين ، يرون ان الخلافة ليست وقفاً  
 إلا على الأكفأ من المسلمين . لا عبرة في ذلك لحسب او لثروة او لغير ذلك .  
 ولقد اصلوا بني أمية نارا حامية من ثوراتهم ، وكان ان تفاقم امرهم في عهد آخر  
 الخلفاء الأمويين مروان بن محمد فتثاروا بقيادة ابي حمزة في الحجاز وحضرموت .  
 ولم يتغير موقفهم في العهد العباسي ان لم يجدوا فيه ما يرضي عقيدتهم فسي شأن  
 الخلافة ، فظلوا في ثورات ، ولا سيما في حكم الهادي ، وكان منشأ الفرق الكلامية

من ذيول هذه الفرق السياسية من شيعة خوارج • وظهور المعتزلة مثلا يرجع الى قضية مرتكب الكبائر التي اثارها الخوارج بعد موقعة صفين • اذ حسبوا تلك الفتنة من صنع جماعة من المسلمين خرجوا ، في عرفهم ، على الايمان باسماهم نار هذه الفتنة وعدوهم من اصحاب الكبائر • واقبلت غير جماعة من جمهور المسلمين على هذه النظرية تشبعا لرسا وتحيفا • فانكرها نهم ، وتوسط في امرها آخرون ، واستقر الجدل عند الحسن البصري ، اذ تطورت الى بحث في ماهية الايمان ، وفي منزلة العمل من الايمان • فكان رأيه ان مرتكب الكبائر " ليس بمؤمن ولا كافر ولكنه وسط بين ذلك " (١) • بيد ان احد تلامذته ، وهو واصل بن عطاء ، لم يقنعه هذا الاجتهاد ، فقد كان يرى ان مرتكب الكبائر في منزلة بين المنزلتين : منزلة الكفر ومنزلة الايمان ، وانه فاسق ، معذب بالنار ، غير مخلص فيها • واعتزل مجلس استاذة الحسن فسمي واتباعه باسم المعتزلة •

والمرجئة نشأت كذلك نتيجة هذا الجدل الفلسفي الذي اثارته قضية مرتكب الكبائر ، وهي من ذيول مشكلة الخلافة ، فرأت هذه الجماعتان البحث في ذلك عبث لا طائل وراءه ، وان ارجاءه الى الله اجدى واحكم • وهكذا تطورت الخلافات السياسية الى خلافات فلسفية وفكرية • تطورت كما تطورت مذاهب اصحابها حتى غدت علما له طلابه ومعلموه - علم الكلام - • فالخوض في مسألة القضاء والقدر مثلا ، كان من نتائج الفتن بعد خلاف علي ومعاوية • فقد رأت طائفة من المسلمين ان عدل الله لا يبيح مثل هذه الفتن لانه لا يبيح الظلم ، وقالت بان المرء مخير بالتالي •

---

(١) راجع الملل والنحل للشهرستاني ٦٤/١ ، و٥٤ - ٣١٨ وأقرأ عن هذه الفرق في كتاب الفرق بين الفرق " للبغدادى في صفحة ٩٣ وما بعدها و ١١٠ وما بعدها • ولقد كان كتاب معالم الفكر العربي للدكتور كمال اليازجي رائدا في هذا البحث • (صفحة ٧ • وما بعدها ) •

وهذا اصل فرقة " القدرية " الذين اعتقدوا بان الحساب اذن باطل ما دام الله يسطر للناس اعمالهم ثم يحاسبهم عليها . ومقابل هذا الرأى في القدرة او الاختيار ، كان رأى آخر يقول بالقضاء او الجبر تعتقه طائفة الجبرية التي ترى ان الانسان مسبّر في كل شأن من شؤون حياته .

ولقد تطور الجدل طبعاً وكثر البحث في العقائد ، وتشعب ، واشيرت قضايا العقل والسمع والعدل والتوحيد والوعد والوعيد والصفات الالهية وخلق القرآن . وانقسمت الفرق فيما بينها شيئاً فشيئاً . فالمعتزلة انشعبت الى نحو ثلاث عشرة فرقة ، والخوارج الى عشرين تقريباً ، والشيعية الى زهاء ثلاثين ، والمرجئة الى ما يقرب من السبع (١) .

وما اعان على نماء هذا العلم ما جدّ في الحياة العباسية من تطور : فسي التفكير — فقد استراح المسلمون من عناء الفتح واحسوا طمأنينة الاستقرار والهدوء فقال عقلهم الى النظر والتأمل في قضايا لم يتّحّ لاسلافهم المسلمين الاولين بحثها والجدل فيها . واعان على ذلك ايضا ما تسرب من افكار دخليّة : فلقد اعتنق الاسلام اقوام مختلفون من ديانات مختلفة : يهودية ومسيحية ومانوية وزرادشتية وهابشية ، لم يتحللوا من عقائد هم الاولى ، فظلوا يفكرون فيها متأثرين بها وهم يناقشون في الدين الجديد الذي تقبلوه . ولقد كان من اغراض بعض هذه الفرق الكلامية كالمعتزلة مثلاً ، الرد على المخالفين والدعوة الى الاسلام (٢) . فكان لا بد لهم وهم يجادلونهم ويردون حججهم من ان يتهجوا نهجهم في المناظرة والنقاش فيطلعوا على عقائد سواهم ، وبعضها كان سلاحه الفلسفة والمنطق اليونانيّين ، ولذلك عرف ابن خلدون علم الكلام بقوليه :

(١) ضحى الاسلام ٣٤٨/٣ ولم يذكر الباء حث مصدر هذا التقسيم ولكننا عثرنا عليه في الملل والنحل للشهرستاني ٥٧/١ - ١١٢ ، ١٧٠ - ٢١٨ ، ٢٣٤ - ٣١٨  
(٢) ابن خلدون ٤٠٠ ، انظر ايضا ٤٠٧ - ٤٠٨

” هو علم يتضمن الحجاج عن الله قائد الايمانية بالادلة العقلية والرد على  
المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة ، وسر هذه  
 العقائد الايمانية هو التوحيد (١) . وانقسم الناس شيئا واحزابا بين معتزلة  
 ومرجئة واشعرية وخوارج وشيعة . وكل واحدة منها انقسمت فيما بينها كما ذكرنا .  
 والى جانب هؤلاء جماعة من الشكك متشعبين ثلاث شعب : واحدة شككت في الالهية  
 والنبوة واخرى اثبتت الاله وشككت في النبوة ، وثالثة آمنت بالالوهية والنبوة وشككت فيما  
 عدا ذلك . ملل ونحل عقائد لا حصر لها ، ورقعة شاسعة من الارض ، وامم متباينة شتى  
 وعقليات جديدة ، واخرى متجددة ، وكل هذا يؤدي الى مجادلة مناظرة وتفكير كما  
 رأينا . مما اضعف شأن الامة ، ففترت الحماسة الدينية ووقفت الفتوح واتجهت الجهود  
 الى اطفاء نار الفتن الدينية والسياسية . فمن حق جمهور الناس ان ينفر من هذه  
 المجادلات والمناظرات الكلامية التي لم يعتد بها ولم يمل اليها بطبعه . فابن خلدون  
 مثلا يعلق على علم الكلام قائلا : ” وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر  
 الى الاسباب والوقوف معها فانه واد يديم فيه الفكر ولا يحلومنه بطائل ولا يظفر  
 بحقيقة ” (٢) . فعنده ان النظر في الاسباب قد نهى عنه الشرع وانه كفر وانسه  
 امر بان تقربا لايمان الخالص العميق ” . . . فاننا الضامن له ان لا يعود الا بالخيبة  
 فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الاسباب وامرنا بالتوحيد المطلق قل هو الله احد . . . ” (٣)

---

(١) راجع ابن خلدون ٧-٨-٩-١٠-١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠-٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٥-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٨٧-٨٨-٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-٩٩-١٠٠

(٢) ابن خلدون ١٠١

(٣) ابن خلدون ١٠١



نقد قبول هذا العلم من جمهور المسلمين قبولا تعوزه الحفارة • فمالك بن انس يقول  
 " امض الحديث كما ورد بلا كيف ولا تحديد الا بما جاء به الآثار وما جاء به  
 الكتاب " (١) • ويقول عن الاستواء على العرش : " الاستواء معلم ، والكيف  
 مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة " (٢) •

اذن ، فقد كانت هذه الطفرة الفكرية موضع السخط والنقمة • وهذا احمد  
 بن حنبل يُبْتَلَى بقضية خلق القرآن وتنزل به المحنة المعروفة (٣) • وما ذلك  
 الا لون من ألوان هذا الصراع الفكري الذي تلبس لباس السياسة فيما بعد • وابو  
 يوسف القاضي يقول عن علم الكلام " من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال  
 بالكيمياء افلس ، ومن طلب غرائب الحديث كذب " (٤) • وقال ايضا : " طلب  
 العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم " (٥) • والامام الشافعي  
 يحذر الناس من هذا العلم فيقول : " لو يعلم الناس ما في الكلام من الاهواء لغروا  
 منه فرارهم من الاسد " • ولان يلقي الله تبارك وتعالى العبد بكل ذنب ما خلا  
 الشرك خير له من ان يلقاه بشيء من علم الكلام " (٦) • فقد حرم الفقهاء كالشافعي

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢٠١ / ٢

(٢) طبقات الشافعية ١٢٦ / ٣ • راجع ايضا شرح العيون ١٤٢ بنص يختلف اختلافا  
 يسيرا جدا •

(٣) راجع مناقب الايمان احمد بن حنبل صفحة ٣١٠ - ٣٤٠

(٤) عيون الاخبار ١٤١ / ٢

(٥) تاريخ بغداد ٦١ / ٢

(٦) حياة الحيوان ١١ / ١

ومالك وابن حنبل وسفيان واهل الحديث جميعا علم الكلام (١) . ألم يفت الشافعي بتفسير طالب هذا العلم : ألسم يعبده موجبا لغضب الله؟ " ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في علم الكلام . . . . وقال ايضا : " اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد انه من اهل الكلام ولا دين له " (٢) . اذن فالمجادلون والمتكلمون كفرة ، وحكم الشرع فيهم يصدره الشافعي نفسه ، " حكمي في اهل الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام " (٣) والامام احمد بن حنبل يرى رأى الشافعي " لا يفلح صاحب الكلام ابدا ، ولا تكاد ترى احد ينظر في الكلام الا وفي قلبه مرض " (٤) .

ولكن هذا الحكم القاسي لم يكن الحكم العام . كان ثمة جماعة من المفكرين وقفوا وراء هذا العلم يناصرونه ويشدون ازره ، وكان كذلك جماعة من الدارسين المشغوفين بهذا العلم الجديد .

اذن فالمجتمع العباسي فريقان في ذلك : فريق المتكلمين المتفلسف ، وفريق اهل السنة المتحفظ . ومنه الامام احمد الذي حكم على المتكلمين بالفشل والهوى ، يقاطع الحرث المحاسبي على ورعه وزهده لانه جادل علماء الكلام ويقول له : " ويحك . ألسنت تحكي بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ؟ ألسنت تحمل الناس بتعنيفك على مطالعة كلام اهل البدعة والتفكير فيه فيدعوهم ذلك الى الرأى والبحث ؟ " (٥) .

---

(١) حياة الحيوان ١١ / ١

(٢) حياة الحيوان ١١ / ١

(٣) حياة الحيوان ١١ / ١

(٤) حياة الحيوان ١١ / ١

(٥) حياة الحيوان ١١ / ١

وكيف يقبل الناس على مواطن الربا ، ويقرون مظان العدوى ، وكيف يقرأون اقوال المتكلمين وهم زنادقة لا تجوز لهم شهادة في عرف المحتجين بقول مالك " لا تجوز شهادة اهل البدع والاهواء " (١) . ولم يقف المتكلمون مكتوفي الايدي بالطبع . بل لقد هاجموا اصحاب الحديث وكذبوهم وسفهموا رواياتهم وحاولوا ابطال الحديث من الاساس . وقامت بين الفريقين مشادات (٢) . وتعدت النعمة جماعة الفقه والسنة الى الابداء .

قال الاصمعي :

واني لاغنى الناس عن متكلمي يرى الناس ضلالا وليس يمهتدي (٣)

وقال محمد بن بشير :

دع من يقرود الكلام ناحية فما يقرود الكلام ذو روع (٤)

وعبد الله بن مهعب :

...

|                          |                                |
|--------------------------|--------------------------------|
| فان مقالتهم كالظلالا     | ل يوشك افيأوها ان تزولا        |
| وقد أحكم الله آياته      | وكان الرسول عليها دليلا        |
| واوضح للمسلمين السبيل    | فلا تتبعن مواها سبيلا          |
| اناس بهم ربيعة في العصور | ويخفون في الجوف منها غليلا (٥) |

اهواء وفرق ومشادات . فاذا اضفت الى هذا الجوالعباسي المحمى بالمنازعات العرقية والكلامية والفلسفية ، المنازعات السياسية الداخلية من ثورات علوية وخارجية ، كما وصفنا في مستهل الحديث عن الحياة العباسية ، وحروب خارجية ، ودسيسة ورسوة وظلم ، ادركت اى جوها خب مضطرب كانت تنفس فيه الحياة العباسية .

(١) حياة الحيوان ١١ / ١

(٢) تأويل مختلف الحديث صفحة ٢ وما بعدها

(٣) عيون الاخبار ١٤١ / ٢

(٤) تأويل مختلف الحديث ٢٥

(٥) تأويل مختلف الحديث ٢٥ ( راجع لهذا القسم من البحث كتاب " المعتزلة " لزهدي جار الله ولا سيما صفحة ٢٤١ وما بعدها )

## ( ٢ ) - الحياة الاجتماعية :

قلنا في الحديث عن حركة علم الكلام والفرق الكلامية ، ان من الاسباب التي اسهمت في نشأتها وتطويرها حياة الاستقرار بعد غناء الفتح . ولا محيص من ان يواكب هذا الاستقرار رخاء في الحياة الاجتماعية . ولقد اشرنا الى شيء من هذا القبيل في معرض كلامنا عن اغراق الناس في الفنون الحضريّة على اثر الرفه الاقتصادي الذي كان يغمر الدولة وارباب الثراء . فالزراعة والتجارة والصناعة في ازدهار كبير . ففارس تهر كل سنة ثلاثين الف قارورة من ماء الورد مثلاً ، وخراسان تصنع عشرين الف ثوب ، وطبرستان والرويان ونهاوند ستائة قطعة من الفربي ، ومائتين من الاكسية . يضاف الى هذا الوف القناطير من الزيت والعسل والتمر من سائر انحاء المملكة<sup>(١)</sup> .

فقد اعاد العباسيون الزراعة اهتماماً ورعاية بالغين ، حفرُوا الانهار والترع ، واقاموا الجسور ، فاذا " بين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه انهار من الفرات<sup>(٢)</sup> " . وطبيعي ان يرافق هذا الازدهار الزراعي ازدهار تجاري . ولقد كانت السفن العباسية تبلغ سومطرة وزنجبار وكلكتا وجزائر الهند والصين ومدغشقر والاندلس . والمصطلحات التجارية التي اقتبسها الفرنجة من اللغة العربية تشهد بهذا التوسع التجاري الفذ<sup>(٣)</sup> . فقد بلغوا في تجارتهم الصين . وهذا المقدسي يشهد بالاقليم الذي يتصل بحره

(١) ابن خلدون ١٥٦ - ١٥٧

(٢) مسالك الممالك ٨٥

(٣) امراء الشعر ٣٤

بالصين ويقول عن تجارات الصين ان بها تضرب الامثال <sup>(١)</sup> . وتاجروا بالحجارة  
الكرامة والمسك والعنبر والزجاج والخزف والارز والعقاقير والبنوس والحديد  
والرصاص والصندل والبلور وجلود النمر والرقيقى <sup>(٢)</sup> وان من التجار من كان نسي  
بضاعته ما يبلغ ثمنه ملايين الدراهم . ولقد روى لنا الطبري من ذلك ان جعفر  
الهومي سام جوهريا على سبط من الجوهر بسبعة ملايين درهم <sup>(٣)</sup> . ولا نستغرب  
هذا والثروات تتدفق تدفقا على الدولة وعلى بعض الافراد . فاذا اغننا الى دخل  
الدولة الرسمي الذي بلغ الملايين ، الدخل الفردي ، وقفنا على مبلغ الرقعة الاقتصادية .  
فالمنصور يخلف اكثر من اربعة عشر مليون دينار وستائة مليون درهم <sup>(٤)</sup> . والرشيد  
يموت عن تسعمائة مليون درهم <sup>(٥)</sup> . وللخيزران ربع يناهز مائة وستين مليون  
درهم <sup>(٦)</sup> . فاذا عدلنا عن الخلفاء الى الوجهاء طالعنا ثروات الهراكية وهي  
اشهر من ان تذكر . فخالد منح بشارا الف درهم لكل بيت من قصيدته التي مدحه  
بها <sup>(٧)</sup> ، ويحيى بن خالد وهب اسحق الموصلي مائة الف درهم ووهبه كل من  
ولديه مثل ذلك <sup>(٨)</sup> .

- 
- (١) احسن التقاسيم ١٧  
(٢) احسن التقاسيم ١٧  
(٣) الطبري ج ٢ ص ١٠ / ٧٠٣  
(٤) مروج الذهب ٦ / ٣٣٣  
(٥) الطبري ج ٢ ص ١٠ / ٧٦٤  
(٦) مروج الذهب ٦ / ٢٨٩  
(٧) الاغانى ١٧٣  
(٨) حلبة الكمي ٧٣

ولم تكن كل هذه الاموال مشروعة . بل كان جزء كبير منها مصادرة . فالهدايا التي بعث بها علي بن عيسى بن ماهان عامل الرشيد في خراسان الى الخليفة ، قال عنها يحيى بن خالد انها " ما اجتمعت له حتى ظلم فيها الاشراف واخذها اكثرها ظلما وتعديا . ولو امرني امير المؤمنين لاتي بضعفها الساعة من بعض تجار الكرخ . قال وكيف ذاك ؟ قال : قد حاربنا عونا على السفط السدي جانا به من الجوهر واعطيناه به سبعة آلاف الف فأبى ان يبيعه ، فابعث اليه الساعة بحاجبي يأمره ان يرده اليها لنعيد فيه نظرا ، فاذا جاء به جحدناه وريحنا سبعة آلاف ألف ، ثم كما نفعل بتاجرهم من كبار التجار مثل ذلك ، وعلى ان هذا اسلم عاقبة ، واستراما من فعل علي بن عيسى في هذه الهدايا باصحابها ، فاجمع لامير المؤمنين في ثلاث ساعات اكثر من قيمة هذه الهدايا باهون سعي وأيسر امر ، واجمل جباية ، مما جمع علي في ثلاث سنين " (١) . ولا شك في ان يحيى خبير بمثل هذه الامور ان شهادته شهادة مجرب موثوق بتجربته ؛

وقد عمت سنة المصادرة هذه ، ولا سيما ايام حكم المتوكل والمعتمد والمقتدر والقاهر ، اضاف الى هذا ما كان يعادله الترك والديلم (٢) .

وطبيعي ان يعسم الحياة العباسية ترف وبذخ ، في الانفاق ، واللباس ، والطعام ، ومجالس اللهو والسمر . فالرشيد يجري على ابي العتاهية خمسين الف درهم في السنة (٣) ، ويجيز مروان بن ابي حفصة بعدد ابيات قصيدته الرثاء ، وقبله اجازة المهدي بمائة الف لما مدحه بقصيدته ؛

(١) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ٢٠٢-٢٠٣

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢٠٦/٣ - ٢١٣ راجع ايضا طبقات الاطباء ١٢٩/١ ، ١٣٨

(٣) الاغانى ٦٣/٤

طرقتك زائرة فحسّ خيالها بيضاء تخلص بالجمال دلالها

” فكانت اول مائة الف درهم اعطيتها شاعر في ايام بني العباس ” (١) . والمهدى وهب ابن دحمان المغنسي مائة الف دينار مرة واحدة (٢) . وقد يبالغون في هذا الترف حتى ليعدوا به حد البطر والشره كما فعل المأمون لما فرق في يوم واحد ستة وعشرين مليون درهم (٣) . وغير بعيد ان تكون هذه الروايات مبالغا فيها .

فقصة المعتصم حين ملأ فم الحسين بن الضحاك بالجواهر (٤) لما هنأه بقصيدة في الخلافة ، تحتل كثيرا من الشك ، ولكنها تعكس لنا اتجاها مألوقا في الحياة العباسية بلا ريب . واخبار زواج المأمون ببوران كثيرة ، فقد زعم الطبري ان ابا بوران ، الحسن بن سهل ، فرق على قواد المأمون في ذلك اليوم خمسين مليون درهم (٥) ، وان المأمون دفع الى الحسن عشرة ملايين درهم من مال فارس واقطعه الملع (٦) .

والحسن بن سهل هذا بلغ من الثراء حدا يصور الترف الذي كانت ترتع فيه طبقة الوجهاء العباسيين ، فقد كتب اسما ضياعه في رقاع صغيرة ثم نشرها على المدعوين الى عرس ابنته ” فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها ” (٧) . ولقد

(١) الاغانى ٨٨ / ١٠

(٢) الاغانى ٢٢ / ٦

(٣) فوات الوفيات ٥٠٣ / ١

(٤) الاغانى ١٥٢ / ٧ - ١٥٣

(٥) الطبرى ج ٣ ج ١٠ / ١٠٨٣

(٦) الطبرى ج ٣ ج ١٠ / ١٠٨٣

(٧) الطبرى ج ٣ ج ١٠ / ١٠٨٤



انفقت حمدة في ذلك العرس خمسة وعشرين مليون درهم فاستهوتها ام جعفر  
وقالت لها " ما صنعت شيئا . قد انفقت ما بين خمسة وثلاثين الف الف السي  
سبعة وثلاثين الف الف درهم (١) " . حتى ان المأمون نعت انفاق آل بوران على  
عرسها ومخالاتهم في البذخ بأنه سرف " . . . . . واوقد في تلك الليلة شمعة  
عبر فيها اربعون منّا في تور ذهب فانكرو المأمون ذلك عليهم وقال هذا سرف (٢) " .  
وهو نفسه الذي امر قبل دقائق من هذا ، لما نثرت جددة بوران عليها الف ديرة تبلغ  
الف حبة من الدر ، بجمع هذا الدر ، ووهبه بوران . وكان قد وجده ناقصا عشر  
حيات اخذها احد الحاضرين ، فامر بردّها ووعده بان يخلفها عليه (٣) . وهو  
نفسه الذي امهر بوران الف حبة من الياقوت ، ووسط لها فرشاً منسوجة بالذهب  
مكللة بالدر والياقوت . (٤) وهكذا كان الانفاق سمة من سمات الحياة العباسية  
المترفة ، ومدعاة الى التنافس والتفاخر . ولكنه كان كذلك مدعاة الى النقمة على  
هذه الحياة المنحرفة ، نقمة سلبية تتجلى في الردة الروحية .  
وهذا الانفاق جانب واحد من جوانب هذا المجتمع الذي نهض في كل ناحية  
من نواحي الحياة . فقد قلنا ان تكاثرا الاماء والغلمان يرجع الى الفتوح والحروب وما  
استتبع ذلك من اسر . وكان هذا الرق من ام شتى يحمل ثقافات ومدنيات مختلفة .  
وقد رأينا ان غرام العرب به وتأثرهم كان كبيرا . فملا قصورهم زوجات ومحظيات  
وخدماء . وان عنايتهم بالجوارى منه كانت بالغة : فنقفوهن وعلموهن اصول الغناء ،  
وتهادوهن ، وغالوا في اثمانهن واستعانوا بهن على مجالس لهموم . فبدى ان تنقل

(١) الطبرى جم ٣ ج ١٠ / ١٠٨٤

(٢) الطبرى جم ٣ ج ١٠ / ١٠٨٣

(٣) الطبرى جم ٣ ج ١٠ / ١٠٨٢

(٤) ابن خلدون ١٥١

عن طريقهم عادات ونظم اجتماعية وخلفية وفكرية كثيرة • فالجيل الجديد العباسي كان اذن ملقحا بلقاح الاعاجم بدنا او عقلية ، او كليهما معا ، بطريق الاتصال بهؤلاء الجوارى بالزواج ، او الاحتكاك بالموالي جملة • بل ان الامويين الذين اُثّر عنهم صفاء الدولة ، وخلوص حياتهم من الاعاجم ،<sup>(١)</sup> كانوا متأثرين بعادات الفرس بعض التأثير • وهذا الحجاج بن يوسف العتيبي ، ذو البأس والجد ، يستدعي احد الدهاقين ، لما عزم على الاحتفال باختتان ابنه ، ويسأله عن ولائم السفرة ليقلد هم في ذلك <sup>(٢)</sup> • فليس بدعا ان نرى عصر بني العباسي - وميزته تعدد العناصر واختلافها في نقلة سريعة واسعة الخطو في التغير والتطور • واذا مستوى العيش كله في ارتفاع • فبعد ان كان العرسى يحسب المرقى رقاعا لما ملك فارس والرم ، والكافور ملحا يذره في عجينه <sup>(٣)</sup> ، صار يأكل الدجاج الهندي كما كان يفعل سليمان بن عبد الملك <sup>(٤)</sup> ، والبسط <sup>(٥)</sup> ، ويتفنن في مزج الاطعمة وتحضيرها • فالمنصور يستجيد العجة من المخ والسكر <sup>(٦)</sup> • والمهدي يأتي لطباخه بمن يلقيه صنع الوان " المخ المعقود بالسكر الطبرزد والعسل وغير ذلك " <sup>(٧)</sup> • وغالوا في النفقة على موائد هم وان منهم من كان ينفق على طعامه ثلاثين الف درهم كل شهر <sup>(٨)</sup> ،

---

(١) البيان والتبيين ٣ / ٣٦٦

(٢) ابن خلدون ١٥١

(٣) ابن خلدون ١٥٠

(٤) العقد الفريد ٤ / ٤٣١

(٥) انساب الاشراف جزء ٤ قسم ٢ / ٨٦

(٦) مروج الذهب ٦ / ١٩٨

(٧) مروج الذهب ٦ / ٢٢٦ - ٢٢٧

(٨) حلبة الكميث ٦٣

ويرسي الطيور الداجنة فيعلفها الجوز المقشر ويسقيها اللبن الحليب او يأكل  
الدجاج المشوى (١) ، ويعدّ كل طعام سخّن مرتين فاسدا (٢) . واقبلوا على  
سائر الملاذ ينتهبونها انتهابا : تفتنوا في اللباس ديباجا وحريرا وخزا ، وفي الاثاث  
والزينة (٣) قيل انه كان للرشييد خاتم باربعين الف دينار نقش عليه اسمه (٤) .  
واخته عليّة بنت المهدي كانت تتخذ العمائم المكلفة بالجوهر لتستر عيها في  
جبينها " فحدثت والله شيئا ما رأيت فيما ابتدعته النساء وحدثته احسن منه " (٥) .  
واتخذوا القباب من الفضة والابنوس والصندل وكلاسيها من الذهب والفضة ملبسة  
بالوشى والسمور والديباج واللوان الحرير (٦) . واغرموا بالسباق والشطرنج والنرد (٧) ،  
والصيد ، فكان المؤمن يبلغ في رحلات صيده الشام (٨) . ولقد مات عيسى بن الرشيد  
وهو يصيد الخنازير وقد سقط عن ظهر الدابة (٩) . وقبله سأل المفتاح ابا دلامة  
حاجته فطلب كلبا يتصيد به ، ودابة يتصيد عليها ، وغلاما يصيد بالكلب ويقوده ، وجارية  
تصلح له الصيد (١٠) . والجاحظ يورد لنا كثيرا من الشعر في الصيد كقصيدة ابن ابي كريمة  
في الكلب والصيد به (١١) . واغرموا كذلك بالمهارشة بالديوك والكلاب واللعب بالطيور عامة (١٢)

---

|                           |                                |
|---------------------------|--------------------------------|
| (١) طبقات الاطباء ١٤٠/١   | (٧) مروج الذهب ٢٩٨/٨           |
| (٢) المستطرف ٢١١/١        | (٨) مروج الذهب ٢٩٨/٨ و ٢٩٦-٢٩٥ |
| (٣) راجع التاج ١٥٤        | (٩) الاغانى ٣٥٣/٤٠             |
| (٤) راجع مروج الذهب ٢٣٤/٦ | (١٠) الاغانى ١٩٠/١٠            |
| (٥) مروج الذهب ٢٧٦/٢      | (١١) الاغانى ٢٤٦/١٠            |
| (٦) الاغانى ١٦٢/١٠        | (١٢) الحيوان ٣٦٧/٢             |
|                           | (١٣) الحيوان ٣٦٧-٣٦٦/٢         |

أما مجالس غنائهم ولمههم فينقطع دونها الوصف • كانوا بالغناء مغرومين •  
 بالجوارى مفتونين (١) • فلا بد أن تكون مجالسهم حافلة بشروب الفحشاء والمنكر •  
 واقتدى الناس بالحكام والأغنياء في معاشهم • وغرقت القصور في اللذائذ تمنع في الارتشاف  
 من رحيقها حتى تنفد صوابها • وتستمرسل في غيها مليها ومأكلا ومشربا ومعاشا •  
 كل هذا حمل في ثنائه طلائع الردة الروحية التي تمثلت في حركة الزهد • مجتمع  
 صاحب ماجن • راع في اللهو والترف • واقلية ناعمة مترفة باغية تتحكم بأكثرية  
 يائسة معدمة • مهينة الجناح • وتفاوت بين الطبقات كبير • وتباين في أساليب  
 المعاش ودرجاته شاسع • فكيف يُرضى هذه الحال ذلك النفس الوادع الهادي  
 من عباد الله وأوليائه الصالحين ؟

### ( ٢ ) - طلائع النهضة الفكرية :

كان من نتائج هذه الحياة الاجتماعية المتحضرة ازدهار الحياة الفكرية والعلمية •  
 فقد شملت الفتح الإسلامية - فيما شملت - مناطق قامت فيها مراكز العلم الكبرى  
 كالاسكندرية وجند يسابور والزها ونهيبين وحران وقنسرين • ولم يلبث المسلمون  
~~العلماء~~ حتى نقلوا العلم التي ازدهرت في المعاهد هناك من طب ورياضيات وفلك •  
 وكان قد تسرب شيء منها إليهم عن طريق الموالى قبل ذلك • ومن هذه المراكز انساب  
 الفكر اليوناني والسراني والهندي • واقبل المسلمون على النقل والترجمة أيضا اقبال •

وكان قوام تأثيرهم بالفكر اليوناني اعتقادهم الراسخ " بسمو العلم اليوناني ، حتى لم يكن يخالط نفوسهم ريب في انه قد بلغ أعلى درجات اليقين " (١) . وجاز الفكر الاسلامي طور علم الكلام وبلغ طور الفلسفة . وكان جل اعتماده على مذهب افلاطون في المثل ومذهب ارسطو في العلة . وتأثر كذلك بالافلاطونية الحديثة التي اطلقوا عليها اسم "مذهب الاسكدرانيين " ويسمى الشهرستاني داعية هذا المذهب ( افلوطين ) " الشيخ اليوناني " (٢) ، وهو القائل بان هذا الوجود صدر عن واحد ازلي ابدى هو علة العلل لا شبيه له وهو الله . وان اول ما انبثق منه العقل ، ومنه فاضت نفس العالم او النفس الكلية ومنها جاءت الطبيعة ( نظرية الانبثاق ) .

ونمت فلسفة ارسطو التي قبسوا منها ونهلوا .

هذه هي الدعائم اليونانية الثلاث التي استند اليها الفكر الاسلامي وتأثر بها . فالمعتزلة مثلاً قالوا بحدوث العالم واولية الزمان والحركة (٣) . وهذا مقتبس من افلاطون . وارسطو نحلوه كتباً ، ككتاب " في العالم " (٤) . وايدوا بفلسفته نظريتهم في الخلود وردوا عليه بكتب كثيرة (٥) . ووجدوا في الافلاطونية الحديثة ما يوفق بين مذاهب الفلاسفة اليونان ، فنهجوا النهج نفسه " وكان الفريق الاول من الآخذين بمذهب ارسطو مضطرين الى الوقوف موقف الرد على خصومهم

---

(١) دي بور ٣٩  
 (٢) قصة الفلسفة اليونانية ٣٣٣  
 (٣) دي بور ٣٥ (الهامش)  
 (٤) دي بور ٣٦  
 (٥) دي بور ٣٥

والدفاع عن انفسهم . فلم يكن لهم بد ، على وفاق كانوا مع الجماعة الاسلامية ام على خلاف ، من فلسفة ملتزمة الاجزاء ، يجد فيها الانسان الحق الذي لا حق غيره .  
وقد اظهر علماء المصلحون فيما بعد من التقدير لكتب العلوم اليونانية مثل ما اظهر محمد ( عليه الصلاة والسلام ) من تقدير لكتب اليهود والنصارى المقدسة " . (١)

وحاولوا كذلك التوفيق بين افلاطون وأرسطو ممثلين باصحاب الافلاطونية الحدیثية واتجهوا الى فلسفة أرسطو الصحيحة والمدسوسة يقتبسون منها كل ما من شأنه أن يقوى الايمان " وانما فعلوا ذلك ليمهدوا السبيل لقبول آرائه العلمية " (٢) .

ومن المجارى الفكرية التي استوردوها الفكر الهندي . يتمثل هذا في الروحانية التي اصطبغت بها نزعة الزهد التي استحالت الى تصوف . ففكرة الفناء الروحي مثلا أصلها في " النارانا " الهندية ، ومذهب " اليوجا " في التنسك كان له تأثير عظيم في فارس (٣) . حتى ان بعض الباحثين كفولك زيهر يرون ان المثل الاعلى للحياة عند الهنود قد تسرب الى الاسلام . ويستدل على ذلك ببهتين من زهديات ابي العتاهية في وصف الرجل الفاضل :

يا من ترفع للدينيا وزينتها      ليس الترفع رفع الطين بالطين  
اذا أردت شريف الناس كلهم      فانظر الى ملك في زي مسكين

ويتساءل فولك زيهر بعد ذلك : " اولى هو بونا ؟ " (٤)

فقد ضمت حركة الترجمة " فيما ضمت - كثيرا من تراث الهند في الطب

والنجم والحكم والعقائير . وهذا ابن النديم يورد قائمة باسماء بعض ما ترجم

من ذلك (٥) . وحركة الترجمة ابتدأت في الحكم الاموي ، ولكنها كانت جهودا فردية

(٤) راجع ذلك في كتاب " دراسات في الادب

الاسلامي " لمحمد احمد خلف الله

صفحة ٩٦ - ٩٧

(٥) الفهرست ٣٠٣

(١) دي بور ٣٩

(٢) دي بور ٤٠

(٣) دي بور ٩٩

غير منتظمة كجهود خالد بن يزيد في الكيمياء ، وروان بن الحكم - عن طريق ماسرجويه - في الطب ، وعمر بن عبد العزيز الذي أوعز بترجمة بعض الكتب الطبية . بيد انها نشطت في حكم العباسيين وتعززت (١) . فالمنصور كان " اول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم " (٢) . وهو اول خليفة ترجمت له الكتب الى العربية . من ذلك كتاب " كلبلة ودمنة " و " السند هند " ، وكتب ارسطو في المنطق ، والمجسطي لبطليموس ، وكتاب اقليدس في الارتماتيقي وغيرها كثير من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية " واخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها . وفي ايامه وضع محمد بن اسحاق كتب المغازي والسير واخبار المبتدأ . ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفه " (٣) . ولم تكن عنايته بالطب دون عنايته بهذه العلم . فقد عهد الى جورجيس بن بختيشوع رئيس اطباء بيمارستان جند سابور الذي استقدمه ليعالجه من مرض في معدته ، بنقل بعض الكتب الطبية اليونانية الى العربية .

اما حكم المأمون فكان أخصب عهد الترجمة وأشدها ازدهارا ، تعددت في ايامه الفرق ، وتشعبت العقائد الدينية ، وكان المأمون ميالا بطبعه الى القياس . اقبل على مذهب المعتزلة فأغرم به وناصره علانية ، وجاهر بآراء اصحابه وتبناها - وكانوا يسرونها خشية الفقهاء - . وكانت قضية خلق القرآن هي القضية التي استحوذت على تفكيره واعجابه . فعقد المجالس للمناظرة ، ثم عمد الى العنف فامتحن الناس في عقيدتهم فيها . وكان يمنح المترجم ، على ما يزعمون ،

(١) معالم الفكر العربي ٤٣

(٢) مروج الذهب ٢٩٠ / ٨

(٣) مروج الذهب ٢٩١ / ٨



زنة ما يترجمه ذهباً (١) . فاقننى به بعض الخاصة والوجهاء في الترجمة والقراءة ، فكثرت الوراقون وباعة الكتب وانتشرت مجالس العلم . والواقع ان المأمون لم يتفرد بهذا التشجيع . فقد كان تشجيع أسلافه كذلك للعلماء فوق الرصف . فالمنصور كان يأمر لطبيبيه المسيحي جورجيمين بختيشوع بالشراب فسي مجلسه (٢) ، والرشيد يدعو لطبيبيه جبرائيل بن بختيشوع وهو يحسج في مكة فينكر عليه قم دعاءه هذا فيجيبهم : ان في صلاح بدنه صلاح الرعية ، وان في صلاح طبيبيه وعافيته صلاح هذا البدن وعافيته (٣) . والمأمون يصل جبريل هذا بمليون درهم مشفوعة بالفكر من الحنطة لما ابرأه من مرض ألم به (٤) ، ويقرض في مدحه الشعير (٥) . فلا غرو ان تكثر المترجمات ويكثر المترجمون ، في زمن المأمون خاصة ، وهو الذي " كان نجم بني العباس في العلم والحكمة " كما قال عنه الدميري (٦) . فقد كان شغوفاً بالكتب القديمة يقرأها ويدرسها ويقرب اليه العلماء ويغري اصحاب المذاهب الفكرية بالجدل والنقاش (٧) . وهذا " بيت الحكمة " الذي يرجح ان الرشيد انشأه لجمع ما نقل من كتب الى العربية ، جعل منه المأمون مجلساً للترجمة والنسخ والدرس والتأليف خاصة ، وجعل للبيت قيساً يديره ويدبر امره (٨) .

- 
- (١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٤٣ / ٣
  - (٢) طبقات الاطباء ١ / ١٢٤
  - (٣) طبقات الاطباء ١ / ١٣٠
  - (٤) طبقات الاطباء ١ / ١٢٨ - ١٢٩
  - (٥) طبقات الاطباء ١ / ١٢٧ - ١٢٨
  - (٦) حياة الحيوان ١ / ٧٢
  - (٧) مروج الذهب ٨ / ٣٠١
  - (٨) تاريخ التمدن الاسلامي ٣ / ٢٠٧ - ٢٠٨

ولا غرو ان تفتن حركة الترجمة هذه بحركة تأليف تدانها ازدهارا وسعة :  
 فوسائل التشجيع التي ترقى بها الترجمة اسهمت في تنشيط حركة التأليف ،  
 وكان لهناعة الورق في ذلك يد طولى (١) . فكثر المؤلفات في كل شيء وتفرعت  
 العلوم (٢) . وكان من نتائج هذه النهضة الفكرية ان تشعبت الآراء الدينية  
 وتعددت البسدع ، فكثر الجدل وتباينت آراء الفقهاء والمحدثين والمشرقيين . ولم  
 يكن المجتمع العباسي كله راضيا عن هذه الآراء والمباحثات الدينية والفكرية .  
 فلم ير المناهضون له وسيلة يردون بها عليها اجدى من ان ينفذوا ايديهم  
 منها ويعتزلوا هذا المجتمع المتلاطم فوجدوا في الزهد بغيتهم .

فخلاصة ما يوجزه وصف عصر شاعرنا اذن ، انه كان العصر الذي  
 تعارعت فيه نزعات السياسة ونزعات الدين ونزعات الاجتماع ونزعات الفكر . ولعلنا  
 لا نتجنس عليه لوقلنا انه عصر المتناقضات . ألم يكن عصر الشك كما كان عصر  
 اليقين ؟ أرم يكن عهد الفتح والامجاد الحربية كما كان عهد الثورات والفتن  
 الداخلية ؟ أما حفل بالزنادقة والمتشككين كما حفل بالمؤمنين والورعين ؟  
 أما سار فيه المترفون المسرفون الى جانب الفقراء المحرومين ؟ ألم تحق به جماعة  
 العلماء كما ملائه طائفة الفساق ؟ خليفة يسمع وعظ الواعظ فيبكي من خشية الله ،  
 وهو نفسه بعد دقائق في مجلس اللهي يصغي الى وقع الوتر والكأس وشذو القبان  
 فيبكي من الطرب لا من الخشية ؟ هبات تبلغ الملايين ، وغلل تبلغ الملايين ،

---

(١) صبح الاعشى ٤٧٥/٢ - ٤٧٦  
 (٢) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٢٤/٣

وأنا من ينقطع منهم النعم دون نصف درهم في اليوم • طبقة يوتى لها بالخير  
والفاكهة ، ويعلف بطها بالجوز المقشر واللبن الحليب ، وطبقة تنوء بتكاليف  
المعاش وتشكو شظف الحياة • محظوظ يرفع ، ومغضوب عليه يخفض • السلطان  
ساخط في الصباح راض في المساء • فرق وآراء كلامية وفقهاء يتخرجون فيرون  
في ذلك اثما وكفرا ، ويعدون الخوض في هذه الشؤون زندقة •

كان عصر الاقبال على الحياة وكان عصر الادبار من الحياة • ولقد  
أبنا بعض الابانة جانب الاقبال هذا • فلنشع الآن في الكشف عن الجانب  
الآخر المتمثل في الردة الروحية التي تزعمها نفر الزهاد في تلك الفترة الحافلة  
العجبية • (١)

---

(١) كان جل الاعتماد في هذا الفصل على كتابي " تاريخ التمدن الاسلامي "   
 لجرجي زيدان و " ضحى الاسلام " ل احمد امين •

## السرد الروحية :

يبدو أن تعايش الأعداء بعضها إلى جانب بعض من طبيعة الحياة وسننها ، القوة وحيالها الضعف ، والثروة وازاءها الفقر . وقد ترى النملة الصغيرة تدب على مقربة من قوائم الفيل الضخم ، أو الفتاة الشابة الحسناء تزف إلى الشيخ الدميم ، وقد يجمع مقعد واحد بين تلميذ مفرط في الذكاء وتلميذ بالغ الغبسا . فلا بدع إذا رأينا حياة الخلاعة والمجون في هذا العصر تعترضها حياة الورع والتقوى . ولا بدع إذا كان الزهد صدى الفسق . ورب حياة ماجنة فاسدة تحمل في ثناياها جراثيم الخير وعناصر الصلاح . ففي الحياة الاموية المرحلة العابثة كان شبي من هذا القبيل . فقد كان نشاط العلماء والحركة الدينية موازيا لنشاط الما جنين واقبالهم على العبث واللغو (١) . كأن الامر " رد فعل " كما يقولون .

كان كل ما في المجتمع العباسي يحمل على الردة ويغرى الصلاح بالثورة . وقد تكون سلبية مكبوتة كما تمثلت في حركة الزهد ، لا الاموال موزعة توزيعا عادلا . فقد رأينا الخليفة يسطو على الملايين ، ويحشد ها ليموزعها في لحظة طرب لشاعر او من . كان يصادر الاموال ويهب الاموال ، ويهدد الدم ويولي الوزارات وليس من امرى يجرو على ان يسائل نفسه سؤال استفهام او استنكار . قال المعتابي لما سألوه " لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب " " لاني رأيتـه يعطي عشرة

آلاف في غير شي\* ، ويرمي من السور في غير شي\* ، ولا ادرى اى الرجلين اكون\* (١)  
 ولا الطمانينة كانت شاملة ، فقد كانت انباء الدس والوشاية حرة بان تورد موارد  
 التطف . وهذا المفضل الضبي يتأهب للموت حين يستدعيه المهدي ويحسب  
 انه ينتوى به ما كان ينتوى بكثير من معاصريه . فاذا المهدي يحكمه في الفخر  
 بيت من الشعر قالته العرب ويجيزه بثلاثين الف درهم (٢) . فامير المؤمنين مطلق  
 الحرية والتصرف حتى في الارواح . فقد امر المنصور بقتل الفضيل بن عمران اثر  
 وشاية . فلما ليم في ذلك قال احدهم " هو امير المؤمنين يفعل ما يشاء وهو  
 اعلم بما يصنع " (٣) .

كان الشعب يثمن من الفقر ، والحكام المترفون يثنون من ثقل الملاذ . وانك  
 لواجد بواد رثوة من هذا الشعب البائس المقهور على هذا الوضع في قصة محمد  
 بن سليمان التي ذكرناها قبلا ، حينما اعترضه مجنون وهو في جنازة ابن عمه " فقال  
 له : يا محمد أمن العدل ان تكون غلتك كل يوم مائة الف درهم وانا اطلب نصف  
 درهم فلا اقدر عليه ؟ ثم التفت الى سوار ( القاضي ) فقال : " ان كان هذا  
 عدلا فانا اكثريه " (٤) . هي الثورة اذن صراحة . بل هي اعنف من الثورة .  
 انها الخروج على العدل وعلى الدين ان كان هذا الذي يكابده المجنون ويشكونه  
 الى مثل العدل والدين القاضي سوار من العدل ومن الدين في شي\* . نصف درهم  
 يعجز عنها رجل وآخر يبلغ دخله ثلاثة ملايين درهم ؟ وآخر يشتري بمليون درهم مصاحف

(٣) الطبري ج ٣ ج ٩ / ٤٤٠

(٤) مروج الذهب ٢٨٩ / ٦ - ٢٩٠

(١) المستطرف ١ / ١١٠

(٢) الاغانى ١٤ / ١١٦

ليوزعها (١) . قال شاعر في بغداد يحف الحال وسوء توزيع الاموال :

|                        |                          |
|------------------------|--------------------------|
| بغداد دار طيبها آخذ    | نسيمها مني بانفاسي       |
| تصلح للموسر لا لامرئ   | بييت في فقر و افلام      |
| لو حلها قارون رب الغنى | اصبح ذا هم ووسواس        |
| هي التي نعهد لكتفها    | عاجلة للطعام الكاسي      |
| حور وولدان ومن كل ما   | تطلبه فيها سوى الناس (٢) |

اقطاع ونظام طبقات وبنس يصوره ابو العتاهية :

|                      |   |                      |
|----------------------|---|----------------------|
| اني ارى الاسرار      | م | اصغار الرعية غالبه   |
| وارى المكاسب نازرة   |   | وارى الضرورة غاشيه   |
| وارى غصوم الدهر را   |   | ثمة تدرو غاديه       |
| وارى اليتامى والا را |   | مل في البيوت الخاليه |
| من بين راج لم يزل    |   | يسمو اليك ورا جيه    |
| يشكون مجده باصوات    | م | ضعاف غالبه           |
| ...                  |   |                      |
| من مقبيات جبر        |   | تمسي وتمسح طاربه     |
| ...                  |   |                      |
| من للبطون الجائعا    |   | ت وللجسم العاريه     |

ويختتم شكواه يخاطب الخليفة :

القيت اخبارا اليك م من الرعية شافيه (٣)

فهو احساس الشعب بانه فقير بائس جائع محرم ، وليس له الا الصبر :

|                          |                        |
|--------------------------|------------------------|
| يحتاج باغي المقام بينهمو | الى ثلاث من بعد ترتيب  |
| كوز قارون ان تكون له     | وعمر نوح و هيرايوب (٤) |

(٣) الديوان ٣٠٤  
(٤) معجم البلدان ١/٦٩١ - ٦٩٢

(١) مسالك الممالك ١٤٢  
(٢) معجم البلدان ١/٦٩٣

أو الزهد لما نشأ فيها من فسق فهي " ضيقة على المتقين ما ينبغي لمؤمن  
 أن يقيم فيها " (١) . فلما قيل لبشر بن الحارث أن رجلاً صالحاً كالإمام أحمد  
 بن حنبل مقيم فيها أجاب بمرارة : " دفعنا الضرورة إلى المقام بها كما دفعت  
 الضرورة المضطر إلى أكل الميتة " (٢) . ويقول البغدادي أن غير واحد من السلف  
 كان يكره الإقامة فيها ويدعو إلى مغادرتها . " وقيل أن الفضيل بن عياض كان لا  
 يرى الصلاة في شيء من بغداد لأجل أنها عنده غضب " (٣) . وكان ينصح بالرحيل  
 عنها : " لا تقم بها وأخرج عنها فإن أخرجهم مؤذنونهم " (٤) . وعبد الله بن داود  
 يقول بقطع صلة الرحم بمن أقام في بغداد ، فقد قال له رجل أن له فيها خالة فاجابه :  
 " اقطعها قطع القتا " (٥) . وكان أحد الشعراء يقول :

الذي الشفر والتعبد فيه      ليس ببغداد مسكن الزهاد  
 أن بغداد للملوك محفل      وصال للقاري الصياد (٦)

وأي منزل لعابد ذلك المنزل الذي يبيع فيه الخليفة لمخنت كاهن جامع شرب النبيذ ،  
 ويأمر عامله أن يعفيه من الحد في ذلك ، وأن يأذن له بممارشة الديوك والكلاب .  
 فلما استنكر العامل مثل هذا الأمر المنافي للشرع يحدره إليه حامي الشرع ومنقذه ، خليفة  
 الله ، شك في الكتاب فكان جزاؤه العزل (٧) . وما لنا نعلم الرشيد في ذلك . ألم يرو  
 لنا أبو الفرج أنه وإخاه موسى " كانا مستهترين بالنبيذ " (٨)

- 
- |                     |   |
|---------------------|---|
| (١) تاريخ بغداد ٥/١ | (٥) تاريخ بغداد ٥/١                     |
| (٢) تاريخ بغداد ٥/١ | (٦) تاريخ بغداد ٦/١ ومعجم البلدان ١/١٩٠ |
| (٣) تاريخ بغداد ٥/١ | (٧) الأغاني ٦/٣٠٤ - ٣٠٥                 |
| (٤) تاريخ بغداد ٥/١ | (٨) الأغاني ٥/١٦٠                       |

وجاءت الفتنة بين الامين والمؤمن فكانت ضغنا على ابالة كما يقولون ، فقد  
ولّي الامين ووكّل الامر الى محمد بن عيسى بن نهيك والى الهرش ، وانصرف الى  
لهوه فطلب الخفيان والمليين واجرى لهم الرواتب " ونافس في ابتغاء قدره الدواب  
واخذ اللوحوش والسباع والطير وغير ذلك ٠٠٠ وقسم ما في بيوت الاموال وما بحضرته  
من الجوهر في خميانه وجلسائه ومحدثيه ٠٠٠ وامر بينا " مجالس امتنزهاته ٠٠٠ " ،  
وخمس حراقات كلفته احداها ثلاثة ملايين درهم (١) . وكان الفوغا والفساق  
من اتباع محمد بن عيسى يسلبون الناس ويعيشون في الارض فسادا فخرج من بغداد  
من استطاع " وكان احدهم اذا خرج امن على ماله ونفسه " (٢) . وكثر الخراب  
والحرق ورميت المدينة بالمنجنيت وتولى القتال " باعة الطريق والعرافة واهل السجون  
والاوباش والطرايس واهل السوق فكانوا ينهبون اموال الناس " (٣) .  
حدث ابن الاثير ان اصحاب الامين كانوا لا يكتفون بهدم الدار ودكها بل يعمدون  
الى ابوابها وسقوفها فينتهبونها (٤) . فقال احد الشعراء :

|                             |                           |
|-----------------------------|---------------------------|
| لنا كل يوم ثلثة لانسها      | يزيدون فيما يطلبون وننقص  |
| اذا هدموا دارا اخذنا حقونها | ونحن لاخرى غيرها نترسى    |
| فان حرصوا يوما على الشرجهدم | فغوغونا منهم على الشراحرص |

٠٠٠

لقد انسدا شرق البلاد وغربها      علينا فما ندري الى اين ن شخص

ولقد ذكر ابن الاثير ابياتا اخرى في البكاء على بغداد اثر تلك الحرب الاهلية  
الطاحنة (٥) .

{١} الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٥١ - ١٥٢

(٢) ابن الاثير ١١٠ / ٦

(٣) ابن الاثير ١٨١ / ٦

(٤) ابن الاثير ١٩١ / ٦

(٥) ابن الاثير ١١٢ / ٦ . راجع ايضا ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩١ .



فتطوع جماعة من الصالح لدرك هذا الفساد ومد الزعرة والشطار ونهجا  
نهجا عليا . تزم حركة المقاومة هذه اثنان : احدهما يدعى خالد الدريوشي  
وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يرى الخروج على السلطان . والآخر مهمل  
بن سلامة الانصاري وتتلخص دعوته في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايضا ،  
والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والدعوة الى قتال من يخالفه كائنا من كان (١) .  
ويقول الطبري عن قيام جملة المقاومة هذه " . . . ان فساق الحربية  
والشطار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس اذى شديدا واطهروا الفساق  
وقطع الطريق واخذ الخيل والنساء علانية من الطرق فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل  
فيأخذون ابنه فيذهبون به فلا يقدر ان يتمتع عليهم . . . وكانوا يجتمعون فيأتون  
القرى فيكاثرون اهلها ويأخذون ما قد روا عليه من متاع ومال وغير ذلك ، لا سلطان  
يمنعهم ولا يقدر على ذلك منهم لان السلطان كان يعتز بهم وكانوا بطانته فلا يقدر  
ان يمنعهم من فسق يركبونه . . . وكانوا يجيئون المارة في الطرق وفي السفن وعلى  
الظهر ويخفرون البساتين ويقطعون الطرق علانية ولا احد يعدو عليهم . وكان  
الناس منهم في بلاء عظيم . ثم كان آخر امرهم انهم خرجوا الى قطرب فانتهبوها  
علانية واخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك وادخلوها  
بغداد وجعلوا يبيعونها علانية . وجاء اهلها فاستعدوا السلطان عليهم فلم يمكنهم .  
تعددهم عليهم ، ولا يرد عليهم شيئا مما كان اخذ منهم وذلك آخر شعبان (سنة ٢٠١ هـ)  
فلما رأى الناس ذلك . . . وان السلطان لا يغير عليهم قام صلاح كل رضى وكل درب  
فمشى بعضهم الى بعض . . . (٢) .

(١) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠١٠ وابن الاثير ٦ / ٢٤٤ - ٢٤٥

(٢) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠٠٨ - ١٠٠٩

وكان سهل قويا في دعوته فكان لا يطلق على ابراهيم بن المهدي واخوته لقبا  
 الا الفساق " لم يكن لهم عنده اسم غيره " (١) . وكان يقول بقتل من يخالفه  
 على الاطلاق وهذا الناس " فمن بايعني على هذا قبلته ومن خالفني قاتلته " (٢) .  
 ويقول ابن خلدون ان دعوة خالد وسهل قد لاقت تأييد الناس ونصرتهم (٣) .  
 فكان الذي يجيب سهلا يشار الى بيته ببرج من جص وآجر وينصب عليه السلاح  
 والمصاحف (٤) غير ان دعوتها لم تعم طويلا . فقد حبا . وسهل هذا جهز له  
 ابراهيم بن المهدي عسكريا واسره وقضى على دعوته (٥) . ويقول ابن الاثير انه  
 قتله واخفى ذلك حتى لا يعلم الناس مكانه فيخرجوه (٦) . ويبدو ان كثيرين من  
 طلاب الرئاسة توسلوا الى ذلك بمثل دعوة سهل هذا " يأخذون انفسهم باقامة  
 الحق ولا يعرفون ما يحتاجون اليه في اقامته من العصبية " (٧) . وان منهم  
 المجنون والكذاب (٨) . ولكن ابن خلدون لا يشك في دعوة خالد وسهل بل يؤكد  
 صدقها اذ يعزو سببها الى تفشي الفسق " فتوافر اهل الدين والصالح على منع  
 الفساق وكف عادتهم (٩) .

- 
- (١) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠٢٣  
 (٢) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠١٠  
 (٣) ابن خلدون ١٤٠  
 (٤) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠٢٣  
 (٥) ابن خلدون ١٤٠ والطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠٢٤ - ١٠٢٥  
 (٦) ابن الاثير ٦ / ٢٤٥  
 (٧) ابن خلدون ١٤٠  
 (٨) ابن خلدون ١٤٠  
 (٩) ابن خلدون ١٣٩

ولكن حركة الزهاد لم تكن ايجابية ولا عنيفة بهذا القدر . ففي الحين الذي يجاهر فيه سهل الخليفة بالعدوان ترى الزهاد عاكبين على التفسير من شهوات الدنيا ولذائذها . وان من المخازي ما تذوقوا لعدوه باعتزال الدنيا لا ينوهون بشره وانه كما فعل بعض الشعراء في يحيى بن اكثم قاضي البصرة ايام المأمون مثلا ، فقد كان منغمسا في الفواحش والموبقات حتى انتهته العامة بافساد اولادهم<sup>(١)</sup> . ولكنها كانت على كل حال لونا من الران الثورة على الفساد وضربا من ضروب الاصلاح في اجتهاد ومنهج مختلفين . لعلمهم ينسوا " ففشلوا فلجأوا الى القناعة يروغون انفسهم عليها ، وقالوا اذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون " (٢) . ولم يزهروا جميعا نوروا وانفلتا من الفساد ، فقد كان منهم من رأى ان الشهوات سلسلة متصلة الحلقات ، وان النفس لا تكاد ترتوى من واحدة حتى تظلم الى الاخرى . فرؤا الخير كله في قمعها اصلا . ومنهم من " ينسوا من حب او عدموا عدمة عنيفة في منصب او جاه او مال فلم يجدوا الا الزهد يركنون اليه ويأمنون به ويتسلون به عما فقدوا " (٣) . ومنهم من تزهدوا تخفلا من تكاليف الدنيا والآخرة<sup>(٤)</sup> كأبراهيم بن اسحق الحرسي الذي عاش اكثر عمره على الخبز اليابس والملح ، وكان لا يدخل دارا عليها بواب<sup>(٥)</sup> .

كان هذا العصر حافلا باصناف الزهاد هؤلاء " وكما كان بشار وابونواس واضراهما يمثلون نزعة اللهو ويضرمون نارها ، كان ابو العتاهية يعبر عن نزعة الزهد ويروى غلّة الزاهدين " (٦) . قالى اى طوائف هؤلاء الزهاد ينتهي شاعرنا ابو العتاهية ؟ سنرى ذلك في نشأته وفي معالم الزهد في شعره .

(١) راجع مروج الذهب ٧/٤٣-٤٨  
 (٢) ضحى الاسلام ١/١٣٧  
 (٣) ضحى الاسلام ١/١٣٨  
 (٤) ضحى الاسلام ١/١٣٨  
 (٥) معجم الادباء ١/١٢٥-١٢٦  
 (٦) ضحى الاسلام ١/١٣٨

### - الفصل الثالث -

- :-

#### ابو العتاهية - معالم شخصيته

---

##### نسبه ونشأته :

---

ابو العتاهية كنيته ، اما اسمه فاحماد بن القاسم ، واما نسبه  
فينتهي الى عنزة بالولاء من قبل ابيه ، والى بنى زهراء من قبل امه  
التي كانت مولاة لهم . وعتاهية لقب غلب عليه بعد ان دعاه به المهدي يوما ،  
وهو يقال للرجل المتحذلق . قال الاصفهاني : " قال المهدي يوما  
لابي العتاهية : انت انسان متحذلق ، معنّه ، فاستوت له من ذلك كنيّة  
غلبت عليه دون اسمه وكنيته ، وسارت له في الناس . قال : ويقال للرجل  
المتحذلق عتاهية ، كما يقال للرجل الطويل شتاهية . ويقال : ابو عتاهية  
باسقاط الالف واللام" (١) . وقيل بل لقب كذلك لانه كان يحب الشهرة والمجون  
التعنه (٢) .

وتتلخص انباء نشأته التي بين ايدينا في انه ولد في بلدة تدعى "عين التمر"  
قرب المدينة في الحجاز . ويقول ابن خلكان : " وقيل انها من اعمال سفي الفرات .

---

(١) الاغانسي ٢ / ٤

(٢) الاغانسي ٣ / ٤

وقال ياقوت الحموي في كتابه المشترك انها قرب الانبار، والله اعلم". (١)  
 والراجع ان عين التمر في العراق هي مسقط رأسه "فانه نشأ في الكوفة والكوفة  
 وعين التمر كلتاها من سفي العراق" (٢). يؤيد هذا قول ياقوت عنها في  
 معجم البلدان انها "قريبة من الانبار غربي الكوفة . . .". (٣).  
 ولا تختلف المصادر في انه نشأ نشأة فاسدة، وضيفة (٤). فقد كانت امه  
 مولاة، وابوه بائع جرار أو كان حجاجاً (٥). وهذا اسمه - كما روى الاصفهاني -  
 شاهد على فساد نشأته وعلى مجونه. وفي شعره اشارات كثيرة الى فضل التقى  
 والعلم على الأمل والنسب. فمما لا شك فيه انه كان يحس بالضعة في اعماق نفسه.  
 ولقد قطن لهذا كثير من ترجموا له، واستشهدوا على ذلك بقوله :

|                                |                                   |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| الا انما التقوى هو العز والكبر | وحبك للدنيا هو الفقر والعدم       |
| وليس على عبد تقي نقص           | اذا صحح التقوى وان حاك او حجم (٦) |

ولعل الابيات الاتية تصور نفسيته هذه خير تصوير :

|                              |                           |
|------------------------------|---------------------------|
| دُعني من ذكر ايا وجـ         | ونسب يعلمك سور المجـ      |
| ما الفخر الا في التقى والزهد | وطاعة تعطي جنان الخلد     |
| لا بد من رد لاهل الـ         | اماً الى ضحل واماء عـ (٧) |

(٥) الاغاني ٤ / ٤ ، ٥

(٦) الاغاني ٥ / ٤

(٧) الاغاني ٥ / ٤

(١) وفيات الاعيان ١ / ١٩٨

(٢) امراء الشعر ١١٣

(٣) معجم البلدان ٣ / ٢٥٩

(٤) الاغاني ١ / ٤

ابوان وضيعة ، ونشأة وضيعة ، ونفس تحس بالضعفة وتألم لهذا . واستمع الى رأى احد معاصريه في هذه النشأة الخاملة : " . . . اخبر يحيى بن خالد ان ابا العتاهية قد نمك ، وانه جلس يحجم الناس للاجرتواضعا بذلك . فقال : الم يكن يبيع الجرار قبل ذلك . فقيل له : بلى ، فقال : اما في بيع الجرار من الذل ما يلكيه ويستغني به عن الحجامة " (١) .

اما تاريخ مولده فالمجمع عليه انه سنة مائة وثلاثين للهجرة .

استدلاله :

ولسنا نعلم عن حياته الخاصة سوى انباء قليلة عن اولاده . فالاصفهانى يروى انه " كانت لابي العتاهية بنتان . اسم احدهما " لله " والاخرى " بالله " فخطب منصور بن المهدى " لله " فلم يزوجه ، وقال : انما طلبها لانها بنت ابي العتاهية . وكأنسى به قد ملها فلم يكن لي الى الانتصاف منه حبيل . وما كنت لازوجها الا بائع خزف وجرار . ولكني اختاره لها موسرا " . وكان لابي العتاهية ابن يقال له محمد وكان شاعرا " (٢) . فهو يريد صهره بائع خزف او جرارا كما كان هو في نشأته ، ويريد موسرا لانه ذاق مرارة الفقر .

(١) الاغانى ٨ / ٤

(٢) الاغانى ٨٨ / ٤

ولا ندرى اذا كان له ابنة ثالثة - تلك التي يتحدث عنها صاحب "معاهد التنصيص" ام انها احدى ابنتيه المذكورتين . فقد زعم ان ابا العتاهية قال لابنته "رقية" وهو في عتاه التي مات فيها ان تندب به بابيات من الشعر (١) . وليس هذا من الخطورة في حياته بحيث نتقصاه ، ولم نعرض في غير هذا الكتاب على ذكر لهذه الابنة المسماة "رقية" .

اما ابن المعتز فيوافق ابا الفرج في ما قال عن ابن ابي العتاهية ، ولكنه يضيف انه كان زاهدا ناسكا وقال " وكان مع ذلك شاعرا الا انه تخلص من الدنيا " (٢) . ويقول في موضع آخر انه كان "صحيح الدين ورعا ، وولي القضاء برهة" (٣) . وتجمع الروايات على ان ابنه كان شاعرا ، وتذكر لنا من شعره شيئا (٤) ، وانه كان ناسكا زاهدا " (٥) . ولم يرد ذكر لامراته الا في "تاريخ بغداد" في معرض الحديث عن ابنه عتاهية " محمد بن ابي العتاهية لقبه عتاهية ، ويكنى ابا عبدالله ، واهه هاشمية بنت عمرو اليمامي مولى لمعن بن زائدة وكان محمد ناسكا زاهدا شاعرا " (٦) .

(١) معاهد التنصيص ٢/٢٩٩

(٢) طبقات الشعراء ٢٢٨

(٣) طبقات الشعراء ٣٦٤

(٤) راجع تاريخ بغداد ٢/٣٥٦ ، والشعر والشعراء ٢/٧٦٥ والموشح ٣٧٤ ، ٣٧٥

(٥) راجع الشعر والشعراء ٢/٧٦٥ وطبقات الشعراء ٢٢٨ وتاريخ بغداد ٢/٣٥

(٦) تاريخ بغداد ٢/٣٥

واذا كان لنا ان نستنتج من ذلك شيئا نربطه بنشأته ثم بنزعته الى الزهد فهو ان ما فاتته من شرف النسب في امه وابيه لم يواته في زوجته . فقد رأينا انه مولى ، وان اباؤه مولى ، وامه مولاة ، وهذه زوجته ابنة اب مولى . ومهما يكن من امر الروايات عن بخله <sup>(١)</sup> . ومبلغها من الصحة او المبالغة فانها تعكس جانباً من نفسيته التي اكدت بنار الفقر والحرمان في مبدأ عمرها ، فهي تعرض بهذا الحرص والكزما فانها من اقبال الدنيا ويسرها او تجد في هذا الحرص امناً بعد خوفها وقلقها الطويلين . وهذا يدخل في حساب زهده حين نمحس دوافعه التي عزاها نفر من الباحثين الى كل شيء خلا الاحساس الصادق بالزهد .

عقيدته :

تباينت الآراء في عقيدة ابي العتاهية . وفي "الافانسي" "طعن صريح بها ؛ " كان ابو العتاهية مذبذباً في مذهبه ، يعتقد شيئا ، فاذا سمع طاعناً عليه ترك اعتقاده اياه واخذ غيره " <sup>(٢)</sup> . وييسر الاصطناع مذهب فيقول " كان مذهب ابي العتاهية القول بالتحديد ، وان الله خلق جوهرين <sup>(٣)</sup> متضادين لا من شيء ، ثم انه بنى العالم هذه البنية منهما ، وان العالم حديث العين والصنعة لا محدث له الا الله ، وكان يزعم ان الله سيرد كل شيء الى الجوهرين المتضادين . . . . . ويشيع بمذهب

(١) الافانسي ١٦/٤ - ١٩

(٢) الافانسي ٦/٤

(٣) المقصود هنا بالجوهرين المتضادين : الخير والشر .



(١)

الزيدية البترية المبتدعة . . . وكان مجبراً<sup>(٢)</sup> . ومثل هذا ورد في كثير من الاصول<sup>(٣)</sup> . فالواقع ان معاصريه قد شكوا في عقيدته ولكننا لم نرلهم نسي ذلك حجة معقولة . فمنهم<sup>(٤)</sup> ان اعتمد على قوله :

اذا ما استجزت الشك في بعض ما ترى فما لا تراه الدهر امضى واجـوز  
وقوله :

يا رب لو انسيتهما وهــي في جنة الفردوس لم انسىـا<sup>(٥)</sup>

(١) الزيدية : " فرقة نسبت الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، تقصر الامامة على اولاد فاطمة ولا تجيز الامامة في غيرهم . والبترية طائفة منهم اصحاب كثير النوى الا بتر ، توقفوا في امر عثمان اهو مومن ام كافر ، وفضلوا علياً على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم " ( الاغانى ٦ / ٤ الهامش . راجع الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٢٤٩ ، ٢٦١ ) .

(٢) الاغانى ٥ / ٦ -

(٣) راجع طبقات الشعراء ٢٢٨ ، ٣٦٤ ، وتاريخ بغداد ٦ / ٢٥٣ والشعر والشعراء . ٢ / ٢٦٥ .

(٤) الشعر والشعراء ٢ / ٢٦٩ .

(٥) وردت في طبعة احمد محمد شاكر " انسا " بشكل طباعى يوحى بان حرفا قد سقط بين السين والالف ومراجعة طبعة ليدن اتضح انه سقط بالفعل حرف ، وهو هاء الضمير . فاعتمدنا هذه القراءة التي تتفق مع الوزن وسياق الكلام .

و منهم من احتج بأنه لا يذكر في شعرة الجنة والنار ، وإنما يذكر الموت فقط <sup>(٢)</sup> . ولعل ابن المعتز كان من أشدهم اعتدالا وتَوَرُّباً في الحكم عليه ، فقد قال : " ويرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواظ ، وذكر الموت والحشر والنار والجنة والذي يصح لي أنه كان ثنوباً " <sup>(٣)</sup> . ولكنه يروى عن علي بن إسحاق عن الفضل المبار في موضع آخر أن أبا العتاهية كان " خبيث الدين يذهب مذهب الثنوبية " <sup>(٤)</sup> . و <sup>(٥)</sup> . و  
يعدم أبو العتاهية المدافعون . فقد حدث رجاء بن سلمة فقال : " سمعت أبا

العتاهية يقول : قرأت البارحة " عم يتسألون " ثم قلت قصيدة احسن منها . قال :  
وقد قيل ان منصور بن عمار شنع عليه بهذا " (٦) . ويروى النسائي عن ابن ابي العتاهية  
ان جارة لابي العتاهية وشّت به الى حمدويه صاحب الزنادقة فقد رآه يقنت ذات ليلة  
فرعمت انه يكلم القمر . فها ت حمدويه في منزلها يرقبه فرآه يهلي ولم يجد عليه مأخذا .  
ويعقب الراوى على القصة بحماسة المنتصر للحق يعرض بحمدويه العتي الشديد بقوله " وانصرف  
حمدويه خاسئا " (٧) .

ومن الطبيعي ان يرد ابو العتاهية على هذه التهمة . ففي "الاجانبي" " انه قال : زعم الناس اني زنديقي . والله ما ديني الا التوحيد . فقلنا له ، فقل شيئا نتحدث به عنك فقال :

(١) راجع الشعر والشعراء ٢٦٩/٢

(۲) الاغانى ۳۴/۴

(٣) طبقات الشعراء ٢٢٨

(٤) المقصود بالثنوية " هؤلاء اصحاب الاثنين الأتريين يزعمون ان النور والظلمة ازيلان قديما ، بخلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام . . . " ( راجع المل والنحل للشهرستاني ٧٢/٢ )

واى بنى آدم خالده  
وكل الى ربه عائده  
— ام كيف يجده جاحده  
تدل على انه واحد " (١)

الا اننا كنا بالهد  
وهدوهم كان من ربه  
فيا عجباً كيف يعصي الاله  
وفي كل شيء له آية

ولا يصح عندي ، ان يعتبر هذا الشعر تنبيهاً للتهمة . فقد يكون ابو العتاهية  
وضعه خصيصاً وزعم ان آراءه فيه من صلب عقيدته ليرأى من تهمة الزندقة التي كان حاسبها  
عسيراً يومذاك . ولكني لا أؤيد التهمة وان يكن الرأي الحديث أميل الى الطعن نفسي  
اسلامه بناءً على معان ظن انها تدل على الاثنينية<sup>(٢)</sup> في شعره وعلى الزهد — وهو من  
مبادئ المانوية —<sup>(٣)</sup> ، فان الاخذ بهذا الرأي فيه كثير من التجنسي على الرجل ،  
ولا يصح قبل تحييد دقيق لهذا الشعر ولمذهب الاثنينية .

(١) الاغانسي ٣٥ / ٤

(٢) الاثنينية مذهب المجوس الذين يقولون بالنور والظلمة كاهلين " اثنين مدبرين  
قد يمين ، يقتسمان الخير والشر والنفع والضرر والعلاج والفساد . ويسمون احدهما  
النور والثاني الظلمة " ( راجع الملل والنحل للشهرستاني ٦٠ / ٢ )

(٣) يقول الشهرستاني عن المانوية انها المذهب المنسوب الى مانسي  
الذي كان يرى ان العالم مصنوع من نور وظلمة وانهما ازليان . وانكر  
وجود شيء من غير اصل قديم . وعنده ان النور والظلمة قوتان متضادتان .  
ومن تعاليمه انه " فرض العشر في الاموال ، والصلوات الاربع في اليوم والليلة ،  
والدعاء الى الحق ، وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة  
الاوثان . . . " ( انظر الملل والنحل ٧٢ / ٢ — ٨١ )

وبناءً على أنه لا يذكر البعث في شعره ، ولا يؤمن إلا بما تقع عليه الحواس . كل هذا من مظاهر الضعف في مذهبه كما يرى بعض الباحثين (١) . إلا أن "بروكلن" يرى "أن ما قيل عن أبي العتاهية أنه لا يذكر البعث في شعره ، ولا يتكلم إلا عن الموت قول لا يستند إلى أصل" (٢) . وقريب من هذا الرأي ما يقوله "نكلسون" " من أن تفكير أبي العتاهية يخلو من الكفر الصريح . بيد أن في شعره نزعة فلسفية لا تتفق ولا تعبر عن المفهوم الديني الإسلامي . وكان هذا كافياً لأن يعده معاصروه من العلماء ملحدًا . ويقول أيضاً أن في شعر أبي العتاهية بالرغم من كل ما يقال فيه ، معاني إسلامية كالبعث والحساب ، ويستشهد بقصيدته "لدا للموت . . . " (٣)

(١) الصراع بين الموالي والعرب ١٨

(٢) ورد هذا الرأي في "الصراع بين الموالي والعرب" ١٨

(٣) - . 299 A Literary History of the Arabs , Nicholson ,

وقد تبين لنا من مطالعة شعر أبي العتاهية أن "بروكلن" " محق في ما ذهب إليه . فالواقع أن في شعر أبي العتاهية ذكراً صريحاً للبعث من ذلك قوله :

|                          |  |
|--------------------------|--|
| وما هي إلا رقدة غير أنها | تطول على من كان فيها إلى الحشر (الديوان ١٠٠) |
| و                        |  |
| أفريت عمرك باقتـرارـك    | ومناك فيه وانتظـارـك                         |
| ونسيت ما لا بد منه       | وكان أولى بأذكـارـك                          |
| لك ساعة تأتيك من         | ماعات ليلك أو نهـارـك                        |
| أأخي فاذخر ما استطعت     | ليوم يؤمك واقتـارـك                          |
| فلتنزلن بمنـزلـ          | تحتاج فيه إلى اذخـارـك (الديوان ١٢٦)         |

|                               |  |
|-------------------------------|--|
| فلو كان هول الموت لا شيء بعده | لهان علينا الأمر واحتقر الأمر              |
| ولكنه حشر ونشر وجنـة          | ونار وما قد يستطيل به الخـبر (الديوان ١١١) |
| و                             |  |
| إلا للموت كأس أي كـأس         | وانت لكأسـه لا بد حـاس                     |
| إلى كم والمعـاد إلى قـرب      | تذكر بالمعـاد وانت نـاس (الديوان ١٣٠)      |
| دُهِبَت من الدنيا فكيف تغرنا  | أم كيف تخذع من تشاء فينخدع                 |
| والمرء بوطنها ويعلم أنـه      | عنها إلى وطن سواها منقلـع (الديوان ١٤٨)    |

ولكن "فايدا" يستدل انه اثبتني من ارجوزته التي اعتمد منها على هذه الابیات (١) :

|                          |                            |
|--------------------------|----------------------------|
| واوسط واصغر واكبر        | لكل شيء معدن وجوه          |
| وساوس في الصدر منه تعتلج | من لك بالمحض وكل متمزج     |
| اصغره متصل باكبـره       | وكل شيء لاحق بجوهـره       |
| مزوجة الصغر بالوان القذى | ما زالت الدنيا لنا دار اذى |
| لذا نتاج ولذا نتاج       | الخير والشر بهـا ازواج     |
| يخبث بعض ويطيب بعض       | من لك بالمحض وليس محض      |
| خير وشر وهما ضدان        | لكل انسان طبيعتـان         |
| بينها بون بعيد جدا       | والخير والشر اذا ما عـدا   |
| الصمتان ضاق الكلام اوسع  | كذا قضى الله كيف اصنـع     |

... الخير والشر والصفو والكدر والمحض والمتمزج وما يتولد من المعاني التي ترجع الى النور والظلمة اللذين تدين بهما المانوية والمزدكية (٢) ثم يترك الفصل في الحكم على ابي العتاهية ويقول "اننا لا نعلم اكان ابو العتاهية موحدا فاخذ نظرة الاثنينية مسن المانوية ليستعين بها على توضيح العالم في وجهتي الخير والشر حيث تنو احيانا

(١) الصراع بين الموالي والعرب ٩٨-٩٩ راجع الارجوزة في ديوانه صفحة ٣٤٦  
 (٢) يقول الشهرستاني ان المزدكية مذهب مزدك . وهو يشبه مذهب ماني في ان الكون قوامه النور والظلمة . ولقد احل مزدك النساء والاموال " وجعل الناس شركة فيها كما شتركهم في الماء والنار والكلاء " اعتقادا منه ان الاموال والنساء مصدر كل خصومة وهداوة ، فاشاعتها بين الناس تعني اشاعة اسباب التوافق والتواد والقضاء على بواعث النفرة والشقاق ( راجع الملل والنحل ٨٣/٢ - ٨٩ ) .

بالآلام واخرى تسربالمباهج . ام ان توحيدهم كان قناعا يتستر به لنشر مبادئه المانوية  
كما هي طبيعة اهل هذه النحلة <sup>(١)</sup>، وهو ما ذهب اليه "ماسينيون" الذي  
انهم بهذا التستر <sup>(٢)</sup> .

ويعد الدكتور عبد الرحمن بدوي ابا العتاهية من الشعراء الزنادقة، ويحتج  
برأى "فايدا" الذي اشرنا اليه آنفا <sup>(٣)</sup> . وليس في مقدورنا ان نفصل هنا في هذه  
القضية الشائكة التي تباينت فيها آراء القدامى والمحدثين على السواء، أدباء وباحثين  
واشتطت احيانا كثيرة . ولكن يلوح لي ان شعرا الرجل قد حمل فوق ما ينبغي، وان تاريخه  
الذي ينبغي ان يكون ليوحي بالتقوى والورع هو الباعث على هذا الشك كله . ولا  
ننسى بهذه المناسبة أن ابا العتاهية مولى من اصل فارسي . وهذا يلقي بعض  
النور على ما غمز في عقيدته من مبادئ دينية قد ترجع في اساسها الى الفرس .

#### شعره وشاعريته :

وفي بغداد انتهج شاعرنا نهجا جديدا : اطرح رداء الخمول واقبل على  
الشعر يتوسل به الى قصور الخلفاء والوجهاء . ولقد كان له من هذا الشعر الذي  
سنرى بعد قليل انه حاز اعجاب الكثيرين من معاصريه وغير معاصريه - خير عون على  
الوصول الى البلاط العباسي حيث نال الحظوة والرعاية اللتين اسبغهما عليه  
ذلك المديح الذي كان ينشره على الخلفاء والوجهاء ، فانارتا حفيظة كثيرين عليه وحسد هم .

(١) راجع هذا الرأي في كتاب "الصراع بين الموالي والعرب" ١١

(٢) راجع "الصراع بين الموالي والعرب" ١١

(٣) انظر كتاب "من تاريخ اللاحاد في الاسلام" ٣٨

فذاق مع طعم المال والجاء طعم الحسد والوشايات • ويبدوانه بالرغم من ثقافته  
المحدودة (١) ، استطاع بشعره ان يثيق طريقه في زحمة الحاسدين والواشين ، وان  
يجعل لنفسه مكانة مرموقة الجانب • ولم يكن سلاحه في هذا إلا شعره الذي فتح  
له ابواب القصور والقلوب • وشهادات كبار الادباء في هذا الشعر لا تخرج في  
فحواها عن الاعجاب والتقدير • فالواقع ان الرجل كان شاعرا بطبعه • قال الجاحظ :  
" سمعت ابا العتاهية يقول : لو شئت ان يكون حديشي كله شعرا موزونا لكان ... " (٢)  
وكانت له اوزان ابتكرها - على ما يروون - لا تدخل في العروض • ولما سئل ذات مرة  
" هل تعرف العروض ؟ " اجاب اجابة الحائق على ماضيه التائر على نقصه القديم ،  
المدل بالقوة الجديدة التي اوتىها " انا اكبر من العروض " (٣) • وقال ذات مرة :  
" لو شئت ان اجعل كلامي كله شعرا لفعلت " (٤) • ولقد وصف قدرته على النظم  
وصفا جميلا بليغا ، فيه ذلك الادلال بهذه القوة السحرية المحدثه فيه : " ما  
اردته قط الا مُثِّلَ لي فاقول ما اريد واترك ما لا اريد " (٥) .  
وواضح انه كان قادرا على النظم ، حاضر البديهة والحواسله " ... اطلع  
الناس بشار والسيد ( المقصود هنا السيد الحميري ) وابو العتاهية • وما قدر  
احد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرة • وكان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل  
الالفاظ ، كثير الاقتنان ، قليل التكلف ، إلا انه كثير الساقط المزدول مع ذلك • واكثر  
شعره في الزهد والامثال " (٦) .

(٤) الاغاني ١٣/٤

(٥) الاغاني ١٣/٤

(٦) الاغاني ٢١-٢٢

(١) الاغاني ٨١/٤

(٢) البيان والتبيين ١١٥/١

(٣) الاغاني ١٣/٤

وهذه القدرة العجيبة على النظم (التي شهد لها امثال ابي نواس وشار والجاحظ وابي تمام (١) ، وابن المعتز (٢) ، والمسعودي (٣) ، وغيرهم كثيرون (٤) ، والتي حملت آخرين على التعصب له كالرشيد نفسه ) هي نفسها علّة ما اخذ على هذا النظم من غثاء . حدث المرزباني قال : " سمعت اسحاق بن ابراهيم الموصلي يقول : أنكر الرشيد عليّ طعني على ابي العتاهية في شعره . فقلت : يا امير المؤمنين هو اطبع الناس ولكن ربما تحرف . اى شيء من قوله :

هو الله هو الله ولكن يغفر الله " (٥)

ويقول المرزباني في موضع آخر من الكتاب بسند عن المبرد : " كان ابو العتاهية مع اقتداره في قول الشعر وسهولته عليه يكثر عثاره وتغاب سقطاته (٦) . وكان يلحن نسي شعره ، ويركب جميع الاعاريض . وكثيرا ما يركب ما لا يخرج من العروض اذا كان مستقيم الهاجس فمما اخطأ فيه قوله . . . " (٧)

ولعل اجمع وصف ، واعدل حكم ما قاله الاصمعي : " شعر ابي العتاهية كساحة الملوك ، يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى (٨) .

وفي "مروج الذهب" انه خرج عن العروض المعروفة في مثل قوله :

همّ القاضي بيت يطرب      قال القاضي لما عوتب  
ما في الدنيا الا مذنب      هذا عذر القاضي واقلب

وزنه فعُلُنَ فعُلُنَ اربع مرات . وقد قال قوم ان العرب لم تقل على وزن هذا :

- 
- (١) راجع الاغاني ١٥ / ٤ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٧١ ،  
(٢) طبقات الشعراء ٢٢٩ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ٩٨ .  
(٣) تاريخ بغداد ١ / ٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ، الاغاني ١٠ / ٤ ،  
(٤) الموشح ٢٦٢ ، راجع ٢٥٥ - ٢٥٧ ،  
(٥) الاغاني ٤٠ / ٤ ،  
(٦) الموشح ٢٦٢ ، راجع ٢٥٥ - ٢٥٧ ،  
(٧) الاغاني ٤٠ / ٤ ،  
(٨) البيان والتبيين ١ / ٥٠ ،



” كأنه نظر الى القمار اخذ ثوباً بعد ثوب، فسيبهه بأخذ الموت انساناً بعد انسان واخذ الوزن من وقع الكد بين (٢)

والواقع ان من ابرز مزايا شعراي العتاهية السهولة ولكنها سهولة قد تتمم بالغثاة من قوله :

;

سبحان من يعطي بغير حساب  
ومدبر الدنيا وجاعل اهلها  
يا نفس لا تتعرضي لعطية  
يا نفس هلا تعلمين فائدا  
ملك الملوك ووارث الارباب  
سكننا ومنزل عيث كل صاحب  
الا عطية ربك الوهـلب  
في دار معتسل لدار ثواب  
(الديوان ٣٠)

ولقد تحرينا وجه التجديد في هذه الابيات ، ورجعنا الى كتب العروض ، فرأينا ان التجديد في البيتين الاولين " هم القاضي . . . " ما هو الا اللجوء الى الخبن في " فاعِلُنْ " ، اى حذف الحرف الثاني الساكن ، فعار الوزن ؛ " فَعِلُنْ " - بكسر العين - ، ثم الاضمار ، اى اسكان الحرف الثاني المتحرك منه ، فعار الوزن ؛ " فَعْلُنْ " - اسكان العين - . اما الخبن في بحر المتدارك الذى نظم فيه ابو العتاهية هذين البيتين فليس جائزا بحسب ، ولكنه كذلك من اجزاء هذا الوزن المألوفة . واما الاضمار فجائز عامة ومستحسن في هذا البحر خاصة . واما البيت " الشون مغنيات . . . " فقد جعل ضرب عجزه ( وهو من بحر الرمل ) على وزن " فاعِلُنْ " بدلا من " فاعلاتن " فلعل تطويعه الوزن على هذا الشكل ، واستعاضته بهذه الجوازات العروضية ، وحسن توفيقه في اخراج كل ذلك باسلوب سهل مغاير لاسلوب القدامى التقليدى هو الذى حمل القدامى على وصفه بالتجديد في الشعر واستحداث الاوزان .

يهدوان حبه المشهور لعتبة ليس اول حبه ، بدليل ما ورد في كتاب الاغانسي  
من انه احب في حدائته نائحة اسمها سعدى كانت مولاة لمعن بن زائدة ، وان ابن  
معن عبد الله تهدده ونهاه ان يعرض لها <sup>(١)</sup> . ويقول العباسي ان ابا العتاهية كان

"مولعا بالنساء" ويذكرانه احب سعدى هذه ويورد بعض شعره فيها (١) .  
والغريب ان الاصفهاني الذي افرد له في "الاغاني" صفحات طويلة (٢) لم  
يعرض لحبه الا بالذكر العابر السريع . وقد قال في مقدمة كلامه عنه "ذكر  
نسب ابي العتاهية واخباره سوى ما كان منها مع عتبة فانه افرد لكثرة العنفة  
في تشبيه بها ، وانما اتسعت جدا فلم يصلح ذكرها هنا لئلا تنقطع المائة  
صوت المختارة وهي تذكر في موضع آخر ان شاء الله تعالى" (٣) ، ثم قال  
في خاتمة كلامه عنه "ولم اذكرها هنا مع اخبار ابي العتاهية اخباره مع  
عتبة ، وهي من اعظم اخباره لانها طويلة وفيها اغان كثيرة . وقد طالت اخباره  
ها هنا فافردتها" (٤) . ولكنه لم يفرد لها الا اذا كان يقصد بذلك ما يقصده  
في ثنايا الاجزاء الاخرى من ابیات في معرض حده عن صوت من الاصوات او مغن  
من المغنين وكل ذلك لا يؤولف بالمجتمع ما وصفه بالاخبار الطويلة المهمة ، ولا  
يعد والاشارة العارضة (٥) .

---

(١) معاهد التتبع ٢/٢٩١ . والجدير بالذكر ان ديوانه الذي بين ايدينا وهو  
النسخة الوحيدة المطبوعة منه لم يذكر له شيئا من الغزل . ومثل هذا الشعر  
يجده الباحث في "تاريخ بغداد" ٦/٢٥٦ - ٢٥٧ ، "زهر الآداب" ٢/٣٥ -  
٣٦ ، "مروج الذهب" ٦/٢٤٦ - ٢٤٨ ، و٧/٨٣ - ٨٧ ، الخ . . .

(٢) الاغاني ٤/١١٢

(٣) الاغاني ٤/١

(٤) الاغاني ٤/١١٢

(٥) الاغاني ٥/١٦٢ - مثلا . ويكاد يكون ثابتا ان كتاب "الاغاني" الذي

بين ايدينا لم يكمل بعد . ولعلها اخباره مع عتبة في الجزء الذي لم يعثر  
عليه بعد . وليس هذا ببعيد ، فان ابا الفرج ذكر في مناسبات عن عزمه الكلام  
عن ابي نواس ، ثم لم نجد في ما بين ايدينا من الاغاني شيئا من ذلك . وانه  
لاحتمال بعيد ان يغفل ابو الفرج عن مثل ابي نواس .

مهما يكن من امر فقد اقرا ابو الفرج بشيئين مهمين في هذا الحب : المكان الذي شغله من انباء شاعرنا ، وكثرة المنفعة فيه . ولو شئنا ان نستبق الحوادث ونجور على ابي العتاهية قبل ان نستقوي الوقائع لقلنا ان ابا الفرج يدب فيه ويكذب حبه الذي يتصنعه ويتكلف فيه الشعر . وحكم ابي الفرج هذا جاهر به الحصري بعد ذلك بنحو قرن فقال في " زهر الآداب " ان حبا ابي العتاهية هذا كذب كله " وكل ذلك فيما زعم الرواة تصنع وتخلق لمذكر بذلك " (١) . ثم جاء الخطيب البغدادي يؤيد رأى الحصري ويقول نقلا عن ابن ابي العتاهية " اقبل ابي يمدح المهدى ويجتهد في الوصول اليه ، فلما تطاولت ايامه احب ان يشهر نفسه بامر يصل به اليه ، فلما بصر بعتبة راكبة في جمع الخدم تتصرف في حوائج الخلافة ، تعرض لها وامل ان يكون تولعه بها هو السبب الموصل الي حاجته ، وانهمك في التشبيب بها والتعرض في كل مكان لها ، والتفرد بذكرها ، واظهار شدة عشقها " (٢) .

وهذه الشهادة ان صحت - وليس في سياق حبه هذا ما يكذبها كما سنرى - ففيها كل الدليل على كذب حبه . ولنصغ الى البغدادي بقصصنا هذه القصة عن حب شاعرنا لعتبة ندرك ان هذا الحب لم يكن اكثر من دور تمثيلي اتقنه ابو العتاهية كل الاتقان حتى تقمصه : " . . . قلت لابي العتاهية يا ابا اسحاق حدثني بقصتك مع عتبة فقال لي : احدثك ، قدمنا من الكوفة ثلاثة

(١) زهر الآداب ٢٠/٢

(٢) تاريخ بغداد ٦/٢٠٦

فتيان شبابا ادباء ، وليس لنا ببغداد من نقصده ، فنزلنا في غرفة بالقرب من الجسر ،  
فكنا نكر فنجلس في المسجد الذي بباب الجسر في كل غداة ، فمرت بنا يوما امرأة  
راكبة معها خدم سودان ، فقلنا من هذه ؟ قالوا : خالصة ، فقال احدها :  
قد عشقت خالصة ، وعمل فيها شعرا ، فاعناه عليه ، ثم لم نلبث ان مرت اخرى  
راكبة معها خدم بيضان ، فقلنا من هذه ؟ فقالوا عتبة ، فقلت قد عشقت عتبة ،  
فلم نزل كذلك في كل يوم الى ان التأمت لنا اشعار كثيرة ، فدفع صاحبي بشعره الى خالصة ،  
ودفعت انا بشعري الى عتبة ، والحننا الحاحا شديدا ، فمرة تقبل اشعارنا ومرة تطرد ...  
وانما اردت ان اشرف بولائها ... (١) . وهكذا اعترف ابو العتاهية بانه لم يعشق  
عتبة ولكنه تمنع حبها عنها او ادلا بمقدرة ، او تزجية لوقت ، واقر بانه اكتب على  
الشعر يقرضه فيها وينظمه جميعا حتى تم دفعه اليها . وهكذا كان حبه " جاهزا "  
او " تحت الطلب " - بلغة البائعين - ا ولكن الروايات لا تقطع بكذب هذا الحب .  
حتى البغدادى نفسه يتم هذه القصة التي يرويها ابو العتاهية عن نفسه فيصف لحاقه  
بعتبة ذات يوم واغراءها له بالمال حتى لا يعرض لها " ... فقلت جعلت فداك .  
ما اصنع بعرض من الدنيا وانا لا اراك . وانك لتبطلين يوما واحدا من الركوب فتضيق  
بي الارض بما رحبت ، وهي تأبى الا ذكر المال حتى جعلت لي الف دينار ، فابيت وجاذبتها  
مجانبة شديدة ، وقلت لو اعطيتني جميع ما يحويه الخليفة ما كانت لي فيه حاجة وانا  
لا اراك بعد ان اجد السبيل الى رؤيتك " (٢) .

(١) تاريخ بغداد ٦/٢٥٤-٢٥٥

(٢) تاريخ بغداد ٦/٢٥٥

والمعادرا لآخرى لا تشك في هذا الحب <sup>(١)</sup> ، وان كانت رواية المسعودي في "مروج الذهب" وهي على عهدة راويها الذي نقل عنه المسعودي ، تكاد ترجح الشك فيه . فقد روى ان المهدي هم بان يدفع الى ابي العتاهية عتبه ، فتوسلت اليه بخدمتها وحققا عنده ان يستبقها من "بائع جرار مكتسب بالشعر" ، وان المهدي رقى قلبه لها ، فاسترضى ابا العتاهية بملء برنية من ذهب ، فخرج يجادل الكتاب "يقول انما امرلي بدنانير وهم يقولون له المال دراهم" . فلما رآه عتبه كذلك قالت "اما لو كنت عاشقا لعتبه لشغلت عن تمييز العيين (الذهب) من الورق (الفضة)" <sup>(٢)</sup> . ولكن المسعودي يذكر روايات اخرى يستشف منها انه كان صادق الحب . وان كان منها السخيف التافه كاحتياله عليها وتكره ليظفر بتقبيل يدها وما الى ذلك <sup>(٣)</sup> .

واراني اميل الى الطعن في هذا الحب لاسباب منها :

١ - انباء هذا الحب جميعا لا توحى بقصة غرام عفيف . بل لا توحى بقصة غرام اصلا . فهي قليلة اولا ، ثم غشة ، جامدة الروح ، تتكرر في الاصول جميعا باشكال وقوالب شتى . وآثار هذا الحب - لو صدق - معدومة في حياة شاعرنا . ولا محيى لهذا الغرام ، لو صح ، ان يطبع حياة ابي العتاهية بطابع خاص ينبي عنه نبأ من انبائه ، ولكن انباء كلها في ذلك سواء .

(١) راجع الموشى ٥٤/١ مثلا

(٢) مروج الذهب ٦/٢٤٠ - ٢٤٤ وفيات الاعيان ١/١٩٩

(٣) مروج الذهب ٦/٢٤٨ - ٢٤٩ ، تاريخ بغداد ٦/٢٥٤ - ٢٥٥

٢ - في رواية أبي العتاهية نفسه من حبه لها وحب زميلها لخالعة ، وفي رواية ابنه - وهما راجحتان عندي لجميع قرائن هذا الحب - ما يؤكد بطلان عشقه .

٣ - لو فرضنا انه كان متيقنا بمعمودا ، فبم نفسر خلو غزله ( وهو الشاعر البارح المطبوع ) من الحرارة والعاطفة ؟ واى شيء من صدق الحب واضطراب العاطفة قوله :

|  |   |
|--|---|
| راعني يا زيد صوت الغراب                      | بحذاري للبين من احبابي                                    |
| يا بلائي وبأثقل احشا                         | نسي وتعمسي لطائر نعتاب                                    |
| افصح البين بالنعيب وما                       | لي في نعيه بالايــــــــــــــــــــــــــــــــاب        |
| فاستهلت مدامعي جزعا مند                      | هـ بدمع ينهل بالتعكــــــــــــــــــــــــاب             |
| ومنعت الرقاد حتى كائنسي                      | ارمد العين او كحلت بهــــــــــــــــــــــــاب           |
| قلت للقلب ان طوي رحــــــــــــــــــــــــل | لهواه البعيد بالانــــــــــــــــــــــــــــــــاب      |
| انت مثل الذي يفتر مــــــــــــــــــــــــن | حذار الندي الى الميــــــــــــــــــــــــــــــــاب (١) |

معان ترصف ، وكلمات ترص : جسم بلا روح . واذا قلنا انها ابيات في سعدى وليست في عتبة التي ملكت عليه لبه كما شهر عنه ، والتي خاض في امرها وامره السرواة حتى القوا فيما القوا من كتب العشق " كتاب ابي العتاهية وعتب " (٢) ، فلنصفغ اليه يقول في عتبة :

يا عتب مالي ولك  
ملكني فانتكسي  
ابيت لي لي ما هـ را  
مفترشا حمر الغضبي

يا ليتني لـم ارك  
ما شئت ان تتكسي  
ارعى نجم القـك  
ملتحم بالحمـك (٣)

(۱) تاریخ بغداد ۲۵۶/۶

(٢) الفهرست ٣٠٦-٣٠٧

(٢) مروج الذهب ٨٤ / ٧

زهرة منورة ولكن لا عبق فيها ولا اريج • واحاسيس عادية رخيصة :

|  |   |
|--|---|
| <p>وكل امرئ عن شجو صاحبه خلو<br/>على حره في صدر صاحبه حلو<br/>فلم يبق الا الروح والبدن النضو<br/>هو صادق الا بداخله زهو<br/>وما لي سواها من حديث ولا لهو<br/>من الود مني فضلة ولها العفو (١)</p> | <p>اخلاى بي شجو وليس يك شجو<br/>رايت الهوى جمر الغضى غير انه<br/>اذاب الهوى جسدي وعظمي وقوتي<br/>وما من حبيب نال من يحبه<br/>واني لنائي الطرف من دون خلتي<br/>لها دون اخواني واهل مودتي</p> |
|--|---|

او :

|   |   |
|---|---|
| <p>فلقد احطت بطعمها طمعا<br/>فرايته قد عدها جرمعا<br/>لحما ولا ابقيت لي عظما<br/>اعمى ولكن الهوى اعمى<br/>ليرى على وجهي به وصفا (٢)</p> | <p>من لم يذق لعبابة طمعا<br/>اني منحت مودتي سكنا<br/>يا عتب ما ابقيت من جسمي<br/>يا عتب ما انا من صنيعك بي<br/>ان الذي لم يدرك ما كلف</p> |
|---|---|

والشاعر العاشق قد يعدم كل وسيلة يبت بها عشقه الا شعره • فاين العاطفة

واين العشق في هذا الشعر ، بل النظم ؟ وبعد ، فليس يبعد ان يكون هذا  
الحب وسيلة تدرع بها ابوالعاهية ليشهر وتفتح له ابواب الخليفة • فقد سمعنا  
قول ابنه قبل قليل ان اباه ابتغى بحبه لعبته - وقد رأى منزلتها في قصر  
المهدي - ان يبلغ اهدافه البعيدة • وليس مما يجافي المنطق في شيء ان يزعم زاعم  
انه قصد من وراء هذا الحب المزيف اثاره ضجة حول اسمه ليشهر ويعرف • ونحن نعلم  
ان صلتهم بالخلفاء بدأت بالمهدي ، اول ما بدأت ، بعد ان توجه الى بغداد ، وان عتبة

(١) مروج الذهب ٧ / ٨٠-٨١

(٢) مروج الذهب ٧ / ٨٦-٨٧



هذه جارية المهدي الاثيرة عنده . وفي "زهر الآداب" ان المهدي غضب  
لما بلغه ان ابا العتاهية يشبب بعتبة فصره مائة سوط وقال "أبسي  
يتعرض ولحرمي يتعرض وينسائي يعبث ؟ ونفاه الى الكوفة" (١) وقد قال المسعودي  
قبله شيئاً بهذا المعنى : " وذكر جماعة من حملة الآثار والناقلين للاخبار  
ان ابا العتاهية لما اكر تشبيهه بعتبة جارية الخيزران شكته الى سيدتها ما  
يلحقها من الشناعة . ودخل المهدي وهي تبكي بين يدي سيدتها فسألها عن  
خبرها فآخبرته فامر باحضار ابي العتاهية فادخل اليه . فلما وقف بين يديه  
قال له انت القاتل في عتبة :

الله بيني وبين مولاتي      أبدت لي الصد والامانات  
وعلى وصلتك حتى تشكو صدها عنك ؟ قال : يا امير المؤمنين ما قلت ذاك . بل  
انا الذي اقول . . . ثم سأله عن اشياء ، فأفحم ابا العتاهية في الجواب ، فجلبد  
نحوه من حدة . واخرج مجلوداً فلقيته عتبة وهو على تلك الحال فقال :  
بخ بخ يا عتب من اجلكم      قد قتل المهدي فيكم قتيلاً " (٢)  
وفي الاغانسي " انه حين سبب تشبيهه بها (٣) . و ابا العتاهية يعترف بمكانة  
عتبة من المهدي لما شبب بها بقوله :  
الا ان ظبياً للخليفة صادني      وما لي على ظبي الخليفة من عدوى (٤)

(١) زهر الآداب ٣٦/٢-٣٧

(٢) مروج الذهب ٢٤٠/٦-٢٤٣

(٣) الاغانسي ١٦٢/٥

(٤) زهر الآداب ٣٦/٢

ونحن نعلم انه كان مولعا بالنساء <sup>(١)</sup> . فلم لا يكون هذا الحب صبوة ، او نزوة شاب  
ابتغى به المتعة والشهرة معا ؟ ولا يفوتنا في هذا المقام ان ننوه بيد الرواة التي  
عملت عملها وحاكت كثيرا في اخبار حبه حتى وصلتنا مضخمة بهذا الشكل .

### زهده وآخر امره :

ونأتي الآن الى تزهد الذي تباينت فيه الآراء . ولن نفيض في الكلام عنه  
هنا ، لان موضع ذلك فصل خاص تال . وحسبنا حتى تستقيم صورته في اذهاننا ، ان  
نشير الى انه ختم حياته بالنسك . وليس هذا محل خلاف . فهو امر مفروغ منه .  
ولكن الخلاف في صدق هذا النسك وفي دوافعه . فمن الناس من رده الى فشله  
في حبة عتبة <sup>(٢)</sup> . وسنرى في بحثنا عن زهده ان هذا تأويل خاطي ، ما دام هذا  
الحب مشكوكا في صدقه . ومنهم من زعم انه رأى في منامه آتيا اتاه فلامه على قوله  
في عتبة :

الله بيني وبين مولاتي      ابدت لي الصد واللامات  
وقال : " ما اصبحت احدا تدخله بينك وبين عتبة يحكم لك عليها بالمعصية الا الله  
تعالى ؟ فانتبهت مذعورا وتبت الى الله تعالى من ساعتى من قول الغزل " <sup>(٣)</sup> .  
ولكنه لم يتب عن قول الغزل . فقد قاله بعد ان حبه الرشيد وضربه عقابا له  
على تركه اياه <sup>(٤)</sup> . ثم ان هذه الرواية واهنة ، واضحة فيها العنمة .

(٣) تاريخ بغداد ٦ / ٢٥٨

(٤) الاغانى ٤ / ٦٣-٦٤

(١) معاهد التتبع ٢ / ٢٩١

(٢) مروج الذهب ٦ / ٣٣٣-٣٣٦

وليس في الاصول اشارة معقولة تعلل زهده ، تخرج في فحواها عن مثل هذه

الاشارات • ولكن الشك في هذا الزهد قديم • فسلم الخاسر يعده رياء ويقول فيه :

|                         |                          |
|-------------------------|--------------------------|
| ما اقبج التزهيد من واعظ | يزهد الناس ولا يزهد      |
| لو كان في تزهيده صادقا  | اضحى وامسى بيته المسجد   |
| ورفض الدنيا ولم يلقها   | ولم يكن يسعى ويسترفد (١) |

اذن فابو العتاهية لم يرفض الدنيا شأن الزاهدين • ولكنه ظل متمسكا بها ،

مقبلا عليها • وقد قال المعري منهاجها :

|                    |                   |
|--------------------|-------------------|
| الله ينقل من شأنا  | رتبة بعد رتبة     |
| ابدى العتاهي نمكنا | وتأجغن حبيبته (٢) |

فتشأته المأجنة وتمسكه بالدنيا ( يمثل هذا في حرصه وبخله وتكلمه بشعره )

جميع هذا حصل نفرا من الباحثين على الشك في زهده •

وفاته : \_\_\_\_\_

بقي ان نقول كلمة حول وفاة ابي العتاهية • والروايات جميعا لا تذكر

سببا خاصا لموته ، مما يحمل على الظن انه مات ميتة طبيعية • انما هناك خلاف

يسير حول تاريخ هذه الوفاة • وهي على كل حال لا تخرج فيما يورث عن الفترة فيما

بين ٢٠٥ - ٢١٢ للهجرة •

(١) معجم الادباء ١١ / ٢٣٩

(٢) اللزومات ١ / ١٠٩

ولقد ارتأينا تسهيلا للبحث ، ان نذكر هذه الروايات بحسب اختلاف التواريخ .  
وامامنا خمس روايات : الاولى سنة ٢٠٥ ويتفرد بذكرها ابن قتيبة <sup>(١)</sup> ، والثانية  
سنة ٢٠٩ وقد وردت في "الآغاني" <sup>(٢)</sup> عن اسماعيل ابي ابي قتيبة ، والثالثة  
سنة ٢١٠ وقد وردت ايضا في "الآغاني" <sup>(٣)</sup> بسند عن ابن ابي العتاهية ، والرواية  
الرابعة تقول انها سنة ٢١١ ويؤيدها كل من الطبري <sup>(٤)</sup> ( المتوفى سنة ٣١٠ هـ )  
والمسعودي <sup>(٥)</sup> ( المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ) ، والاصفهاني <sup>(٦)</sup> ( المتوفى سنة ٣٥٦ هـ )  
الذي ذكرها مع روايات اخرى . والبغدادى <sup>(٧)</sup> ( المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ) ، وابن خلكان <sup>(٨)</sup>  
( المتوفى سنة ٦٨١ هـ ) ، والياقعي <sup>(٩)</sup> ( المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ) ، وابن كثير <sup>(١٠)</sup>  
( المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ) ، والعباسي <sup>(١١)</sup> ( المتوفى سنة ٩٦٣ هـ ) ، وابن العماد الحنبلي <sup>(١٢)</sup>  
( المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ) . ولعل المتأخرين من هؤلاء نقلوا عن سبقهم . والرواية الخامسة

- 
- |                          |                              |
|--------------------------|------------------------------|
| (١) الشعر والشعراء ٧٦٩/٢ | (٧) تاريخ بغداد ٢٦٠/٦        |
| (٢) الآغاني ١١١/٤        | (٨) وفيات الاعيان ٢٠٠/١      |
| (٣) الآغاني ١١١/٤        | (٩) مرآة الجنان ٤٩/٢         |
| (٤) الطبري ج ٢ ج ١٠/١٠٩٨ | (١٠) البداية والنهاية ٢٦٦/١٠ |
| (٥) مروج الذهب ٨١/٢      | (١١) معاهد التنصيص ٣٠٠/٢     |
| (٦) الآغاني ١١١/٤        | (١٢) شذرات الذهب ٢٥/٢        |

تقول انها حدثت سنة ٢١٣ . وقد ذكرها الاصفهاني <sup>(١)</sup> ، وابن النديم <sup>(٢)</sup> ،  
والبغدادى <sup>(٣)</sup> ، وابن خلكان <sup>(٤)</sup> ، والعباسي <sup>(٥)</sup> ، وابن كثير <sup>(٦)</sup> .

ولقد لاحظنا ان بعض المصادر ذكرت روايات متعددة عن تاريخ هذه الوفاة .  
ففي "الافاني" اربع روايات هي : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ . وفي "تاريخ بغداد" <sup>(٧)</sup>  
روايتان : ٢١١ ، ٢١٣ <sup>(٨)</sup> ، وفي "وفيات الاعيان" روايتان ايضا : ٢١١ ، ٢١٣ <sup>(٩)</sup>  
ثم في "البداية والنهاية" <sup>(١٠)</sup> ، ٢١٣ ، وفي "معاهد التنصيص" <sup>(١١)</sup>  
كذلك .

ولولا ان ابن قتيبة اقدم هؤلاء جميعا (توفي سنة ٢٧٦ هـ) ، لما توقفنا عند  
روايته التي لم يشركه في ذكرها احد (٢٠٥) . فقد عز علينا الدليل الذي يصلح لان  
يدعم هذه الرواية . أما الرواية القائلة بانه توفي سنة ٢٠٩ فهي كذلك وحيدة  
لم نثر على ما يؤيدها في ما وقعنا عليه من اخبار ابي العتاهية . والحكم فيها كالحكم  
في رواية ابن قتيبة .

أما رواية ابن عسلي تقول بان شاعرا توفي سنة ٢١٠ فدعاهم الكبرى انها شهادة ابنه .

(٧) راجع الافاني ١١٠/٤ - ١١١

(٨) تاريخ بغداد ٢٦٠/٢

(٩) وفيات الاعيان ٢٠٠/١

(١٠) البداية والنهاية ٢٦٦/١٠

(١١) معاهد التنصيص ٣٠٠/٢

(١) الافاني ١٠/٤

(٢) الفهرست ٦٨ (ذكر ابن النديم انه ألف هذا الكتاب سنة ٣٧٢ هـ)

(٣) تاريخ بغداد ٢٦٠/٢

(٤) وفيات الاعيان ٢٠٠/١

(٥) معاهد التنصيص ٣٠٠/٢

(٦) البداية والنهاية ٢٦٦/١٠

بقي امامنا احتمالان : ٢١١ ، ٢١٣ • اما سنة ٢١١ فقد ذكرها القدماء

امثال الطبرى الثقة والحجة في التاريخ • واما سنة ٢١٣ فالذين قالوا بها متأخرون

بالنسبة الى الطبرى • ثم ان منهم من شك فيها بدليل بدئيه بذكر سنة ٢١١ أولاً

ثم سنة ٢١٣ قائلا " وقيل ثلاث عشرة ومائتين " (١) •

وهكذا نرى اننا اذا تاريخين راجحين : ٢١٠ ، ٢١١ • وقد يكون الفرق

بينهما شهرا قليلة لا توجب عشاء التحيص والتحري • ومهما يكن من امره فقد

كما نأخذ برواية ٢١٠ المنسوبة الى ابنه - وهي احق الروايات - بالدرس والقبول -

لولا انها لم ترد الا في " الاغانى " الى جانب روايات اخرى : " اخبرني الصولسي

عن محمد بن موسى عن ابي محمد الشيباني عن محمد بن ابي العتاهية : ان ابا

توفى سنة عشر ومائتين " (٢) • فنحن اذن محقون في ايثار سنة ٢١١ عليها لاسباب :

- ان مصدرها الاول الطبرى وهو قد يسم وموثوق •

- انها وردت في غيره من الاصول بشكل يدل على انها قورنت بخيرها فرجحت •

- لم يقم عندنا الدليل على صحة سند رواية ٢١٠ الى ابنه •

- بين رواية ابنه ورواية الطبرى فرق يسير على كل حال • وما دامت رواية

الطبرى اثبتت من وجهة نظر التاريخ فهي احرى بالقبول •

وعلى كل فليس في ما وقع بين يدينا من انباء ابي العتاهية ما يوضح هذه القضية كل

الايضاح •

(١) راجع البداية والنهاية ٢٦٦/١٠ ومعه التتبع ٣٠٠/٢

(٢) الاغانى ١١١/٤

## - الباب الثاني -

- : -

### معالم الزهد في شعر ابي العتاهية

- - - - -

## - الفصل الاول -

### الزهد قبل ابي العتاهية

-----

### النزعة الزهدية قبل الاسلام :

الزهد ، نزعة ومفرد ، اقدم من ابي العتاهية بكثير . ففي الجاهلية كان نمعة زهد او نوع من التمسك . ويستدل زكي مبارك <sup>(١)</sup> على ذلك بلفظة الديان ، وهي تعني المتمسك في الدين ، ومثلها الرثاني اللتين عرفنا في الجاهلية . حتى ان الامام البويطي وصف بانه كان اما ما رانيا زاهدا . والرهبان الذين عرفوا في الجاهلية فسروا في القرآن بالزهاد . ويؤيد زكي مبارك رأيه بصيام الابد الذي كان ذائعا في الجاهلية ~~يقول~~ يقول الرسول عليه السلام " لا صام من صام الابد " . ولولا انه كان معروفا في الجاهلية لما نهى عنه الرسول ، وبالأديرة ، فيروى من " معجم البلدان " ان حنظلة بن ابي عسراء الذي نسك في الجاهلية وتصر بنى ديرا عرف باسمه . وينقل من " تاريخ بغداد "

---

(١) راجع التصوف الاسلامي ١/ ٥٣ - ٥٤ ( وقد لخصنا ذلك هنا )

ان هارون المذكور في قوله تعالى " يا اخت هارون . . . " كان رجلا صالحا في بني اسرائيل . " والصلاح هنا هو التمسك ، واخت هارون هي مريم وكانت بارض موصولة بالبلاء العربية " (١) . يقول ان من زهادهم من لبس الصوف . ويحتج بقول عبد الله بن شداد " اربع من كن فيه برى من الكبر : من اعتقل البعير وركب الحمار ، ولبس الصوف ، واجاب دعوة الرجل الدين " (٢) . وقد كان مكتوبا على دهرهنة المشهور :

بحيث شاد البيعة الراهب  
وعبر يقطبه القاطب  
لم يجب الصوف لهم جائب

ان بني المنذر عام انقضوا  
تنفح بالمسك ذنابهم  
والقز والكتان اثوابهم

" ومعنى هذا ان لبس الصوف كان يعيب المياسير " (٣) . ومعناه كذلك ان الصوف والاديرة والانقطاع للعبادة كانت كلها معروفة . وحسبنا ان نذكر في هذا المقام اسما امثال ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو ، واييه بن ابي الصلت من حكماء الجاهلية ، لندرك ان النزعة الزهدية كانت موجودة في الجاهلية . اما ورقة بن نوفل فهو " احد من اعتزل عبادة الاوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الاوثان " (٤) . وهو ابن عم السيدة خديجة زوج النبي الاولى الذي بشر النبي برسالته (٥) . وهو الذي وصفه النبي بقوله " قد

(٤) الاغانى ١١٩ / ٣

(٥) الاغانى ١٢٠ / ٣

(١) التصوف الاسلامي ٥٣ / ١

(٢) التصوف الاسلامي ٥٢ / ١

(٣) التصوف الاسلامي ٥٦ / ١



رأيت في المنام كأن عليه ثيابا بيضا ، فقد اظن ان لو كان من اهل النار لم ار عليه  
البياض " (١) ، وهو الذي نهى الرسول عن سبه (٢) . ولورقة هذا شعر  
ديني فيه نفحة من الزهد يروى منه صاحب الاغانى :

|                               |                                   |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| لقد نصحت لا أقوام وقلت لهم    | انا النذير فلا يغركم احد          |
| لا تعبدن الالهة غير خالقكم    | فان دعوكم فقولوا بيننا حدد        |
| سبحان ذي العرش سبحانا نعوذ به | وقبل قد سبج الجودي والجهد         |
| مسخر كل ما تحت السماء له      | لا ينبغي ان يناوى ملكه احد        |
| لا شيء مما ترى تبقى بشأنته    | يبقى الاله ويودى المال والولد     |
| لم تغن عن هرمز يوما خزائنه    | والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا     |
| ولا سليمان اذ دان الشعوب له   | والجن والانس تجرى بينها البرد (٣) |

اما زيد بن عمرو فيقول عنه الاصفهاني انه " احد من اعتزل عبادة الاوثان وامتنع من  
أكل ذبائحهم . وكان يقول : يا معشر قريش ، ايرسل الله قطرا السماء ، وينبت بقل الارض ،  
ويخلق السائمة فيترعى فيه وتذبحوها لغيره ؟ والله ما اعلم على ظهر الارض احدا على دين  
ابراهيم غيري " (٤) . وله شعر روي يفاير النزعة المادية التي طغت في الجاهلية :

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| ألم تعلم بان الله انسى     | رجالا كان شأنهم الفجور     |
| وابقى آخرين ببسرهم         | فيرو منهم الطفل الصغير     |
| وبينا المرء يعثر ثاب يومنا | كما يتروح الغصن النضير (٥) |

واميه بن ابي الصلت " قد نظروني الكتب وقراها ، ولبس المسوح تعبدوا ، وكان ممن  
ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ، وحرم الخمر وشك في الاوثان ، وكان محققا ، والتمس

(٤) الاغانى ١٢٣ / ٣

(٥) الاغانى ١٢٥ / ٣

(١) الاغانى ١١٩ / ٣

(٢) الاغانى ١٢٢ / ٣

(٣) الاغانى ١٢١ / ٣

الدين وطمع في النبوة ، لانه قرأ في الكتابان نبيا يبعث من العرب فكان يرجوان يكونه " (١) .  
وسرى شيئا من شعره الزهدى او الدنيسى حين نشرع في الكلام عن ظلال هذه النزعة  
الزهدية في ادب بعض هؤلاء الجاهليين . وهذه النزعة تنظمها ثلاث فكر رئيسية :

١ - قلب الدهر والاعتبار بالماضي : كما في قول امية بن ابي الصلت :

وبينما الفتى فيها مهيب مسود  
وأصبح من ترب القبور يومئذ

ولا تك من غره البيح او غسد  
وفيها عدد وكاشح الصدر يوقسد (٢)

وشبيه بهذا قول عمرو بن قيس :

قد كان من غسان قبلك امة لاك ومن نصر ذو نع  
فتتوجروا ملكا لهم هم  
لا تحسن الدهر مخلصكم  
لودام ودام لتبع وذوى الـ

افتقوا فناء اوائل الامم  
او دائما لكم ولم يدم  
اصناع من عاد وممن ام (٣)

۱ او قول زهیر بن ابی سلمی :

ولا خالدا إلا الجبال الرواسيا

واهلك لقمان بن عاد وعاد يساً  
فتركه الايام وهي كما هي  
من العيش لو ان امراً كان ناجياً  
بارسانه والحيوان والحواليما

منيتہ لما رأوا أنها هي۔۔۔ (۴)

## ٢ - جبروت الموت :

استمع الى عدى بن زيد :

|                              |   |                               |   |
|------------------------------|---|-------------------------------|---|
| ليس للمرء عصرة من وقـاع      | ٢ | الدهر تغني عنه سنام عنـاق     | ٢ |
| قد تهيئت في الخطوب التسي     | ٢ | قبلي فما بعدها الى اليبـ باقي | ٢ |
| ...                          |   |                               |   |
| لا يعزني رب المنون ذوى العيش | ٢ | ولا من حياته برمـ باقى        | ٢ |
| كل حي تقوده كف هـاد          | ٢ | جـر عيـن يغشيه ما هو لاقى (١) | ٢ |

والاعشى :

|                            |  |                                  |  |
|----------------------------|--|----------------------------------|--|
| ومر الليالي كل وقت وساعة   |  | يزعزعن ملكا او يياعدن دانيا      |  |
| وردن على داود حتى أهدته    |  | وكان يغادى العيش اخضر صافيا      |  |
| ولقمان قد حاولن اتلاف نفسه |  | وكان مقيط لا يخاف الدواهيـ       |  |
| وحطت باسباب لها مستمرة     |  | اذينة في محراب تدمر ثاويـ        |  |
| وتبع قد صبت عليه بهيرة     |  | يقطع الثايبا لا تهاب الفيايـ     |  |
| ...                        |  |                                  |  |
| فلو كان شيء خالدا غير رنا  |  | لكان لها من سائر الناس واليا (٢) |  |

ولبيد :

|                               |  |                               |  |
|-------------------------------|--|-------------------------------|--|
| بلىنا وما تبلى النجوم الطوالع |  | وتبقى الجبال بعدنا والمعانـع  |  |
| وما المرء الا كالشهاب وضوءه   |  | يجور رماذا بعد اذ هو ساطع (٣) |  |

## ٣ - اليأس من الحياة :

وهذه النظرة هي بنت النظرتين السابقتين . يتمثل هذا

|                             |  |                           |  |
|-----------------------------|--|---------------------------|--|
| في مثل ابیات المزي العبدى : |  | حوالي من ابناء بكرة مجلس  |  |
| ولو كنت في بيت تسد خصاصه    |  | وعلق انجاسا على المنجس    |  |
| ولو كان عندى حازيان وكاهـن  |  | يخب بها هاد الي معـرس (٤) |  |
| اذن لا تنسى حيث كنت منيتـي  |  |                           |  |

(٣) حماسة البحترى ١١٩

(٤) حماسة البحترى ١٣٩

(١) حماسة البحترى ١٤٠

(٢) حماسة البحترى ١٢٨

او عمرو بن الاثم التميمي :

تطاوحتني يوم جديد وليلـــــــــة  
اذا ما سلخت الشهر أهلت مثله

او زهير بن ابي سلمى :

سلمت تكاليف الحياة ومن يعيش  
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب  
...

ومن هاب اسباب المنايا ينلـــــــــه

هما بلياً جسمي وكل فتى يســــــــال  
كفى قاتلاً سلخي الشهور واهلــــــــالي (١)

ثمانين حولاً لا ابا لك يســــــــام  
تعتد ومن تخطى يعمر فيــــــــهم

ولو نال اسباب السماء بســــــــم (٢)

ومثل هذه المعاني التي تنطوي على نزعة من نزعات الزهد كثيرة ، ولكنها متفرقة ،

يسوقها قائلها بأساً من الحياة او ترهيباً بالموت كما في هذه الابيات . وقد رأينا ان نكتفي  
بهذا القدر منها خشية الاسهاب .

اذن فنزعة الزهد في الحياة العربية وفي الادب العربي ، كانت قبل ابي العتاهية

بزمان بعيد . ومن الخير لنا الآن ، بعد ان القينا نظرة خاطفة جداً على بعض مظاهر  
هذه النزعة في الجاهلية ، وفي ادبها بوجه خاص ، ان تلقى نظرة اوسع على تطوّر هذه  
النزعة في الاسلام .

#### النزعة الزهدية في صدر الاسلام :

تبانت الآراء في موقف الاسلام من الزهد . فمن الباحثين من زعم ان الزهد من طبيعة  
الاسلام ، اعتماداً على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تحض على ابتغاء الحياة الآخرة ،

والاعراض عن الدنيا : " العال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا " (١) " ليكلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور " (٢) . " من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون . اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا فيها يعملون " (٣) . او قول الرسول عليه السلام : " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " (٤) . و " كن في الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل " (٥) و " موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها . ولغدوة في سبيل الله او روحه خير من الدنيا وما فيها " (٦) " اللهم لا عيش الا عيش الآخرة " (٧) . وجاء في " العقد " ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الزهد في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة ( والرغبة في الدنيا مفتاح الزهد في الآخرة ) " (٨) . " وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله من ازهد الناس في الدنيا ؟ قال : من لم ينس المقابر والبلى ، وآثر ما يبقى على ما يفنى وعد نفسه مع الموتى " (٩) . ومثل ذلك كثير في الآيات والاحاديث التي تنص منها قوم رُوح الزهد في الاسلام . والواقع اننا يجب ان نفصل بين الاسلام والمسلمين ، اى بين حياة

- |                          |                          |
|--------------------------|--------------------------|
| (١) سورة الكاف الآية ٤٦  | (٦) صحيح البخارى ١٧٠ / ٧ |
| (٢) سورة الحديد - ٢٣     | (٧) صحيح البخارى ١٧٠ / ٧ |
| (٣) سورة هود - ١٥-١٦     | (٨) العقد الفريد ١٧٢ / ٣ |
| (٤) العقد الفريد ١٧٢ / ٣ | (٩) العقد الفريد ١٧١ / ٣ |
| (٥) صحيح البخارى ١٧٠ / ٧ |                          |

بعض المسلمين الاتقياء الورعين ، وبين ما شرعه لهم الاسلام . فاذا قال ابو هريرة  
 " الله الذي لا آله الا هو ان كنت لاعتمد بكهدي على الارض من الجوع ، وان كنت  
 لاشد الحجر على بطني من الجوع " (١) ، حق لنا ان نتساءل : هل شرع الاسلام الجوع  
 وأمرأبا هريرة بأن يكبده ويستعين بالحجر يشده على بطنه ماسكا لنفسه ؟ بديهي  
 ان الاسلام لم يأمر بالجوع ، وانما هو نهج اخذ به ابو هريرة نفسه افراطا في التذلل لله ،  
 اولعله كان ذا عسرة فلم يتهيا له الشبع . المهم ان نعلم انه الى جانب تلك الآيات  
 التي تحمل معنى من معاني التزهيد في اللذائذ آيات اخرى تدعو دعوة صريحة الى الاستمتاع  
 بالدينا : " يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ، ولا تعتدوا ان الله  
 لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون " (٢)  
 ولكن بقصد وعدل " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا " (٣) . ولكن حياة المسلمين الاوليين  
 البسيطة المتقشفة كانت تشجع ذوى الميول الزهدية . فالزهد الذي نما في عهد الرسول  
 ( والرسول لم يقل بهجر الدنيا ، حتى ان لفظة الزهد لم ترد سوى مرة واحدة في القرآن في  
 سورة " يوسف " - وشروء بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ) كان  
 معروفا في الجاهلية (٤) .

(١) صحيح البخارى ١٧١/٧

(٢) سورة المائدة الآية ٨٧-٨٨

(٣) سورة الاعراف الآية ٣١

(٤) راجع Nicholson, *Encyclopaedia of Religion and Ethics*,  
 ( art. Ascetism - Muslim - )

مثل هذا الرأي في ان الزهد ليس من الاسلام يقول به " دوزى " في كتابه :

( فاتي ان السم بالزهد في العصر الاموي والقرن الثاني الهجري ، فاستدركت ذلك هنا بكتابة هذا الفصل ) .

### مقدمات الزهد في العصر

بذور الزهد الاولى انما نرت في القرن الاول - فيما يرى " غولد زيهر " - (١) بتأثير عاملين اساسيين هما : المبالغة في الشعور بالاثم ، والخوف من عقاب الله وعذاب الآخرة . ولقد كان في هذا القرن ما يشجع الزهد النقي الكثير : حروب اهلية دامية ، وفتن سياسية متطاحنة - من قيام حزب الزبيريين ومقتل ابن الزبير الى الحرب بين قبائل كلب وقيس ، فتيرة المختار ، ومصرع الحسين وبأساة كربلاء ، وثورة الخوارج ، - وتطور في المجتمع ادى الى الاغراق في المجون والاقبال على الملاذ ، واستبداد الحكام وجورهم . كل هذا حمل فريقا من الناس على أن ينفروا من الدنيا ويتجهوا بقلوبهم واذهانهم الى الآخرة . واشتدت هذه النزعة " المروية " حتى انقلبت الى زهد - فيما بعد - ما زال يتطور تدريجا حتى بات تصوفا . والحسن البصري نفسه " الذي يمكن اعتباره مؤسسا لمدرسة البصرة في الزهد والتصوف " (٢) يعده الصوفية واحدا منهم (٣) . فالحسن يعتبر " رد فعل " لهذه الحياة المضطربة ، اذ القى في نفوس الناس الرعب من الآخرة ، وزين لهم التقوى ، وحملهم على ان ينظروا في غير ما ينظرون فيه من توافه الحياة الباطلة الزائلة : " هناك مجلس الحسن البصري تسوده رهبة ذلك الزاهد الجليل وهو يلقي مواعظه الضاربة في قيا في الزهد فيستدر الدمع من مآقي الحاضرين ، او يستحيل الى مجلس ذكر تتردد فيه الاذكار الصافية والادعية الناضرة . . . فاذا ما جن الليل

(١) راجع ذلك في " التصوف الاسلامي وتاريخه " لنكلسون صفحة ٣ .

(٢) التصوف الاسلامي وتاريخه ٤٦

(٣) التصوف الاسلامي وتاريخه ٣

وسكن الاحياء وجسث خلال المدينة - شأن الغرباء ذوى النفوس الطلعة المغامرة - ترامت الى  
مسامعك انغام اللها العنيف في نفس الوقت الذى يقرع اذنيك فيه تضرعات المتعبد بين القانتين •  
هنا اللاهون يمحرون بزوارقهم الزاهية في مياه تلك القنوات المتشابكة يعزفون ويعردون ،  
وهناك في زاوية اخرى ترى العابد بين ساديين بين المقابر يستلمون الموت والقبر افكارا وموضوعات  
للتأمل الحزين والعظة البالغة والعزوف عن الدنيا " (١)

ولا يغفل اثر القصص الديني الذي كان يقصه لهابان المسيحية ، وقد كان المسلمون  
الورعون يتلهفون على ساعده • من ذلك الاسرائيليات لوهب بن منبه وقصص الانبياء للثعلبي  
الذى تأثر الكسائي بالقصص الديني اليهودي والنصراني • بل ان الحسن البصري نفسه  
كان قصاصا من نوع خاص (٢) : يذكر بالاخيرة ويستخرج العظة من الاحداث حوله : " يا ابن  
آدم لا ترض احد بسخط الله ... ان الله خلق الخلق فمضوا على ما خلقهم عليه ، فمن  
كان يظن انه مزداد بحرصة في رزقه فليزدد بحرصة في عمره او يغير لونه او يزد في اركانه  
او بنائه " " يا ابن آدم لم تكن فكونت ، رسألت فاعطيت ، وسئلت فمنعت فبئس ما صنعت " •

وكان القائلون على هذه النزعة ايام بين امية من الاتقياء الورعين امثال الحسن البصري  
الذى يستنتج " نكلسون " من اقواله واقوال غيره من المتزهدين ان بواعث الزهد الذى قبلوا  
عليه تتمثل في : الايات القرآنية التي تصور عذاب الاخرة وتحذر منه ، والخوف الذى اشاعته  
هذه الايات في النفوس ، وفي الشعور بالاثم ، فعولوا على ان ينيبوا الى الله بالتوبة والاستغفار ،  
فسفيان الثوري يقول " ما اطاق احد العبادة ولا قوى عليها الا بشدة الخوف " (٣) حتى  
ان من الزهاد طائفة عرفت بالبكاكين لان منهم من كان يبكي عند سماع الوعظ ، ولعل الخليفة

(١) شهيدة العشق الالهى •

(٢) راجع فجر الاسلام ١ / ١٩٢ - ١٩٤

(٣) حلية الاولياء ٦ / ٣٦٢



عمر بن عبد العزيز نفسه من هؤلاء البكائين . ففي " حلية الاولياء " عن بكائه وهو يسمع الوعظ او ذكر الموت شيء كثير (١) . فقد كتب اليه الحسن البصري يوما " . . . فكأنك بلبل نيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تنزل " ، فخرج الى المسجد وصعد المنبر ثم قال " ايها الناس انكم في اسلاف الماضين ، وحيثكم الباقون حتى يصيروا الى خير الوارثين ، كل يوم تجلسون غاديا الى الله ورائحا قد حضر اجله ، وطوى عمله ، وعابى الحساب ، وخلع الاسلاب ، وسكن التراب ، ثم تدعونه غير موصد ولا ممد . ثم وضع يديه على وجهه فبكى مليا ثم رفعهما . . . " (٢) ومراعاة الحسن البصري تنبيء عن نماء هذه الميل الزهدية " يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تريحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا . يا ابن آدم ، اذا رايت الناس فسي الخير فنافسهم فيه ، واذا رايتهم في الشرف فلا تغبطهم به . الثناء ها هنا قليل ، والبقاء هناك طويل . . . فالوحاء الوحاء والنجاء النجاء . . . " (٣) او " . . . الا ان من كان قبلك كانوا ياخذون من الدنيا بلاغهم ويوشرون بالفضل . الا ان هذا الموت قد اضر الدنيا ففضحها ، فلا والله ما وجد ذولب فيها فرحا ، فايكم وهذه السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة ، وبيعادها النار . . . " (٤) او " مؤمن متهم ، ( وقرئت مهم ) وعلج اغتم ، واعرابي لافق له ، ومنافق كذاب ، ودنياوى مترف ، نعتى بهم ناعق فاتبعوه فراش نار وذيابان طمع . والذي نفس الحسن بيده ، ما اصبحت في هذه القرية مؤمن الا وقد اصبحت مهموما حزينا ، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله " (٥)

(١) حلية الاولياء ٣١٨/٥ - راجع " سيرة عمر بن عبد العزيز " لابن الجوزي ولا سيما

صفحة ١٨١ وما بعدها .

(٢) الاغانى ١٥٧/٨

(٣) البيان والتبيين ١٣٢/٣

(٤) البيان والتبيين ١٣٥/٣ - ١٣٦

(٥) البيان والتبيين ١٣٦/٣ - ١٣٧

وقال في موعظة أخرى " يا معشر الشيخ ، الزرع اذا بلغ ما يصنع به ؟ قالوا : يحصد .  
يا معشر الشباب : كم من زرع لم يبلغ ادركته آتية " (١) .

وعصر عمر بن عبد العزيز وحياته يوحيان بتشجيع هذا الاتجاه الزهدي . فقد كان الحسن البصري في مقدمة الاتقياء الذين كانوا قوام هذا العصر وقوام سياسته . حسبنا ان نذكر رسائله التي كان يبعث بها الى عمر يعظه ، وينصحه ، او يصف له " الامام العادل " .  
وكان عمر يستشير<sup>(٢)</sup> ويستنصحه ويتأثر بما يقوله ويراه . ومن الباحثين<sup>(٣)</sup> من يرى ان مساهمة الحسن في الحكومة لما ولاه عمر القضاء ، قد عدلت كثيرا من آرائه في السياسة ، فقد كان يأخذ على السلطان اتخاذ الشرطة ، ولكنه رأى ذلك ضرورة لما تولي القضاء ، لان الناس لا بد لهم من وزعة . ومن هنا نستطيع ان نستخلص ان عصر عمر ، وحكومة عمر ، وشخصية عمر - قبل ذلك كله - قد تأثرت بالاتجاه الذي كان يرتضيه الحسن ويدعو اليه . وان في نزول عمر عند رأيه بتعيينه عدي بن اوطاة - الذي كان يقرب اليه القراء ويصغي الى مشورتهم - واليا على البصرة لدليلا آخر على اتجاه عصر عمر وتأثره بنزعة التقى والتدين . فالحسن الزاهد الورع كان راغبا في ان يجعل من مبادئ الزهد التي كان يأخذ بها نفسه مبادئ للناس جميعا .  
وعمر بن عبد العزيز التقى المتدين كانت تلاقي هذه المبادئ من نفسه هوى شديدا فلا غرو اذا طبع عصر عمر بطابع الحسن ، ولا عجب اذا اعتبر عصر عمر عصر الحسن . ثم ان حياة عمر نفسها تعد حائزا قويا لتلك الميول الزهدية - فاي خليفة لا يجدون عنده ثوبا غير ثوبه الذي اتسخ في مرضه ، على ما يروون<sup>(٤)</sup> - ثم لا يكون في هذه القدوة التشجيع الفذ لذوى الميول الزهدية ؟ فهو دائم القلق والخوف من اللعاب ومن عذاب الآخرة " اوصيكم بتقوى الله ، فان تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف ، واعملوا لاخرتكم فانه من عمل لاخرته كناه الله تبارك وتعالى امر دنياه واصلحوا سرائركم يصلح الله الكرم علانيتكم .

(١) عيون الاخبار ٢/ ٣٢٣

(٢) راجع سيرة عمر بن عبد العزيز صفحة ١٢٤ وما بعدها مثلا .

(٣) انظر " الحسن البصري " ل احسان عباس صفحة ٥٠ وما بعدها

(٤) صفة الصفوة ٢/ ٦٨

واكثر اذكر الموت واحسنوا الاستعداد قبل ان ينزل بكم فانه هادم اللذات " . (١) وكان يقول  
وهو يعظ بالاخرة " ان لكل سفر زادا لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الاخرة . . . " (٢)  
وهو قانع بما يمسك عليه رقبته (٣) ، لا يؤخذ ببهاج الدنيا وزخارفها . وامتناعه عن الشعراء (٤)  
امر معروف . وقد زعموا ان له شعرا دينيا من ذلك :

|                        |                           |
|------------------------|---------------------------|
| ومن الناس من يعيش شقيا | جيفة الليل غافل اليقظة    |
| فاذا كان ذا حياء وديين | راقب الله واتقى الحفظه    |
| انما الناس راحل ومقيم  | فالذى سار للمقيم عظمه (٥) |

فمثل هذا الخلقة الخاشع العابد ، ومثل عصره المطبوع بطابع الخشوع والعبادة لا محيص من  
ان ينفذ الحركة الزهدية باكم رقد .

#### بواد الزهد في شعر العصر

(٦)

ولقد امتدت ظلال هذه الميول الى الشعر ، كما في قول النابغة الشيباني :

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| ويجزني الاسلام والشيب والتقى | وفي الشيب والاسلام للمرء زاجر |
| وقلت - وقد مرت حنوف باهلها - | الا ليس شيء غير ربي غافر      |
| هو الباطن الرب اللطيف - كانه | واول شيء رضا ثم الآخرة        |
| كرم حلم لا يعقب حكمه         | كثير ايادي الخير للذنب غافر   |

ففكرة الوعظ والتنبيه الى الموت واضحة ، بعد هذا السرد الذي يبتغي ان يصف قدرة الله  
ترهيبا وترغيبا :

|                                |                            |
|--------------------------------|----------------------------|
| الا ايها الانسان هل انت عامل   | فانك بعد الموت لا بد ناشر  |
| ومن يعمل - الخير -             | فخائر مجزى بهن خائـر       |
| الم تر ان الخير والشرف تـمـنـة | يجاز بها ايام تبلى السرائر |
| ومن يعمل الخيرات او يخط خالبا  |                            |

(٦) الديوان ١٧ - ١٨

- (١) سيرة عمر بن عبد العزيز ٥٣
- (٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ١١٦
- (٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ١٥٨ وما بعدها
- (٤) سيرة عمر بن عبد العزيز ١٦٨ وما بعدها
- (٥) سيرة عمر بن عبد العزيز ٢٣٠

او الحجاج بن يوسف التيمي الذي يعرض فكرة قريبة من فكرة زميله النابغة ، وهي فكرة لا تعدو

نطاق الوعظ والتذكير ،

|  |  |
|--|--|
| <p>لداذك الا ان تموت طبيب<br/>الى منهل من رده لقريب<br/>خلوت ولكن قل علي رقيب<br/>وخلقت في قرن فانت قريب (١)</p> | <p>اذا كانت السبعون منك لم تكن<br/>وان امرا قد سار سبعين حجة<br/>واذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل<br/>واذا ما انقضى القرن الذي انت منهم</p> |
|--|--|

وابي الاسود الدؤلي ،

|  |   |
|--|---|
| <p>نادع الاله واحسن الاقوال<br/>فهو اللطيف لما اراد فعلا<br/>بيد الله يقلب الاحوال<br/>لهجا تضعضع للعباد سؤالا (٢)</p> | <p>واذا طلبت من الحوائج حاجة<br/>فليعطيك ما اراد بقدره<br/>ان العباد وشأنهم وامورهم<br/>فدع العباد ولا تكن بطلبهم</p> |
|--|---|

أرأيت الى الاستسلام والاتجاه لله ؟ اذن فاسمعه يقول مرة اخرى :

|  |  |
|--|--|
| <p>تراد به آتيك فانسع بذي الفضل<br/>من الخفض في دار المقامة والتمل<br/>ولا تجعل لي العلم المحقق كالجهل<br/>ابعدى ياتي في رحلي اوقهلي (٣)<br/>اصيب والفته المنية في الاهل</p> | <p>توكل وحمل امك الله وانما<br/>ولا تحسب السير اقرب للبردى<br/>واني ملاق ما قضى الله ناصبرى<br/>وانك لا تدري هل ما اخافه<br/>وكم كده رأيت حاذرا متحفظا</p> |
|--|--|

فالخوف من الموت والشعور بوقوعه يدفعه الى هذا الاستسلام .

(٤)

وبعض الباحثين يرد نشوء الغزل الاباحي في مدن الحجاز ، والحب العذري في البادية

الى هذه الاحداث السياسية والاجتماعية التي جرت في الحياة الاموية ، فاهل مكّة والمدينة

(١) عيون الاخبار ٢/٢٢٢

(٢) الاغانسي ١٠٧/١١ - ١٠٨

(٣) الاغانسي ١١١/١١

(٤) راجع مقال الدكتور طه حسين في حديث الاربعاء ١٨٠/١ (الغزل والغزلون) .

مثلا كانوا ياتسبون من الوضع السياسي ولكنه كانوا موسرين فاجتمع عندهم اليأس والمال فلهوا وعيشوا ، اما سكان البادية فقد كانوا فقراء ، ولكنهم تأثروا بالاسلام فظل في نفوسهم اثر من تقوى فلم ينصرفوا الى اللهو وانما الى توسلهم " فانكبوا عليها واستخلصوا منها نعمة لا تخلو من حزن ، ولكنها نعمة زهد وتصوف . وانا اعلم ان لفظ التصوف هنا لا يؤدي معناه الذي اريده ، ثقل انهم انصرفوا الى شيء من المثل الاعلى في الحياة الخلقية " . فهذا ان اللوان من الغزل اذن اثر من آثار الحياة السياسية الاموية . (١) ثم ان الغناء كان رائجا وكان هذا الغزل الاباحي والعذري مددا له . ولقد

ولقد استمرت هذه النزعة الفتية الى الزهد في القرن الثاني . والحق ان هذا القرن كان حافلا بالشخصيات الدينية والادبية التي اسهمت في تقوية هذه النزعة وتثبيتها في النفوس - فاذا عرفنا ان سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك والامام الشافعي مثلا ، كانوا من شخصيات هذه الفترة ، ادركنا قيمة هذه الحقبة في تاريخ الزهد الاسلامي . سفيان الثوري كان في هم مقيم من خشية الله وخوفه حتى قيل ان ليس في الحنيفية رجل مثله " قد قطع الحزن كبده " (٢) فهو القائل " لقد خفت الله خوفا ، عجب لي كيف لا اموت ، ولكن لي اجل انا بالغه ، ولقد خفت الله خوفا وددت ان خفف عني منه ما اخاف ان يذهب منه عقلي " (٣) ، وعبد الله بن المبارك كان من صفوة الاتقياء ، فقد تخرج من ان ينتفع بفراخ اختلطت بها حمام غيرها فتزاجت بها (٤) ، حتى قال ابن عيينه " نظرت في امر الصحابة وامر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلا الا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزاهم معه " (٥) واما الامام الشافعي فانت تجد هذه النزعة في شعره فضلا عن معاشه :

(١) حديث الاربعاء ١٨٦/١

(٢) صفة الصفوة ٨٦/٣

(٣) صفة الصفوة ٨٤/٣

(٤) صفة الصفوة ١١٠/٤

(٥) صفة الصفوة ١١٣/٤

فلما قسا قلبي وضافت مذاهبي  
تعاظمني ذنبي فلما قرنته  
فما زلت ذا ذنب عن الذنب لم تنل  
فلولاك لم يقدر يا ألياس عابدا  
جعلت رجائي نحو عفوك سلما  
بعفوك رسي كان عفوك اعظما  
تجود وتعفو منة وتكرما  
فكيف وقد اغوى صفيك آدمما (١)

الاستسلام لله والابانة اليه ، والاقرار بالذنب ، كل هذه من مظاهر النزعة الزهدية التي تعبر  
عنها هذه الأبيات :

والزهاد الشعراء في ذلك العصر كثر منهم : مالك بن دينار الذي مر ببلال بن ابي بردة  
وحوله الناس ، فسأله بلال : اما تعرفني ؟ فاجابه مالك بلى ! اعرفك ، اولك نقطة ،  
واوسطك جيفة واسفلك دودة .. (٢) فقصارى ما يرى في بني آدم هذا الرأي . وقد شاهد  
رجلا يخرس ، فلما عاد اليه بعد قليل اذا به قد مات فانشد :

مؤمل دنيا لتبقى له  
يربي فسها ويعنى به  
فمات المؤمل قبل الامل  
فعاثر القليل ومات الرجل (٣)

وله يصور الفناء ويعظ بالموت :

اتيت القبور فناديت ----- من اين المعظم والمحتقر  
واين المعدل بسلطانه

قال : فنوديت من بيتها ولا ارى احدا :

تفانوا جميعا فما مخبر  
تروح وتغدو بنات الشورى  
وما تو جميعا ومات الخبر  
فيا سائلي عن اناس مضو  
اما لك فيما ترى معتبر ؟

قال : فرجعتونا ابكي .. (٤)

(١) معجم الادباء ١٢ / ٣٠٣ - ٣٠٤

(٢) حلية الاولياء ٢ / ٣٨٥

(٣) حلية الاولياء ٢ / ٣٨٤

(٤) عيون الاخبار ٢ / ٣٠٢ - ٣٠٣

ولعمرو بن اذينة صاحب الغزل المشهور ابيات من هذا القبيل :

نراع اذا الجنائز قابلتنا  
كروعة ثلثة لغار ذئب

ويحزننا بكاء الباكيات  
فلما غاب عادت راتعات (١)

ففي ذلك تصوير لهول الموت ، الذي يدعو مساور الوراق الى التأهب له بالتقوى والعمل الصالح ،

شمر قميصك واستعد لقاء  
واجعل صحابك كل خبر ناسك  
من ضرب حماد هناك ومسمر  
وعليك بالغنوى فاجلس عنده

واحكمك جبينك للقضاء بشوم  
حسن التعهد للصلاة حزم  
وسماك العيسى والمين حكيم  
حتى تصيب ودعة ليتيم (٢)

ولله :

وما ينفع المقبور عمران قبره

اذا كان فيه جسمه يتهدم (٣)

فالخوف من الموت ، والاتعاظ بالغناء ، والدعوة الى الصالحات ، كل هذا ظاهر في هذه الابيات ،  
ومسعر الذي دعا مساور الى مصاحبته هو الذي قال فيه سفيان الثوري " لم يكن في زماني مثله " (٤)  
وهو الذي روى سفيان لما مات ، انه رأى النبي فيما يرى النائم وهما يطوفان ، فقال له " يا رسول  
الله مات مسعر بن كدام ، قال : نعم واستبشر به اهل السماء " (٥) ، له شيء من هذا الشعر :

وجدت الجوع يطرده رغي  
وقل الطعم عون للمصلي

وملء الكف من ماء الفسرات  
وكثر الطعم عون للمبسات (٦)

القناعة بالكفاف ، والعبادة ، والتهجد . . . كل هذه من معاني هذين البيتين اللذين ينبئان  
عن ميل زهدى قوى . وهو القائل في فناء العيش واغترار الانسان بالدنيا :

(١) البيان والتبيين ٢٠١ / ٣

(٢) البيان والتبيين ١٧٥ / ٣ - ١٧٦

(٣) الاغانى ١٦٩ / ١٦

(٤) حلية الاولياء ٢١٠ / ٧

(٥) حلية الاولياء ٢١٠ / ٧

(٦) حلية الاولياء ٢١٩ / ٧

نشارك يا مغرور سهو وغفلة  
وتتعبد فيما سوف تكره غبه

وليلك نيم والردى لك لانم  
كذلك في الدنيا تعيش البهائم (١)

او :

ولم ارمك كالدنيا بها اغترها هلهما  
ولا كالذى يخشى المليك عباد

ولا كاليقين استوحش الدهر صاحبه  
من الموت خاف الجوس او نام هاربه (٢)

كل هذا تبكى للناس وتفرح له على اغترارهم بالدنيا وتهافتهم عليها ، وتذكير لهم بمصيرهم  
المحتم : الموت .

وزاهد شاعر آخر هو محمد بن يوسف الملقب بعروس الزهاد ، وكان متعبدا يطلب في الجامع .  
قال يصف الدنيا وفناءها ويعظ الناس ويغري العابد بن بالموت :

ومر بدار المترفين وقل لهم  
ومر بدار العابد ين وقل لهم

الا اين ارباب المصانع والقرى  
الا قطع الموت التنصب والعنى (٣)

وكان يقول " لقد خاب من كان كحظه من الله الدنيا " (٤) وهذا المعنى يصوغه شعرا :

اذا كنت في دار الهوان فانما  
ينجيك من دار الهوان اجتنابها (٥)

ولعله يوضع ذلك كله بهذا القول " وتزود لاخرتك ، وتجاف عن دنياك ، وباد الغوث ، واعلم  
ان امامك اهوالا وافزاعا قد فزعت منها الانبياء والرسل " (٦) .

وسعيد بن وهب وقد كان من الشعراء المجان ثم تاب وصلاح ، كان يقول متندما مقرا بذنبه :

قدمي اعتورا رمل الكتيب  
رب يم رحمتا فيه عسى  
وسماع حسن من حسن  
فاحسب اذاك بهذا واصبرا  
انما امشي لاني مذنب

واطرقا الآجن من ماء القليب  
زهرة الدنيا وفي واد خصيب  
صخب المزهر كالظبي الربيب  
وخذا من كل فن بنصيب  
قلعل الله يعفو عن ذنوبي (٧)

(١) حلية الاولياء ٢٢٠ / ٧

(٢) حلية الاولياء ٢٢٢ / ٧

(٣) حلية الاولياء ٢٣٠ / ٨

(٤) حلية الاولياء ٢٣١ / ٨

(٥) حلية الاولياء ٢٣٥ / ٨

(٦) حلية الاولياء ٢٣٥ / ٨ - ٢٣٦

(٧) صفة الصفوة ٢٠٣ / ٢



وهناك محمد بن كناسة الذي يقول :

|                                  |                              |
|----------------------------------|------------------------------|
| ومن عجب الدنيا تبقيك للبلس       | وانك فيها للبقاء مرسد        |
| راى بني الايام الا وعنده         | من الدهر ذنب طارف وتلبد      |
| ومن يامن الايام اما اتاعها       | فخطر واما فجعها فعتيد        |
| اذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى | فان فطام النفس عنه شد يد (١) |

فالبقاء في الدنيا يعني عنده الفناء ، والدنيا عبارة عن الآم وفجائع ، فليستمن عليها بالعبادة التي يعدها شرنا وفضيلة :

|                    |                          |
|--------------------|--------------------------|
| ينبيك من عيب الفتى | ترك الصلاة او الخديسن    |
| فاذا تهاون بالصلا  | فما له في الناس ديسن (٢) |

والى جانب هؤلاء الورعين الشعراء تجد الورعين المجانين كشعرانه التي كانت دائمة البكاء من خشية الله فكانت تقول " اعمى والله في الدنيا من البكاء احب الي من ان اعمى في الاخرة من النار " (٣) ، ثم قالت : " والله لوددت اني ابكي حتى تنفك دموعي ثم ابكي الدماء حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم وانى لي البكاء " (٤) وكانت تتوح بهذين البيتين :

|                        |                             |
|------------------------|-----------------------------|
| يؤمل دنيا لتبقى لـ     | فواني المنية قبل الامل      |
| حنينا يروى اصول الفسيل | فعاشر الفسيل ومات الرجل (٥) |

اليأس من الحياة والبكاء خوف عذاب الاخرة .

وميمونة السرداء تقول " ما من عبد اعطي من الدنيا شيئا فابتغى اليه ثانيا الا سلبه الله حب الخلوة معه وهذله بعد القرب البعد ، وبعد الانس الوحشة " - تلك دعوة صريحة الى رفض الحياة واليأس منها وكانت تنشد :

(٥) صفحا الصفوة ٣٨ / ٤

(١) الاغانى ١١٣ / ١٢

(٢) الاغانى ١١٤ / ١٢

(٣) صفة الصفوة ٣٦ / ٤

(٤) صفة الصفوة ٣٧ / ٤

|                       |                           |
|-----------------------|---------------------------|
| يا واعظا قام لاحتمساب | يزجر قوما عن الذنوب       |
| تنهى وانت السقيم حقا  | هذا من المنكر العجيب      |
| لو كنت اصلحت قبل هذا  | عيبك او ثبتت من قريب      |
| كان لما قلت يا حبيب   | موقع صدق من القلب         |
| تنهى عن الغي والتماذي | وانت في النهي كالمرتب (١) |

وريحانة العابدة الخاشعة تقول مسفة المغرورين بالدنيا واعظة بالماضين :

|                               |                           |
|-------------------------------|---------------------------|
| وما عاشق الدنيا بناج من الردى | ولا خارج منها بخير غليل   |
| فكم ملك قد صقر الموت ببيتسه   | واخرج من ظل عليه ظليل (٢) |

فكيف يغمض جنن ؟ :

|                           |                               |
|---------------------------|-------------------------------|
| كن كان راكب يم ليس يأمنه  | وليله تائها في عقب دنياه      |
| فتيف يلتذ عيشا لا يطيب له | وكيف تعرف عين الغمض عيناه (٣) |

فالدنيا بالنسبة اليها عذاب ولا راحة الا بالتخلي منها فكانت تقول :

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| ارى الدنيا لمن هي في يديه | عذابا كلما كبرت لديه       |
| تهين المكرمات بها بصفر    | وتكرم كلما هانت عليه       |
| انما استغنيت عن شيء قدعه  | وخذ ما كنت محتاجا اليه (٤) |

وثمة بهلول الذي رفض هبة الرشيد وقال له : ردها لمن اخذتها منه ، كان ينشد :

|                     |                    |
|---------------------|--------------------|
| دع الحرص على الدنيا | وفي العيش فلا تطمع |
| ولا تجمع من المال   | فما تدري لمن تجمع  |
| فان الرزق مقسم      | وسوء الظن لا ينفصم |
| فقير كل ذي حرص      | غني كل من يقنع (٥) |

(١) صفة الصفة ١٢٢/٣

(٢) راجع شهيدة العشق الالهي ١١٣

(٣) راجع شهيدة العشق الالهي ١١٣

(٤) راجع شهيدة العشق الالهي ١١٣

(٥) طبقات الشعراني ٥٨/١

ففي هذه الابيات - كما نرى - ذم للحرص على الدنيا ، ودعوة الى القناعة والاستسلام الى القدر .  
ومثل هذه المعاني لا تعدم في شعر الشعراء المجان الذين تابوا واصلحوا في هذه الفترة  
كآدم بن عبد العزيز الذي شعر بمجونه وتعتبه ، قال بعد ما نمك يعظ بالفناء :

|                         |                             |
|-------------------------|-----------------------------|
| وان قالت رجال قد تولس   | زمانكم وذا زمن جد يد        |
| فما ذهب الزمان لنا بمجد | ولا حسب اذا ذكر الجدود      |
| وما كنا لنخلد اذ ملكنا  | واي الناس دام له الخلود (١) |

وكأبي نواس شاعر المجان او ما جن الشعراء الذي روى له الجاحظ شيئاً من شعر الزهد في " باب  
الزهد " من كتابه " البيان والتبيين " حسبنا هذه الابيات له :

|                   |                  |
|-------------------|------------------|
| كن مع الله يكن لك | وانق الله لعلك   |
| لا تكن الا معدا   | للمنايا فكأنسك   |
| ان للموت لهم      | واقعا دونك اوبك  |
| نحن نجرى في انما  | نمين مكنون وتحرك |
| فعلى الله توكل    | ويتقوا تمسك (٢)  |

ومحمد بن بشير الرياشي الذي قال بعد ما تاب :

|                          |                       |
|--------------------------|-----------------------|
| ويل لمن لم يرحم الله     | ومن تكون النار مشوا   |
| واغفل في كل يوم مضى      | يذكرني الموت وانسا    |
| من طال في الدنيا به عمره | وعاش فالموت قصاره     |
| كأنه قد قيل في مجلس      | قد كنت آتية واغشاء    |
| محمد صار الى ربه         | يرحمنا الله واياء (٣) |

x x x

ومثل هذه الوضعات الزهدية ، او المباحات الروحانية - على الاصح - او شعر التقى  
والتوبة الذي يصور تفاهة الدنيا وزوالها ، ويبصر الناس بالموت واهواله ويغري بالتقوى ، ويرهب

(١) البيان والتبيين ٢٠١ / ٣

(٢) البيان والتبيين ١٩٩ / ٣

(٣) الاغانى ١٢٢ / ١٢

بالآخرة ، او يحض على القناعة ويأمر بالتسليم الى الله ، كل هذا ينبغي ، عن تهيؤ واقع هذه  
النزعة منذ العصر الاموي وان لم تتلبس لباس النزعة المكتملة الا بعد ذلك . ناهيك عن ان  
قوامها التورع والتدين او الخوف والتوسعة والحث على القناعة والتقوى ، اى الاحساس الروحاني  
لا الفكرى . ف فيما رأينا من شعرو وشاهد مجموعة من الفضائل الخلقية او الدينية او التعبدية  
اكثر مما هي مجموعة من الفضائل الزهدية الفكرية . وسرى لبوس هذه النزعة الفكرية عند ابي  
العتاهية حينما نشعر في تلمس معالم الزهد في شعره .

## مصادر البحث ومراجعـــــــــــــــــه

### المصادر

- ١ - الاصبهاني ، ابو نعيم احمد ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ج ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣٢ / ١٩٣٨ .
- ٢ - الاصبهاني ، ابو الفرج ، الاغانى ، ج ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، مطبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٥ هـ .
- ٣ - ابن الجوزى ، ابو الفرج عبد الرحمن ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، مطبعة الميـــــــــــــــــد ، القاهرة ١٣٣١ هـ .
- ٤ - ابن الجوزى ، ابو الفرج عبد الرحمن ، الصفـــــــــــــــــة صفــــــــــــــــة الصفوة ، ج ٢ ، ٣ ، ٤ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ، الهند ١٣٥٥ / ١٣٥٦ هـ .
- ٥ - ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم ، عيون الاخبار ، ج ٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٨ .
- ٦ - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٩ .
- ٧ - الشعرانسي ، عبد الوهاب ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، المطبعة الشرفية ، القاهرة ١٣١٥ هـ .
- ٨ - النابغة الشيباني ، الديوان ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٢ .
- ٩ - ياقوت الرومي ، شهاب الدين ، معجم الادباء ، ج ١٧ ، مطبعة دار الطائرون ، القاهرة ١٩٣٦ / ١٩٣٨ .

### المراجعـــــــــــــــــع

- ١ - امين ، احمد ، فجر الاسلام ، ج ١ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٢٨ .
- ٢ - بدوى ، عبد الرحمن ، شهيدة العشق الالهى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة سنة ٢

- ٣ - حسين طه ، حديث الاربعاء ، ج ١ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ٤ - عباس ، احسان ، الحسن البصرى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٢ .
- ٥ - نيكلسون ، رينولد ، فى التصوف الاسلامى وتاريخه ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٧ ( ترجمة " ابو العلا عفيفى " ) .

### تأثير النزعة الزهدية بالتصوف الدخيل :

ولكن لماذا نما هذا الزهد حتى غدا تصولا ؟ خلاصة الآراء في ذلك ان الاسباب عوامل سياسية واجتماعية وفكرية جذت في القرنين التاليين للوفاء الرسول . فنحن نعلم ان هذين القرنين حفلا بالحروب والفتن الاهلية - كما حفلا بالتطورات الاجتماعية - فكان الارستقراطيون ، وكان المترفون ، وكان النشاط الفكري العام ؛ كانت المجادلات والفرق الكلامية في اصطراع عنيف . كل هذه العوامل حملت نفرا من المتورعين على ان يعتزلوا هذه الحياة الجديدة التي لم يرضوا عنها ، فראوا ان يتقربوا الى الله عن طريق الزهد . ويعد " دى بور " الصوفية نوعا من انواع الردة على مجادلات المتكلمين ومهريا منها (١) .

فالتصوف بدأ في اول الامر زهدا . قال ابن خلدون عن الصوفية انها " . . . من العلم الشرعية الحادثة في الملة . . . واصلها المكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعباد ، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبولون على العبادة باسم الصوفية او المتصوفة . وقال القشيري - رحمه الله - ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس . والظاهر انه لقب . ومن قال اشتقاقه من الصفا او الصفة فبعيد من جهة القياس للغوى . قال وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا بلبسه .

(١) دى بور ١٨ - وموضوع الزهد الاسلامي هذا قد فصل فيه الكلام في مثل هذه الكتب ، " في التصوف الاسلامي وتاريخه " لنكلسون ، " التصوف عند العرب " لجبور عبد النور ، " التصوف الاسلامي " لعمر فرخ ، الخ . . .

قلت والظاهر ان قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف . فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق ، والاقبال على العبادة اختصوا بماخذ مدركة لهم . . . (١) .

فالصوفية اذن بدأت ، اول الامر ، صبغة دينية بسيطة خاصة بنفر من الاتقياء ، ثم ما لبثت ان نمت وتطورت حتى غدت طبقة خاصة لها قواعد وطرق وروسا وتلاميذ (٢) . وفي هذا الطور الاخير انساب الافكار والثقافات الاعجمية . والآراء مجمعة على ان التصوف الاسلامي قد تلقح بالفكر الهندي ، وتأثر بفلسفة " الفاندانا " و " النارانا " . ولعل فكرة الفناء عند الصوفية مردها الى " النارانا " هذه . وتأثر ايضا بالنصرانية ، ونحن نعلم ان النصرانية مايشثت العرب في جاهليتهم وان اثر الرهبان النصارى في الزهد كان آنذاك كبيرة . وفكرة التوكل مصدرها هذا الزهد النصراني . اما الاثر اليوناني فقد امتد بطريق مدرسة الاسكندرية والافلاطونية الحديثة (٣) .

وهكذا يتضح انه اذا كان الزهد الاسلامي اسلاميا صرفا ، فان التصوف الاسلامي ليس كذلك ابدا ، وانه انما اشرب شتى الاصباغ والالوان من هندية ويونانية وفارسية . وليس هذا ما نرغب في توجيه الانظار اليه . وانما الذي يهمنا من امر الزهد الاسلامي او التصوف الاسلامي ، هو بواعثه . فصحيح ان منه ما كان بدافع من طبيعة سلف عازفين عن الدنيا ،

(١) ابن خلدون ٤٠٨ ، راجع اللمع ٢٠-٢٢

(٢) سليمان فارس النابلسي ، " التصوف الاسلامي " ، مجلة الرسالة العدد ٨١ ، السنة الثالثة ، ١٩٣٥ ، صفحة ٩٨ .

(٣) Encyclopaedia Britannica, ( art. , Sufism ) - Anonymous



شاخصين باهارهم وافند تهم الى آخرة • ولكن الدوافع الاساسية لامنسة في ما جدد  
 في حياة المسلمين في القرنين التاليين لوفاة رسولهم • وعندى ان التطور الاقتصادى (والاجتماعى  
 بالتالى) هو ابرز هذه الدوافع • وثورة ابي ذر الغفارى على عثمان ومعاوية ابرز  
 مظاهر ضرور هذا التطور الاقتصادى • فقد نشأت طبقة الوجهاء تحتكر الاموال وتكثرها •  
 وتمتلك الدور والضباع • والشعب لا يملك من الامرشينا • والواقع ان با ذر قد اثار ازهاج  
 الناس ونفوسهم على الوضع • فكانت المحاولات لاغرائه بالصمت (٢) فلما يتسوا منه نفاه  
 عثمان كما هو معروف • ثم مات ميتته المعروفة وهو شريد في الفلاة • ولكنه كان قد اضم  
 اول ثورة اقتصادية في الاسلام •

---

(١) راجع كتاب " ابو ذر " لعلي ناصر الدين

(٢) راجع للمص ١٢٢

## الفصل الثاني -

- ٤ -

### مفاسد المجتمع العباسي في شعرابي العتاهية

إذا كان عصر شاعرنا ، قد خلا من نائر كآبي ذرة ، فليس معنى ذلك أن دواعي الثورة لم توجد . فقد رأينا ونحن ندرس العصر - في مستهل هذه الرسالة - أن الناس كانوا في امر مجتمعهم مذهبيين : مذهب الراضين ، المقبلين على ما فيه من مغريات ومباهج ، ومذهب الساخطين الحائقين الذين لا يجدون من اسباب الثورة إلا الزهد . فالثورة إذن لم تنعدم ، وإن كانت قد تزييت بزى سلبى آخر - الزهد - . وإذا كان الشك والمجون أبرز مزايا شعرابي العتاهية : <sup>(١)</sup> الشك اثر ما شجر بين المسلمين من خلاف سياسي تفكرى حول الخلافة ، والمجون الذى تلا الفتح بما افاضه هذا الفتح من اموال ، فإن الصلاح كذلك من مزاياه .

وقد رأينا الفتن تعترى المجتمع العباسي في الداخل والخارج : رأينا الشيعة والخوارج والشعوبيين من العرب والفرس ، وفتنة الاميين والمأمون ، وقبل ذلك نكبة البرامكة وابي مسلم ، وما الى ذلك من احداث يضطرب معها الامن وتثور النفوس . وقد تقدم في حديثنا عن العصر ان السياسة وقرنها أدت الى نشوء أفكار جديدة وقرق جديدة . فإذا علم الكلام ، وإذا علماء الكلام غائصون في نقاش وجدال وبحث .

---

(١) عبد الحليم عباس ، " ابرو العتاهية " ، مجلة الرسالة العدد ٥٧ ،

السنة الثانية ، ١٩٣٤ ، صفحة ١٣٠٦

فهناك المعتزلة والمرجئة والاشعرية والشيعة والخوارج ، وكلها فرق قامت فلسفتها الفكرية فيما بعد على اساس السياسة ، والخلاف حول الخلافة ، على وجه التحديد . ولقد رأيناها تنقسم فيما بينها فرقا فرقا . ورأينا باى وجه متجهم تلقى جمهور المسلمين هذا العلم الجديد وطلابه ، حتى عدوا الناظر فيه كافرا او يكا .

فاذا رأى بعض الصالح هذه الحياة المضطربة سياسة وفكرا واجتماعا ، واذا رأوا التنابد والشقاق ، وقد يئسوا من تبدل الوضع ، اعتزلوا هذه الحياة ليخلوا من الالم امامهم ، ووجدوا في حركة الزهد الملجأ العاصم الامين . ثم تطورت هذه الحركة كما اسلفنا حتى غدت تصونا ذا نظام وطرق واصل . ففي هذا العصر الذى غاصت فيه ايدى واقدام في دماء الفتن ووحول الآثام وغمار التفكير ، كانت ايدى واقدام اخرى تبتغي الطهر في لجة الزهد التي كانت هادئة اول الامر . واذا حفل العصر بمثال ابي نواس وشمار وسواهما من المجان ، فقد حفل كذلك بالعالحين الزاهدين<sup>(١)</sup> نظير الفضيل بن عياض (المتوفى سنة ١٨٢ هـ) ، ومعروف الكرخي (المتوفى سنة ٢٠٠ او ٢٠١ هـ) ، وابي سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني (المتوفى سنة ٢١٥ هـ) وشرب بن الحرث الحافي (المتوفى سنة ٢٢٢ هـ) ، وابي حامد بن خضويه البلخي (المتوفى سنة ٢٤٠ هـ) ، والحرث بن أسد المحاسبي (المتوفى سنة ٢٤٣ هـ) ، وذى النون المصري (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) ، وابي زكريا الرازي (المتوفى سنة ٢٥٨ هـ) ، وابي يزيد البسطامي (المتوفى سنة ٢٦١ وقيل ٢٣٤ هـ) ، وعبد الله التستري (المتوفى سنة ٢٨٣ وقيل ٢٧٣ هـ) ، والجنيد (المتوفى سنة ٢٩٧ هـ) وغيرهم .

فما هو محل ابي العتاهية بين هؤلاء الزهاد ؟ لا نتبأ بذلك قبل ان نستعرض شعره الزهدي ببعض التفصيل والائانة .

(١) راجع الرسالة القشيرية صفحة ٨ وما بعدها

قال الاصفهاني " شاور رجل ابا العتاهية فيما ينقشه على خاتمه فقال :

انقش عليه لعنة الله على الناس وانشد :

|                         |                           |
|-------------------------|---------------------------|
| هرمت بالناس واخلاقهم    | فصرت استانس بالوحده       |
| ما اكثر الناس لعمرى وما | اقلهم نسي حاصل العتده (١) |

هذا خلاصة رأى ابي العتاهية في الناس . واذا تلخعت نظرتك الى الناس يسوء

الظن ، فان رأيه في مجتمعهم يتلخص في كلمة واحدة - الفساد . وعنده ان هذا

الفساد نتيجة ثلاثة ألوان من الشرور هي النقائص الخلقية ، والآفات الاجتماعية ، والاستغلال

السياسي .

#### ١ - النقائص الخلقية

فاولي هذه النقائص النفاق - قال :

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| اصبحت فيه واى اهل زمان   | لله در ابيك اى زمان     |
| يعطي ويأخذ منك بالميزان  | كل يوازنك المودة دائباً |
| مال مودته مع الرجحان (٢) | فاذا رأى رجحان حبة خردل |

فمعاصروه قيم نفعيون انتهازيون :

|                   |                         |
|-------------------|-------------------------|
| مائل ما وهله      | لو رأى الناس نبيلاً     |
| حبك الدهر اخوه    | انت ما استغنييت عن صلاً |
| ساعة مجيك فسر (٣) | فاذا احتجت اليه         |

(١) الاغانى ٣٧/٤ - ٣٨

(٢) الديوان ٢٦٠ - ٢٦١

(٣) الديوان ٢٦٥

يبدلون لك من مودتهم ما بذلت لهم من نفعك :

قد بلونا الناس في اخلاقهم  
وحبيب الناس من اطعمهم  
فأينا هم لذى المال تبيع  
انما الناس جميعا بالطمع (١)

واسمه يكرر هذا المعنى بشكل آخر :

إذا قل مال المرء قل صدقه  
وتصر طرف العين عنه كلاله  
وضاقت به عما يريد طريقه  
واسرع فيما لا يحب شقيقه  
وقد كان يستحليه حين يذوقه (٢)

وابو العتاهية يبذل للناس النصيحة في ذلك وهو يتكلم عليهم بأسى ومسارة ، ويرسم  
لهم طريق المعاملة الصحيح :

المرء منظر اليه  
من كنت تبغى ان تكون  
فابذل له ما في يدك  
ما دام يرجى ما لديه  
الدهر اذا فضل عليه  
وغض عما في يديه (٣)

اذن فقوم المعاملة التي يرضى عنها الناس النفع ، والصدقة انما يقومها الناس

بقدر ما تعود عليهم من النفع :

ما سلم ككك الا من يناولها  
ولا عدوك الا من يرجيها (٤)

فلا غرو اذا انتقد ابو العتاهية الاصدقاء :

واني لمشتاق الى ظل صاحب  
عذيري من الانسان لا ان جفوته  
يروق ويصفوان كدرت عليه  
صفا لي ولا ان كنت طوع يديه (٥)

(١) الديوان ١٥١

(٢) الديوان ١٧٧

(٣) الديوان ٢٨٥

(٤) الديوان ٢٨٩

(٥) الديوان ٢٨٧ - ٢٨٨

ولا غرو اذا تشوف الى الصديق المدوق :

كم من اخ لسي خانسي وده  
الحمد لله على صنعته  
وما تبدلت وما خنت  
اني اذا عزاخي هنت (١)

فاذا يشر من العثر على الصديق الحق تنسى الموت :

لهجت بدار الموت مستحسناتها  
ليخل امرؤ دون الثقات بنفسه  
وحسبي له دار المنية من عيب  
فما كل موثق به ناصح الجيب (٢)

فاذا بذل لك النصيح في الاسلوب الذي تهجه في معاملة الاصدقاء ، فلانه  
موقن بان العداقة الصحيحة هي انفس ما يحرص عليه امرؤ واعز ما يناله :

واحفظ اخاك لما رجاك له  
وارفع نواظره وكن سدا  
واذا دعاك فكن له عضدا  
فلقد يكون اخو الرضا سدا (٣)

بل انه ليفصل في ذلك قليلا فيقول :

أقلل زيارتك الصديق ولا تعطل  
واعلم بانك لا تلاثم كل من  
ان الصديق يلج في غشيانته  
حتى تراه بعد طول مسرة  
واخف ما يلقي الفتى قريبا على  
هجرانه فيلج في هجرانه  
القي اليك تلهفا بلمانه  
لهديقه فيمل من غشيانته  
بمكانه مستثقلا بمكانته  
اخوانه ما خف من اخوانه (٤)

(١) الديوان ٥٤

(٢) الديوان ٣٠

(٣) الديوان ٧٧

(٤) الديوان ٢٨٠ - ٢٨١

ونقيصة ثانية من النقائص الخلقية : غدر الناصر ومكرهم - قال :

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| فيا رب ان الناس لا ينصفونني  | وان انا لم انصفهم ظلموني   |
| وان كان لي شيء تصدوا لآخذه   | وان جئت ابغض سييئهم منعوني |
| وان نالهم رقدى فلا شكر عندهم | وان انا لم ابذل لهم شتموني |
| وان وجدوا عندي رجاء تفرسوا   | وان نزلت بي شدة خذلوني     |
| وان طرقتني نكبة فكفوا بهـ    | وان صحبتني نعمة حمدوني (١) |

أرأيت كيف يحكم عليهم باللثم والخطبة ؟ وقال في تزلفهم الى القوى وانقلابهم على الضعيف :

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| ما الناس الا للكثير المال او | لمسلط ما دام في سلطانه        |
| فاذا الزمان رمى الفتى بطلمة  | كان الثقات عليه من اعوانه (٢) |

ولكنه لم ينفذ بعد يديه من الزمان ، وان كان قد نفذهما من ابنائهم :

|                          |                             |
|--------------------------|-----------------------------|
| يا خليتي لا اذم زمانى    | غير انى اذم اهل زمانى       |
| لست احصي كم من اخ كان لى | منهم قليل الوفاء حلو اللسان |
| لم اجده مواتيا فتصدقـت   | بحظي منه على الشيطان (٣)    |

ومن ذلك : الكبرياء والغرور - وفيهما يقول :

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| حتى متى ذو التيه في تيهـ | اصلحه الله وعافاه       |
| يتيه اهل التيه من جهلهم  | وهم يهوتون وان تاهوا    |
| من طلب العز ليبقى بهـ    | فان عز المرء تقبوا      |
| لم يعتصم بالله من خلقهـ  | من ليس يرجوه ويخشاه (٤) |

(١) الديوان ٢٥٥

(٢) الديوان ٢٨٠

(٣) الديوان ٢٦٠

(٤) الديوان ١٢

ومنها : انعدام الوفاء - كما في قوله :

ليت حظي منه ومن مثله ان  
احمد الله كيف قد فسد الناس م  
لا تراه عيني وان لا يراني  
وقل الوفاء في الاخوان (١)

ومنها قلة التقى - ولذلك يقف فيهم واعظا مذكرا :

ايها ذا الناس ما حمل بكم  
وسقام ثم موتنا زل  
وحساب وكتاب حافظ  
وصراط من يقع عن حده  
عجا من سهركم كل العجب  
ثم قبروننا زول وجل  
وموازن ونار تلته  
فالي خزي طويل ونصب (٢)

وهم في ذلك حقيقون برئائهم وهزئهم :

يا ساكن الدنيا لقد اوطنتها  
وشغلت قلبك عن معادك بالمنى  
يا ساكن الدنيا كأنك خلعت انك م  
اذكر احبتك الذين ثكلتهم  
والخير ما قدمت سنة حالهم  
وامنتها عجا فكيف امتنتها  
وخدعت نفسك بالهوى وفتنتها  
خالد فجمعتها وخزنتها  
اذكر رهونا في التراب رهنتها  
للمالحين فعلتها وسنتها (٣)

وهكذا تنجم هذه النقائص الخلقية في مجتمع ابي المعاهية حتى يضطرب ويفسد

فينقم عليه شاعرنا ويزهده فيه .

(١) الديوان ٢٦٠

(٢) الديوان ٢١

(٣) الديوان ٥٨



## ب - الآفات الاجتماعية

ثاني شرور المجتمع ، وهي كثرة نشير في ما يلي الى ابرزها • واولها في

عرفابي العناهية : الاقبال على الدنيا - قال :

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| لهوت وكسم من عبرة قد حضرتها  | كأنك عنها غائب حين تحضر    |
| ألم ترى يا مغبون ما قد غبنته | وانت ترى في ذاك انك تتجر   |
| خدعت عن الساعات حتى غبنتها   | وغرتك ايام قصار واشهر      |
| فيا باني الدنيا لغيرك تبتني  | ويا عامر الدنيا لغيرك تعمس |
| وما لك الا الصبر والبر عند   | والأ اعتبار ثاقب وتنگر (١) |

وكيف يقبل امرؤ على دنيا مآلها الزوال ؟ :

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| وللناس حب لطلول البقاء    | فيها وللموت فيهم دبيب    |
| أراك لدنياك مستوطن        | ألم تدرك انك فيها غريب   |
| فلا تحسب الدار دار الغرور | فتنزل صاحبها او تطير (٢) |

ومن هذه الآفات التكالب على موارد الرزق :

|                  |                       |
|------------------|-----------------------|
| رأيت الناس اتباع | لذي الدنيا والدهر     |
| وما للمرء الا    | نرى في الخير اوقد (٣) |

وهم في هذا التكالب مغبونون ، مغرور بهم ، يلهيهم الامل الباطل عن مصيرهم الذي لا مفر منه :

- 
- (١) الديوان ١١٦  
 (٢) الديوان ٢٦-٢٧ وقد وردت تستطيب ، وواضح انها خطأ مطبعي •  
 (٣) الديوان ٢٤٨

ايها المبصر الصحيح السميع  
 ما لنا نستطيع ان نجمع الما  
 حبيب الاكل والشراب اليـنا  
 وصنوف اللذات من كل لـسون  
 نجمع الثاني والقليل من الما  
 انت باللهو والهوى مخدوع  
 ل ورد الممات لا نستطيع  
 وينا القصور والتجميع  
 والفننا مقبل اليـنا سرـيع  
 ل وننسى الذي اليه الرجوع (١)

وانه اذ يتأسى عليهم / يغبنون ، تدركه الشفقة وهم يسامون من هذه المطامع والاهواء  
 الخسف والمهانة :

لعظيم من الامور خلقنا  
 كل يوم يحيط آجالنا الدهر  
 لا نبالي ولا ندره غرامنا  
 من رجونا لديه دنيا وصلنا  
 غير اننا مع الشقاء تنـام  
 ويدنو الى النفوس الحمام  
 ذا لعمري لو اتعظنا الغرام  
 وقلنا له عليك السلام (٢)

واذا كان الجمع همهم ، لم يبالوا امن حلال يجمعون ام من حرام :

ما نبالي امن حرام جمعنا  
 ههنا اللهو والتكاثر في الما  
 كيف نبتاع فانسى العيش بالـدا  
 ام حلال ولا يحل الحرام  
 ل وهذا البناء والخـدام  
 ثم اين العقول والاحـلام (٣)

وانه ، وهو يقلب النظر في هذه الدنيا الزائلة ، تتضح له فهاة هذا الصراع على الحياة :

(١) الديوان ١٥٢

(٢) الديوان ٢٣٩

(٣) الديوان ٢٣٩

لقد لعبت وجدّ الموت في طلبـي  
لو شمرت فكرتي فيما خلقت لــــه  
سبحان من ليس من شيء يعادلــــه  
وان في الموت لسي شغلا عن اللعب  
ما اشتد حرصي على الدنيا ولا طلبـي  
ان الحرص على الدنيا لفي تعــــب (١)

ومن مظاهر هذا التكالب الذي يعيبه ابو العتاهية على الناس : الحرص - وهو  
عنده من جملة المعايب التي ابتلي بها مجتمعه ، ناسعه يقول :

جمعت من الدنيا وحزت ونيتــــا  
وما لك مما يأكل الناس فيــــرما  
وما لك الا كل شيء جعلتــــه  
وما لك الا ما وهبت وامضيتــــا  
اكت من المال الحلال فانيتــــا  
امامك لا شيء لغيرك بقيتــــا (٢)

واستمع اليه يخاطب مجتمعي الاموال يبصرهم بما في الحرص من مذلة :

اذا المرء لم يعتق من المال رقــــه  
الا انما مالي الذي انا منقــــق  
اذا كنت ذا مال فبادر به الــــذي  
تملكه المال الذي هو مالكــــه  
وليس لي المال الذي انا تاركــــه  
يحق والا استهلكه هوالكــــه (٣)

وانه ليعيب على الجامعين جمعهم ينفقون في ذلك العمر ثم يمضون ويخلفونه لورثتهم  
وانما سبيل المال الحق عنده الانفاق في طاعة الله ، لا الامساك في طاعة الشيطان :

يا جامع المال في الدنيا لو ارتــــه  
لا تمسك المال واسترض الــــه به  
هل انت بالمال بعد الموت تنفع  
فان حسبك منه الرقي والشبــــع (٤)

(١) الديوان ٢٢

(٢) الديوان ٤٦

(٣) الديوان ١٩١

(٤) الديوان ١٥٦

وما دام المرء يمضي وماله وراءه تتداوله الايدي ، فليس له اذن الا الذكر

الحسن والسمل الصالح :

|                     |                       |
|---------------------|-----------------------|
| ان مال المرء ليس له | منه الا ذكره الحسن    |
| ما له ما يخلفه      | بعد الا فعله الحسن    |
| في سبيل الله انفسنا | كلنا بالموت مرتنا (١) |

وفكرة الفناء مقرونة بفكرة المال :

ماذا تؤمل لا ابا لك نفسي مال تموت وانت تمسكه (٢)

فما دام الموت واقعا لا محالة على الانفس والاموال فليحسن استغلال هذا المال :

|                        |                         |
|------------------------|-------------------------|
| ما لم تكن لك فيه منفعة | ما ملكت فلست تملكه      |
| انفق فان الله يخلفه    | لا تمض مذموما وتركه (٣) |

وها هوذا يعيد القول في هذا الرأي فيقول :

|                            |                                 |
|----------------------------|---------------------------------|
| أنا لفي دار نرى الاكثار لا | يبقى لها حبه ولا الاقـلـلا      |
| أأخي ان المال ان قدمته     | لك ليس ان خلفته لك مـالا        |
| أأخي كل لا محالة زائل      | فلمن نراك تـمـر الامـسـوا لا    |
| أأخي شأنك بالكفاف وخل من   | اشرى ونافس في الحطام وغالسي (٤) |

وخلاصة رأيه في هذا المال انه يجب ان يفرق في وجوه الخير :

خير سبيل المال تفرقه في طاعة الله وتمزيقه (٥)

(١) الديوان ٢٥٣

(٢) الديوان ١٩٢

(٣) الديوان ١٩٢

(٤) الديوان ٢١٣

(٥) الديوان ١٧٥

وهو ان يذم الحرص ويندد بالتكالب على موارد الرزق يلتصم الخلاص من هذه الآفات بالقناعة  
فيدعو اليها جاهداً :

|                            |                                    |
|----------------------------|------------------------------------|
| الحرص لثم ومثله الطمـــــع | ما اجتمع الحرص قط والسرع           |
| لو قنع الناس بالكفاف اذا   | لا تسعوا في الذي به قنعوا          |
| للمرء فيما يتيـــــمـــــه | لكنه ما يريد ما يســـــمـــــع (١) |

وانك لتراه يبدى - في فضائل القناعة - القول ويعيد ، اغراء للناس بها وحضاً عليها :

|                        |                                   |
|------------------------|-----------------------------------|
| ما شرف المرء كالقناعة  | والصبر على كل حادث يقـــــمـــــع |
| لم يزل القانعون اشرفنا | يا حبذا القانعون ما قنعوا (٢)     |

او :

|                             |                                      |
|-----------------------------|--------------------------------------|
| لما حصلت على القناعة لم ازل | ملكاً يرى الاكثار كالاقتـــــلال     |
| ان القناعة بالكفاف هي الغنى | والفقر عين الفقر في الامـــــوال (٣) |

او :

|                           |                                     |
|---------------------------|-------------------------------------|
| وقنع المرء يحمي عرضـــــه | ما القرير العين الا من قنـــــع (٤) |
|---------------------------|-------------------------------------|

ويراد فالدعوة الى القناعة عنده ، الحضر على ابتغاء الآخرة والتزود لها بالعمل الطيب :

|                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| امامك يا نومان دار سعادة       | يدم النما فيها ودار شقاـــــء    |
| خلقت لاحدى الغايتين فلا تتم    | وكن بين خوف منهما ورجـــــاء     |
| وفي الناس شر لو بدا ما تعاشرنا | ولكن كساه الله ثوب غطـــــاء (٥) |

ذلك ان في الآخرة الخلاص من هذه الحياة التي ينغصها الموت :

|                                 |                            |
|---------------------------------|----------------------------|
| قد رأيت الدنيا الى ما تصيـــــر | كل شيء منها صغير حقـــــير |
|---------------------------------|----------------------------|

أنا في حيلة التخلص منها  
هو ربي وحسبي الله ربي  
وعلى ذلك الآله قديـر  
فلنعم المولى ونعم النصير (١)

والتقى هو الزاد الذي يتزود به للآخرة في نظر أبي العتاهية :  
وما لامرئ من نفسه وتليده  
وما نال عبد قط فضلا بقوة  
لنا خالق يعطي الذي هو أهله  
وطارفه إلا نقاه وبذله  
ولكنه من الآله وفضله  
ويعفو ولا يجزى بما نحن أهله (٢)

### ج - الاستغلال السياسي

هو ثالث الشرور التي يتقاسمها المجتمع العباسي ، والتي أدت في رأى أبي العتاهية  
الى فساد هذا المجتمع . اول ما يأخذه ابو العتاهية على الحياة السياسية العباسية  
المضطربة : التنافس على السلطان :

حب الرئاسة اطفى من على الارض  
فحسبي الله ربي لا شبهه به  
حتى بغى بعضهم منها على بعض  
وضعت فيه كلا بسطي ومنقبضي  
ان القنوع لزاد ان رأيت به  
كنت الغني وكنت الوافر العريض (٣)

- 
- (١) الديوان ١٠٣  
(٢) الديوان ٢٣٥ - وسيرد ذكر القناعة والأخوة والتقى كثيرا في كلامه عن الموت والحياة  
وسنقفل رأيه في ذلك بعض الشيء حينذاك .  
(٣) الديوان ١٢٩

وانك لتلمح من خلال ابيانه تطاحننا سياسيا وانثرة ومطامع واهواء تخطى جميعا .  
نتبين هذا في قوله :

الله يحفظ لا الحراســـــــــــــــــه  
 طلب الرئاسة ما علمــــــــــــــــت  
 والنا س يخبط بعضهمــــــــــــــــم  
 ولربما تخطي القراســــــــــــــــه  
 تقاتت فيه النفاســــــــــــــــه  
 بعضا على طلب الرئاسةــــــــــــــــه (١)

ومن مظاهره : التدجيل والتأخر بالمقائد - فطلاب الجامعة والنوخذ السياسيون  
يستبيحون المحرمات ، ويقطعون ما امر الله ان يوصل ، او يصلون ما امر ان يقطع ، ويستهيئون  
بكل مكرمة ، ويتأخرون بكل عقيدة ،

حب الرئاسة ١٤ يخلق الدنيا  
ينفي الحقائق والارحام يقطعها

ويجعل الحب حرما للمحبين  
فلا مروءة يبقي لا ولا دين (٢)

حتى اذا هتف :

أَخِي مِنْ عَشْقِ الرِّئَاسَةِ خَفْتَانِ      يَطْفِي وَيُحْدِثُ بَدْعَةً وَضِلَالًا (٢)

ادركت انه يحاذر ان تقع الامة فيما وقعت فيه قبل ذلك • وتبينت ان نار الفتنة واصطراع  
 السياسة وبدعهم وتنافسهم على حطام الدنيا • كانت جميعا من ذبول هذا الفساد السياسي  
 الذي عم مجتمع بني العباس • وفي مثل هذه الحال يفتقد الناس المصلح فلا يجدون  
 سوى زمرة من الدجالين المرائيين :

(١) الديوان ١٣٣

(٢) الديوان ٢٨٠

(٣) الديوان ٢١٥

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما  
كالطبع الثوب من عرى وخزيتيه  
واعظم الاتم بعد الكفر نعمطيه  
عرفانها بعيوب الناس بصره  
اذ عبت منهم امورا انت تأتيها  
للناس باديه ما ان يوارتها  
في كل نفس عماها عن مساويها  
منهم ولا تبصر العيب الذي فيها (١)

شر في الخلق ، وشر في الاجتماع ، وشر في السياسة : نفاق وغدر ، لهو وحرص ،  
تنافس على النفوذ والعرض الزائلين . هذا ما رآه ابو العتاهية في المجتمع الذي  
عاش فيه فحكم عليه من اجل ذلك بالفساد ، ونقض منه يديه . و " الناس علس  
دين ملوكهم " - كما يقولون - ولذلك لا يعجب ان يجد الناس من الفساد  
على نحو ما قال :

ايما عجباً للناس في طول ما سهوا  
يقولون نرجو الله ثم افتروا به  
تصابى رجال من كهول وجبله  
نما سوء للشيب اذ صار اهل سفه  
واكب بنو الدنيا عليها وانهم  
وفي طول ما اغتروا وفي طول ما لهوا  
ولو انهم يرجون خافوا كما رجوا  
الى اللهو حتى لا يباليون ما اتوا  
اذا هيجتهم للنبا صبوة صبوا  
لتنهاهم الايام عنها لو انتسوا (٢)

الناس في ضلالة يعمهون : كذب ورياء واختلال في الموازين . فليندب جيله :

يا رب جيل قد سمعت به  
وجميع ما نلهو به مرحبا  
والناس في رتع الغرور كسبا  
ورأيت قد همدت خضار مه  
من لذة فالموت هادم مه  
رتعت حين المعنى بهائم مه (٣)

(١) الديوان ٢١١

(٢) الديوان ٢١٦ - ٢١٧

(٣) الديوان ٢٥٠



فلذا سألته تفصيلا قال :

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| دخلا فروع اصوله الأنعام   | زمن مكاسب اهله مذخورة    |
| حتى كأن المكرمات حرام     | زمن تحامى المكرمات سراته |
| قطعا فليس لاهله اعلام (١) | زمن هوت اعلامه وتقطع     |

وبكلمة اخرى ، زمانه - في ما يرى - زمان تعطلت فيه السنن والاخلاق ، وانقلبت  
الاوراع والقيم ، فحلل الحرام وحرم الحلال ، وخلت منه العدالة الاجتماعية كما يتبين  
من هذه القصيدة :

|                     |   |                      |
|---------------------|---|----------------------|
| من مبلغ غني الامسا  | م | من نائح متواليه      |
| اني ارى الامعاء     | م | اسعار الرعية غالبه   |
| وارى المكاسب نزره   |   | وارى الضرورة غاشيه   |
| وارى غصن الدهر را   |   | ثمة تمر وغاديه       |
| وارى التماسى والارا |   | مل في البيوت الخاليه |
| من بين راج لسم ينزل |   | يسمو اليه وراجيه     |
| يشكون مجهدة باصوات  | م | ضعاف غاليه           |
| يرجون رفسد ككي يروا |   | مما لقوه العافيه     |
| من يرتجى للناس غيرك | م | للعيون الباكيه       |
| من مصيبيات جوع      |   | تمسي وتصبح طاريه     |
| من للبطون الجائعه   |   | ت وللجوع العاريه     |
| من لارتباع المسلمين | م | اذا سمعنا الراعيه    |
| القيت اخبارا اليك   | م | من الرعيه شافيه (٢)  |

(١) الديوان ٢٤٤

(٢) الديوان ٣٠٣ - ٣٠٤

الناس في ضيق اقتصادي ، فقر وجوع وعري ، ثم ظلم واصوات تحجب عن  
 جدران البلاط . وهذا ابو العتاهية يبلغها الخليفة بأدبه النافذ ، تلك  
 اذن حال الغالبية الساحقة من المواطنين كما رآها ابو العتاهية ، بطون جائعة ،  
 وجسم عارية ، وشعب بائس محروم . وهذه مصادر الرزق ، على ما يبدو له ، ضئيلة  
 محتكرة في ايد قليلة ، والدولة مقصرة في واجباتها الاجتماعية كما نلاحظ من خلال  
 القصيدة .

والواقع ان هذا الوصف التفصيلي لسوء مجتمع ، يكاد لا يظهر الا في هذه  
 القصيدة . وما تبقى وصف وتصوير ينطبقان على عصره كما ينطبقان على اي عصر فاسد -  
 غدر ونفاق ورياء ، وفقدان وفاء ، وتكالب على المال والنفوذ . واي مجتمع يشهد  
 لا يكون فيه غدر ونفاق ورياء ، ولا ينعدم فيه الوفاء ويشهد الحرص على مغريات الدنيا ؟  
 واذا تلمست له العذر في ذلك ، فقل ان مجتمعه هو الحياة كلها ، ونقائس مجتمعه هي  
 نقائس الحياة .

## • الفصل الثالث •

- ٤ -

### الحياة والموت في شعرا أبي العتاهية

---

سنرى ان قوام نظرة ابي العتاهية الى الدنيا ما رآه من زوال هذه الدنيا وغدورها .  
اما نظرته الى الموت فتقوم على رهبة هذا الموت وشموله وغدوره . وسنراه بعد ذلك يخلو  
الى نفسه خائفا ، يائسا ، يحض على التقوى ، ويغرى بالزهد في الدنيا والعمل للآخرة .

#### أبو العتاهية والدنيا :

---

قلنا ان رأى ابي العتاهية في مجتمعه ، هو رأيه في كل مجتمع فاسد . وهو  
بالتالي رأيه في الحياة كلها . فاذا ساء ظنه بالمجتمع ، فذلك لانه رأى الناس فيه مخادعين  
ومنافقين ، اذا نعتهم بالفساد والاختلال فلانه وجد الحياة كلها نفاقا وانحرافا ، فكل ما في  
الدنيا في اعتقاده باطل . وعيوب هذه الدنيا كما بدت له كثيرة ، لكن يمكن اجمالها في  
عيوب بارزين :

( ١ ) - الزوال : وأبو العتاهية لا يفتأ يقلب النظر فيها ، ويبدى القول ويعيبه ،  
فاذا الصورة تكبر او تصغر ، وتسمع او تضيق ، ولكنها لا تخرج عن الاصل الذي رسمه  
لها ، قال :

سريع تداعبها وشبك فناؤها  
تكرت الدنيا وحان انقضاؤها

الا نحن في دار قليل بقاؤها  
نزود من الدنيا التقى والنهى فقلها

غداً تخرب الدنيا ويذهب أهلها  
تترقى من الدنيا الى اى غايــــــــة  
جميعها وتطوى ارضها وسماؤها  
سموت اليها فالمنايــــــــة راءها (١)

وحقيقة الفناء هذه تنفص على ابي العتاهية دنياه ، حتى يسرف في التشاؤم واليأس :

هب الدنيا تماق اليك عفووا  
فما ترجو بشي ، ليس يبقــــــــى  
وحقك كل ذا يفسى سريعــــــــا  
ولا شــــــــي يدم مع الليالــــــــي (٢)

واى حياة تلك الحياة ؟ :

انما انت مستعير لما مــــــــو  
كيف يهوى امرؤ لذاته ابيــــــــا  
ف تردن والمعمــــــــار يــــرد  
م عليه الانفاس فيها تعمــــــــد (٣)

واذا ذكرنا ان ابا العتاهية نشأ فقيراً ، محروماً ، يحس بالضعة والنقص ، ادركنا مصدر غلوائه في تـحـقـق الدنيا وزمها . فلا غرو اذا اقبل على اصحاب الثراء والجاه ، الذين يضرلهم نعمة واسى ، يوسعهم تسفيها وتخبيلا ، ويحضهم على التخلي عن هـــــــــذه الشؤون التي تلهف عليها في يوم من الايام . وهم يزعمون لهم ذلك ؟ انه يسخر بيانه القوى المعبر الطمئع من اجل ارهابهم وتشخيص الآم الحياة وشقاها وتفاقتها ، فسيعد الى تكرار الفاظ معينة او معان معينة ، وفلسفة معينة ليزداد تأثير دعوته وليتضح قصده ، ويتأصل المعنى الذى يرمى اليه في نفوس سامعيه . وهذا يفسر كثيراً ما يرين على زهده من تكرار « وليضرب لهؤلاء المغرورون امثلة حية منتزعة من صميم حياتهم :

(١) الديوان ١٠

(٢) الديوان ٢٠٦ - ٢٠٧

(٣) الديوان ٢٨

يا من بنى القصر في الدنيا وشيّد  
لا تغفلن فان الدار فانيسـ  
والموت حوض كريمة انـت واردة  
مالي اراك وما تنفك من طمـ  
تذم دنيا لئلا لا تبوح بسـ  
فلو عقلت لاعدت الجهاز لها

اسمت قصرك حيث السيل والغرق  
وشربها فخص ارضوها رنـ  
فانظر لنفك قبل الموت يا مذق  
يمتد منك اليه الطرف والعنـ  
الا وانت لها في ذاك معتـ  
بعد الرحيل بها ما دام لسي رمق (١)

فما دامت الدنيا شائمة بهذا الغناء ، مضجرة للجهد والكد ، فهي حريصة بالمذمة  
في رأيه ،

الا كل مولود فللموت يولد  
تجرد من الدنيا فانك انما  
وافضل شيء نلت منها فانـه  
وكم من عزيز اعقب الدهر غـرة  
فلا تحمد الدنيا ولكن ذمـها

ولست ارى حياء لشيء يخلـد  
سقطت الى الدنيا وانت مجـرد  
متاع قليل يضمحل وينفـد  
فاصبح محروما وقد كان يحـد  
وما بال شيء ذمه الله يحمد (٢)

وكيف لا يذمها وساعاتها فيها ومعاشه قد قدرت عليه ؟

الا انما الدنيا عليك حصار  
وما لك في الدنيا من الكد راحة  
وما عيشها الا ليال قلائـل  
وما زلت مزموما تقاد الى البلى  
وعارية ما في يديك وانـها

ينالك فيها ذلة وصغار  
ولا لك فيها ان عقلت قـرار  
سراع وابسام تمر قصـار  
يسوقك ليل مرة ونهـار  
يعارلرد ما طلبت يعـار (٣)

دنيا تحفل بالنصب والاذى ، يحفها البلى من كل جانب ، وتحصى فيها على المرء  
الانفاس ، وتتعد الجرع ، فاي خير فيها لمن لسه نفسية ابي العاهية الخائفة القلقة ،  
المضطربة ؟

(١) الديوان ١٧٢

(٢) الديوان ٧٤

(٣) الديوان ١٢-١٣

اعيد ذك ان تسر بعيش دار  
 بدار ما تزال لساكنها  
 الا ان اليقين عليه نور  
 وان الله لا يبقى سواه  
 وكم عاينت من ملك عزيز  
 وكم عاينت مستلبا عزيزا  
 ود ميت الخدود عليه لطم  
 ألم تر انما الدنيا حطام  
 قليلا ما يدوم لها سرور  
 تهتك عن فضائحها الصور  
 وان الشوك ليس عليه نور  
 وان تك مذنباً فهو الغفور  
 تخلي الاهل عنه وهم حضور  
 تكشف عن حلائله الخدود  
 وعصبت المعاصم والنحور  
 وان جميع ما فيها غرور (١)

فلا يغررن بها احد ولا يامنتها :

اراك لدنياك مستوطنها  
 اغرك منها نهار يضيء  
 فلا تحسب الدار دار الغرور  
 الم تدرك انك فيها قريب  
 وليل يجن وشمس تغيب  
 فتصفو لها حبا او تطيب (٢)

وليتعظ باحداثها :

يا ساكن الدنيا لقد اوطنتها  
 وشغلت قلبك عن معارك المنى  
 يا ساكن الدنيا كأنك خلت انك  
 اذكر احبتك الذين شكلتهم  
 وامنتها عجباً فكيف امنتها  
 وخدعت نفسك بالهوى وفتنتها  
 خالد فجمعتها وخزنتها  
 اذكر رهونا في التراب رهنتها (٣)

وسنرى با العتاهية في كلامه عن الموت خائفا ، جزعا . فاذا نفر من الدنيا لانها زائلة

فانية ، فلانسه يهرب الموت ويخشاه ، ولانه يتسلى بدم الدنيا واستقصاء معاييبها عن خوفه

المقيم . فليفتن في عرض مثالب الدنيا . ولننص اليه وهو يتحرى مأخذا ثانيا من مأخذه عليها :

(١) الديوان ١٠٢ - ١٠٨

(٢) الديوان ٢٢

(٣) الديوان ٥٨

لا تأمن الدنيا على غدرها  
كم ستري في الناس من هالكها  
فانظر سبيلا ملكه ولا  
اصبحت الدنيا لنا عيرة  
قد اجمع الناس على ذمها  
فكم غدرت من قبل امثالها  
وهالك حتى ترى هالكها  
تحسب بان لست له سالكا  
والحمد لله على ذلها  
ولا اري منهم لها تاركا (١)

وهذا الغدر انما يتجلى بالأي العتاهية ، اكثر ما يتجلى ، في الموت • اصغ اليه

ينشد :

وبينما المرء تستقيم له م  
ما كذبني عين رأيت بها م  
راى عيش والعيش منقطع م  
ويصح عقول المستعصمين بدار م  
الدنيا على ما اشتهى اذا انقلب  
الاموات والعين ربما كذبت  
راى طعم للذة ذهب  
الذل في اى منشب نشبت (٢)

واسمعه يقول :

قد رأيت القرون قبل تفانت  
كم انا من رأيت اكرمت الدنيا م  
كم امور قد كنت شددت فيها م  
هي دنيا كحبة تنفست السم م  
درست وانقضت حريها وانبت  
ببعض الغرور ثم اهانبت  
ثم هونتها عليك فهانبت  
وان حية بلمسها لانبت (٣)

وانه ليعجب كيف يغتر بها الناس وقد بلوا الوانا من غدرها :

وما زالت الدنيا تكدر صفوها  
بلينا من الدنيا على حننا لها  
السنا نرى الايام يجرى صروفها  
السنا نرى غدر الزمان باهلها  
وما زالت الدنيا تنغص درها  
بدار غرور ويحها ما اغرها  
السنا نرى حتى الليالي ومرها  
السنا نرى عطف السنايا وكرها (٤)

(١) الديوان ١٨٦

(٢) الديوان ٣٨

(٣) الديوان ٥٠-٥١

(٤) الديوان ١٢٥

ناذا هي لا تستقر على حال • فليناج نفسه هذه المناجاة الرقيقة ، وليستمع بهذه  
الافانسي العاطفية بكررها بلفظ ناعم عذب ، على التعبير عن حاله النفسية المشوقة الى  
الحياة والخائفة من الحياة :

|                           |                           |
|---------------------------|---------------------------|
| طالما سحبت خلفي الشيا بـ  | طالما حلا معاشي وطالما بـ |
| طالما ناهزت صبحي الشرا بـ | طالما طاعت جهلي ولعبي بـ  |
| فرماني سهمه واصابا (١)    | طالما كنت احب التصاب بـ   |

ولكن الناس قلما يتعظون بها :

|                                      |                               |
|--------------------------------------|-------------------------------|
| فكم تلاعبت الدنيا بامثاله            | مسكين من غرت الدنيا بآماله    |
| بطول ادباره فيها واقباله             | ينسى الملح على الدنيا منيته   |
| حتى تقتصه من جوف سراله               | وما تزال صروف الدهر تخطله     |
| شيئا يدم من الدنيا على حاله          | ليس الليالي ولا الايام تاركسه |
| ان يخطر الموت في الدنيا على باله (٢) | يا هوس للجاهل المغرور كيف ابى |

الست ترى في تكراره " يا ساكن الدنيا " او " ألسنا نرى " او " طالما " ؟  
معنى خاصا ؟ بلى انه التوكيد وابتغاء شدة التأثير • وهكذا نرى الموت في  
وجه ابي العتاهية يلاحقه شبحه اينما حل ، لكنني به الحرياء تتبدى بشتى الالوان  
فلن نتوقع منه غير الطعن فيها والخط منها :

|                              |                                 |
|------------------------------|---------------------------------|
| انت في دار ترى الموت فيها بـ | (٣)<br>مستحيطا قد ازل الرقاب بـ |
| ابت الدنيا على كل حـ بـ      | آخر الايام الا ذهاب بـ          |
| انما تنفي الحياة المنايا بـ  | مثلا ينفي المشيب الشباب بـ      |

(١) الديوان ١٢٥

(٢) الديوان ٢٨

(٣) كذا في الديوان ولعلها محرفة عن اذل ( بالذال )



ما ارى الدنيا على كل حي  
اي عيش دام فيها لحى  
اي ملك كان فيها لقم  
انما داعي المنايا ينادى

نالها الا اذى وعذابها  
اي حي مات فيها قآبها  
قبلنا لم يسلبه استلابها  
احملوا الزاد وشدوا الركابا (١)

فوجه الحياة في نظره هو وجه الموت ، وصوتها هو صوت الموت ، وروحها هو روح الموت .  
فليصمها بالغدر والمرارة ، وليحكم عليها بالخسران ، وليلجأ مرة اخرى الى التكرار :

فنون رداك يا دنيا  
فانت الدار فيك الظلم  
وانت الدار فيك اللطم  
وانت الدار فيك الغد  
وفيك الحبل مضطرب  
وفيك لما كيك الغبن  
وملكك فيهم دول  
كأنك بينهم ككرة

لعمري فوق ما اصف  
والعدوان والسرف  
والاحزان والاسف  
ر والتغيب والكلف  
وفيك البال منكسف  
والآفات والتلف  
بها الاقدار تخطف  
ترامى ثم تلتقف (٢)

واذا كان هذا شأنها من الزوال والغدر ، فلا غرو اذا الح في الدعوة الى اعتزالها ومجانبة  
شروعها :

اهرب بنفسك من دنيا مظلمة  
مر مذاقة عقباها واولها  
ان ذقت حلواها عادت لي عواقبها

قد اهلكت قبلك الاحياء والعلا  
غداة تكثر الاحزان والعلا  
مرارة يحتويها كل من اكلا (٣)

وانه وهو يحط من شأنها ليمسوق لك الادلة على صحة رأيه :

ما انت يا دنيا بدار اقامة  
وخفت يا دنيا بكل بكية

ما زلت يا دنيا كفي ظلال  
ومزجت يا دنيا بكل وسال (٤)

(١) الديوان ٢٦

(٢) الديوان ١٦٨

(٣) الديوان ٢١٢

(٤) الديوان ١٩٩

كأنه وهو يكرر نداه المتحرق شوقا اليها والتباعا منها ، يرسم لقارنه صورة ناطقة  
له وقد جاذبه حب الدنيا ، فكيف يقبض قلبه بالبهجة وشبح الموت ماثل أمام ناظره ؟ :

كأن محاسن الدنيا سـراب      رأى يد تناولت السـرابا  
وان يك منية عجلت بشـي      تسربه فان لها ذهابا (١)

ولكن سرعان ما يطفئ عليه الخوف فيرى فيه الراحة من كل عناء بما في ذلك عناء السعي  
والكد :

فيا عجبا تموت وانت تبني      وتتخذ المصانع والقبابا  
ألم تر ان غدوة كل يـسـم      تزيدك من منيتك اقترابا (٢)

اوليست الحياة عنده تعني الموت ولا شيء غير الموت ؟ :

ان كانت الدار ليست لسي بياقية      فما عنائي بتأسيس وتشيد (٣)

وفيم النصب وهو يغرس البذرة صغيرة ثم يتعهد لها ، فاذا ما اينعت وحن طافها نودي  
للرحيل ؟ :

فيا باني الدنيا لغيرك تبني      ويا عامر الدنيا لغيرك تعمـر (٤)

فلمتعطل كل جهد ، ولتخمد كل عزيمة :

أليفك يا دنيا كثير غمومـه      فليس نجاة منك غير اعتزالـك (٥)

(١) الديوان ١٤

(٢) الديوان ١٤-١٥

(٣) الديوان ٨٥

(٤) الديوان ١١٦

(٥) الديوان ١٨٩

وأي رجاء ازاء موت لا يستثنى احدا ؟

لذوا للموت واهبوا للخراب  
لمن نبني ونحن السي تراب  
الا يا موت لم ار منك بـدا  
فلكم يصير السي تـراب  
نصير كما خلقنا من تراب  
اتيت وما تحيف وما تحاسي (١)

او قوله :

يا ساكن الدنيا اتعمرمسكنا  
لما وجدت الدعوة صريحة الى شل الجهود ؟ اسمعه مرة اخرى :

أيا جامعي الدنيا لمن تجمعونها  
وكم من ملوك قد رأينا تحصنـت  
وتبنون فيها الدور لا تسكنونها  
فعطلت الايام منها حصونها (٢)

واسمعه ينادي :

ويا جامع الدنيا لغير بلاغـه  
وكم قد رأينا الجامعين قد اصـبحت  
مستركها فانظر لمن انت جامع  
لهم بين اطباق التراب مضاجع (٣)

اذن فقوم تنفير ابي العتاهية من دنياه ، ومرد نقيته عليها هو الموت . فلنشرع في  
استقصاء معالم آرائه فيه ، وهو الشق الثاني من هذا الفصل .

(١) الديوان ٢٣

(٢) الديوان ٢٦٢

(٣) الديوان ٢٨٣

(٤) الديوان ١٥٠

## ابو العتاهية والموت :

---

رأينا ابا العتاهية يأخذ على الدنيا - اول ما يأخذ - انها زائلة  
 ثانية . فاذا هو خائف مذعور ، يطارده شبح الموت في كل حين ، ويتمثل له  
 وجهه في كل شيء يحيط به ، ويطالعه انسى اتجاهه . فلا عجب ان تحفل زهدياته  
 بذكر الموت ، وتصوير أهواله وآفاته . واذا استقصينا شعره في ذلك وجدناه قائما  
 على ثلاث نظرات رئيسية :

(١) - رهبة الموت : ابو العتاهية يخشى الموت ويفرق لذكره ، ولا يزال  
 يذكر الناس بأهواله وآلامه ليتعزى بخوفهم عن خوفه ، وليرهبهم به عساه يدنس  
 خوفه المقيم في جزعهم وقلقهم . فلن نستغرب اذا سمعناه يكرر المعاني ويعيد  
 عرض الفكر الواحدة ، ولن نستغرب ان يحثهم على الانتباه من غفلتهم ، والانصات الى صوت  
 الموت الرهيب المخيف ، وان في جزعه من الموت وخوفه منه ، بعض التأويل المعقول  
 لنقمته على الدنيا وشاؤمه :

|                           |                               |
|---------------------------|-------------------------------|
| وللموت داع مسمع غير انشبي | ارى الناس عن داعيه في غفلات   |
| فلله عقلي ان عقلي لنا قـ  | ولو تم عقلي لا غفمت حياتي (١) |

فاذا رأى ان الناس غافلون ، واذا ظن انهم بوعظه وتبكيته لهم سيعررون ، لجأ  
 الى التنديد به ، والتحذير منه :

مالي رأيتك راكبا لهواك  
انظر لنفسك فالمنية حيث ما  
اظننت ان الله ليس يراك  
وجدت واقعة هناك حذاكا (١)

فكيف لا يتعظ الناس وكيف لا يروعون وصوت الموت يهم الاذنين ؟

للموت داع مزعج وكأنه  
وليم تفرك عدة ضيعته  
لتجهزن جهاز منقطع القوى  
قد قام بين يديك ثم دعاك  
والمرء افقر ما يكون هناك  
ولتشحطن عن القريب نواك (٢)

وظل الموت يطالعه في كل ناحية :

ارى الموت لي حيث اعتمدت كميننا  
سيلحقني حادي المنايا بمن مضى  
يقين الفش بالموت شك ، وشكه  
علينا عيون للمنون خبيصة  
واصبحت مهموما هناك حزينا  
اخذت شمالا او اخذت يميننا  
يقين ، ولكن لا يراه يقينا  
تدب ديبا بالمنية فينا (٣)

وان رهبة الموت هذه قد ملكت عليه ليه واعصابه ، فشغل بها عن كل شيء آخر :

واصبح لي في الموت شغل عن الصبا  
اذا انا لم اشغل بنفسي فنفس من  
وفي الموت شغل لذوى العقل  
من الناس ارجو ان يكون بها شغلي (٤)

واذا قلب شاعرنا نظره في هذا الموت ، وفي الكون حوله ، ثبتت هذه الرهبة في

نفسه ان هذا الموت عام في الناس جميعا ، لا يغادر منهم صغيرا ولا كبيرا ، ضعيفا

او قويا . وتلك نظرته الثانية الى الموت يستقيها من :

(١) الديوان ١٨٣

(٢) الديوان ١٨٣

(٣) الديوان ٢٦٨

(٤) الديوان ٢٠٣

( ٢ ) - شمول الموت :

|                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| لا سوقة يبقى ولا ملك        | الموت بين الخلق مشترك      |
| اغنى عن الاملاك ما ملكوا    | ما ضر أصحاب القليل وما     |
| الدنيا وما فيها لهم درك     | عجا تشاغل اهل ذى           |
| منها وفاتهم الذى دركوا      | طلبوا فما نالوا الذى طلبوا |
| لا بل سبيلا واحدا ملكوا (١) | لم يختلف في الموت مملكوهم  |

أرأيت اليه كيف وجد في اشتراك الناس جميعا في الموت لونا من ألوان المساواة التي كان يصبوا اليها في حياته ، ومعنى من معاني التعويض عن الضمة التي كان يتحسسها كلما افتقد عز الحسب ، وجاء الاصل الزكي الكريم ؟ فاذا غاب على بني آدم اقبالهم على الدنيا ونسيانهم الموت ، واذا خوفهم الموت هذا وحذرهم غولته ، فانما يدفعه الى ذلك دافعان : دافع الخوف كما شاهدنا في كلامنا عن رهبة الموت ، وكما في قوله :

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| وانني ممن يكره الموت والبلى  | ويعجبه ربح الحياة وطيبها      |
| ايها هادم اللذات ما منك مهرب | تحاذر نفسي منك ما سيصيبها (٢) |

( وليس بعد هذا الاعتراف الصريح من شاعرنا اعتراف بحبه للحياة وكرهه للموت وخوفه منه ) ، والدافع الآخر دافع المساواة بين الناس . وفي ذلك تعويض عن النقص القديم الذى كان يستولي عليه دائما . فاذا رأى ان الموت عام في البشر جميعا لا يستثنى منهم احدا ، وان فيه يستوى الحر والمولى ، والغنى والفقر ، والقوى

(١) الديوان ١٨٦

(٢) الديوان ٣٤

والضعيف ، وسيان فيه ذو الاصل الكريم وذو الاصل الوضيع ، بردت سموم  
 نقيته بعض الشيء ، وتطلع الى المجتمع يبتغي بترهيبه بالموت تعطيل جهوده والدعوة  
 الى القنوع والكفاف على امل المساواة بمن اعجزه اللحاق بهم ثروة او همة او علما ،  
 وليتفنن ما شاء له التفنن في تصوير احوال الموت وتفاهة الحياة ، وليقض على آخر  
 خيط من خيوط الآمال في النفوس :

|                                       |  |
|---------------------------------------|--|
| غدا تخرب الدنيا ويذهب اهلها           | جميعا وتطوى ارضها وسماؤها                |
| ترق من الدنيا الى اى غايــــــــــــة | سموت اليها فالنأيــــــــــــا وراها (١) |

وانه ليجعل من نفسه مثالا على الانخداع بالدنيا والسهر عن الموت ، لينتج له ان  
 يوسع المجتمع في شخصه لوما وتقرعا :

|                                     |                                    |
|-------------------------------------|------------------------------------|
| نسيت منيتي وخذعت نفسي               | وطال علي تعميري وغرسي              |
| وكل ثمينة اصبحت اغلــــــــــــي    | بها متباع من بعدى بوكــــــــسي    |
| وما ادرى وان املت غمــــــــــــرا  | لعلي حين اصبحت لست افســــــــسي   |
| وساعة ميتتي لا بد منهــــــــــــا  | تعجل منقلي وتحل حبــــــــــــسي   |
| اموت ويكره الاحباب قرــــــــــــبي | وتحضر وحشتي ويغيب انــــــــسي (٢) |

حتى يصل الى الذين يبغى الوصول اليهم من المتفوقين عليه بين غني  
 الا يا ساكن البيت الموشــــــــــــي ستسكنك المنية بطن رمــــــــس (٣)

وصاحب سلطان :

|                                       |                                     |
|---------------------------------------|-------------------------------------|
| لا تامن الموت في طرف ولا نفس          | وان تمنعت بالحجاب والحرس            |
| فما تزال سهام الموت نافــــــــــــذة | فسي جنب مدبرع منها ومــــــــرس (٤) |

(١) الديوان ١٠

(٢) الديوان ١٢٨

(٣) الديوان ١٢٨

(٤) الديوان ١٣٣

وانه ليذكره كما يذكر كل طاع وذا بطش ، وانه ليتوسل باعادة الالفاظ والمعاني  
والشديد بالغايين الى اشاعة الذعر والجزع :

|                          |                                 |
|--------------------------|---------------------------------|
| والمنايا تبيد كل العباد  | المنايا تجوس كل البلاء          |
| مثلما نلنا من نمود وعباد | لتنالن من قرون أراها            |
| هن اثنين من مضي من ايساد | هن اثنين من مضي من نزار         |
| اهل القباب والاطراد      | هل تذكرت من خلا من بني الاصفر م |
| سان ارباب فارس والساد    | هل تذكرت من خلا من بني سا       |
| ن الشيع الاعراض والاجساد | اهن داود ابن سليمان             |
| بسلطانه مذل الاعساد      | راكب الريح قاهر الجن والانس م   |
| ن وهامان اين ذو الاوتاد  | اين نمرود وابنه اين قنار        |
| ودليلا على سبيل الرشاد   | ان في ذكرهم لنا لاعتبارا        |
| ثم لم يعد روا عن الايساد | وردوا كلهم حياض المنايا         |

(١)

وان في ذكره لهم كذلك له رضا عما يفوته من قوة امثالهم وعزهم . وعزاه ذلك  
الموت الذي سوى بين الخلق جميعا ، وقضى على نوارق المجد التي طالما آلمت  
ابا العتاهية وآذته ، فليسرف في التشائم ، وليغال في تحقيق الحياة والتفسير منها  
مستعينا على ذلك بتصوير افانين الردى . ولكنه بالرغم من هذا الشعور الرضي  
الذي يحبغه عليه الموت ، لا يزال - اذا ما خلا بنفسه - يقشعر لهولده بدنه  
ويتمثل اشكالا والوانا . وهذا مظهر آخر من مظاهره التي يتصيد ها ويدل عليها :



( ٣ ) - غدر الموت :

في الحين الذي يرحب فيه ابو العتاهية بالموت ، داعية مساواة ورسول

عدالة انسانية ، تجده منكرا عليه غدره :

|                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| فلله دار ما احبّت رحيلها      | وما اعرض الآمال فيها واطولا    |
| وكم من ذليل عزّ من بعد ذلّة   | وكم من رفيع صار في الارض اسفلا |
| وكم من عظيم الشأن في قعر حفرة | تلحف فيها بالثرى وتسريلا (١)   |

وانه ليشمئز من هذا الموت الذي لا يرى ذمة ولا يخفى عهدا . كأنني به

وقد تمثل نفسه بين يدي ملك الموت يقوده الى النهاية التي قاد اليها الذين

رأى في موتهم بعض المساواة :

|                              |                                 |
|------------------------------|---------------------------------|
| فكم من عزيز قد رأينا امتناعه | فدارت عليه بعد احدى الدوائر     |
| وكم ملك قد ركب التراب فوقه   | وعهدى به بالاصف فوق المناير (٢) |

فليعلمن موقفه من دهره القلب ، وليكررن في ذلك اللفظ او المعنى او كليهما معا :

|                           |                           |
|---------------------------|---------------------------|
| ايما عجا للدهر لا بل لربه | يخسر ربه الدهر كل اخا     |
| وشتت ربه الدهر كل جماعه   | وكدر ربه الدهر كل صفا (٣) |

وليحسن تصويره في قوله :

|                             |                              |
|-----------------------------|------------------------------|
| المت ترى للدهر نقضا واهراما | فهل تم عيش لا مرى فيه اوداما |
|-----------------------------|------------------------------|

(١) الديوان ٢١٢

(٢) الديوان ١٠٠

(٣) الديوان ٢

لقد ابت الايام الا تقلبا  
ونحن مع الايام حيث تقلبت  
لترفع ذا عاما وتخفض ذا عاما  
فترفع اقواما وتخفض اقواما (١)

اذن فليسى الظن بالدهر ، وليرجس منه خيفة ،  
فلا توطن الدنيا محلا فانما  
مقامك فيها لا ابا لك اياما (٢)

وفي نفس ابي العتاهية من دهره ندي جروح قديمة ، لا يزال يتحسس مواضعها وآثارها  
كلما جدد له الدهر عهود الغدر ، ولكنه قد بلاه فادرك كنهه ووقف على حقيقته ،  
اني حلبت الدهر اشطره  
فأريتني لم يصق لي حلبه  
فتوق دهرك ما استطعت ولا  
تغرك فضته ولا ذهبه (٣)

وان له من حسن تفهيمه للامور ، وطول تمرسه بشؤون دنياه ، ما يخفف عليه وقع الواقع المؤلم .  
اسمعه ينشد هذا المعنى البسيط الذي لم تحجب بساطته ما فيه من نباهة الفكر والمعية  
الرأى ، ولم تقص فيه على اصالة التعبير :

لا تعبتن على الزمان فما  
ولئن عبت على الزمان لما  
عند الزمان لعاتب عتبى  
يأتني به فلقل ما ترضى (٤)

ويجز لك نظرتي الى دهره بيت واحد رشيق :  
أأمنت الموت والموت يابس  
بك والايام الا انقلاها (٥)

(١) الديوان ٢٤١

(٢) الديوان ٢٤١

(٣) الديوان ٣٤

(٤) الديوان ٥

(٥) الديوان ٢٨

د هـ ر خ و ن ، قلب ، غادر ، يكمن فيه الموت ويتربص الفناء • فليتعض به ، ولينفذ منه يديه ، وليتحول الى عالم يجهله لعل له فيه املا وعزاء - الى العالم الآخر -

### ابو العتاهية والآخرة :

طفتا مع ابي العتاهية في دنياه يائسا متنائما مذعورا ، يخيفه الموت • ثم شاهدناه وقد تخلى عن دنياه واتجه بذهنه الى ربه يسأله حسن العقبى في الآخرة • فقد ربط اذن بين الموت والآخرة ، وتلمس في هذا الشبح العزاء يتمثل بالعظة يزوده بها هذا الموت • فاذا سمعته يندد بالموت ، ويعدد سؤات الحياة ، ويحث على التزود للآخرة ، فاعلم انه يعتصم بالآخرة خوفا من الموت وهلعا :

|                     |                     |
|---------------------|---------------------|
| كأن الموت قد نـ     | ففرق بيننا عـ       |
| كفى بالموت موعظـ    | ومعتبرا لمن عقـ     |
| الا يا ذا كرا الامـ | الذي لا يذكر الا جـ |
| وما تنفك من مشـ     | لسمعك ضارب مشـ      |
| وحيلتك التي للمـ    | ت في ان تحسن العمـ  |

(١)

وهذا المعنى توضحه الابيات الآتية :

|                                 |                                    |
|---------------------------------|------------------------------------|
| الا في سبيل الله ما فات من عمرى | تفاوت ايامي لعمرى وما ادرى         |
| فلا بد من موت ولا بد من بلى     | ولا بد من بعث ولا بد من حشر        |
| وانا لنبلى ساعة بعد ساعة        | على قدر الله مختلف يجرى            |
| وما هي الا رقدة غير انهمـ       | تطول على من كان فيها الى الحشر (٢) |

(١) الديوان ٢٢٥

(٢) الديوان ٩٩ - ١٠٠ وراضع في هذه الابيات ايمانه بالبعث والحشر وهو

معنى انكره عليه غير واحد من الباحثين •

فلتكن الحياة اذن جسرا يعبر عليه الى العالم الثاني . ولكنه جسر غير  
موثّل الاسس ولا موطّد الدعائم ولا مأمون الجوانب . وقد يغريك ما يحف به  
من مفاتن على ان ترتاده لتسرف منه على آفاق من اللذائذ ، وقد يقوى على حملك  
فترة من الزمن ، ولكنه سينهار بك في يوم من الايام لا محالة . فاذا اشرقت  
عليك الشمس من جنباته فلا تحببها بشمرا بنهار يصحك فيه السعد ، واذا  
هبت عليك النسمات فلا تخالفها وسيلة توسلت بها الدنيا لتبردك بنسائمها :

الست تراك كل صباح يـرم  
لعمرك ما تهب الريح الآ  
تقابل وجهه نائبة تدوب  
نعاك مصرحا ذاك الهبوب (١)

ولكنه الموت ماثل في ذلك كله :

هو الموت الذي لا بعد منه  
فلا يغلب بك الامل الكذوب (٢)

فما دام قد وطّد عزمه على التوجه الى الآخرة بكل ما يملك من قوة وبأس ، فليتزود  
لها بالتقى وهو المفتاح الذي تفتح به مصاريع ابوابها ، والسلاح الذي يقارع به  
خوفه وجزعته :

وما لا مرمى من نفسه وتليده  
وطارفه الا تقاء وبذله (٣)

لا مال ولا جاء ، ولا حسب ولا مجد ، ولا شيء مما يتناقص عليه الناس في الدنيا  
ينفع في الآخرة :

يا بانسي الدار المعد لها  
ومهد الفرش الوثيرة لا  
ماذا عملت لدارك الاخرى  
تغفل فراشي الرقدة الكبرى (٤)

(١) الديوان ١٦

(٢) الديوان ١٧

(٣) الديوان ٢٣٥

(٤) الديوان ٥

وكثير ما ينفع في الدنيا قد نأت ابا العتاهية ، فلا بدع ان احس برضى وهو يهون  
من شأنه وينفر منه ، ولا بدع اذا اعاضته عنه الدعوة الى التقى . فلما أخذ في تزيينها  
وتصوير محاسنها وليغري بها :

اشد الجهاد جهاد السورى      وما كرم المرء الا التقى (١)

وما كرم المرء عزولا نرا :

وكل طريف له لذة  
ولا شيء الا له آفة  
وليس الغنى نسب في يد  
ولكن غنى النفس كل الغنى (٢)

واذا كان الموت قد القى في قلبه الرعب وزهده في الحياة ، فانه لم ينمه الآخرة ولم  
يزهده فيها :

يا عين قد نمت فاستبهي  
اكره ان القى حمامي ولا  
لا بد من موت بدار البلى  
ما اجتمع الخوف وطيب المنام  
بد لحسي من لقاء الحمام  
والله بعد الموت يحيى العظام (٣)

بل انه ليخاف الآخرة كما يخاف الموت :

الموت باب وكل الناس داخله  
الدار جنة خلد ان عملت بما  
يا لمت شعري بعد الباب ما الدار  
يرضى الآلة وان قصرت فالنار (٤)

فلا مال الا مال التقى :

وما لك غير تقوى الله مال      وغير فعالك الحسن الجميل (٥)

(١) الديوان ٣

(٢) الديوان ٣

(٣) الديوان ٢٣٨ وتلاحظ الاشارة الى البعث في البيت الاخير .

(٤) الديوان ٦٦ وفي هذا البيت كذلك اشارة واضحة سريعة الى البعث .

(٥) الديوان ٢٠٥

ولا ثياب إلا ثياب التقى :

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى      تغلب عريانا وإن كان كاسيا (١)

ولا شيء مما يتنافس عليه الناس معداة الفخر إلا التقى :

لا فخر إلا فخر أهل التقى      غدا إذا ضلهم المحشـر  
ليعلمن الناس أن التقى      والبر كانا خيرا ما يذخـر  
ما أحق الإنسان في فخـره      وهو غدا في حفرة يقبـر  
ما بال من أوله نطفة      وجيفة آخره يفخـر (٢)

ففي التقى الفخر كله :

إلا أنما التقوى هي العز والكـرم      وحبك للدينا هو الذل والعدم  
وليس على عبد تقى نقصـة      إذا صحح التقوى وإن حاك أو جسم (٣)

وابوالعناهة قد حجم وعيب عليه ذلك ! فإن فاته في ذلك شرف ، ففي تقوى الله

كل الشرف :

وإذا اتقى الله امرؤ واطاعه      فيداه بين مكالم ومعهـال  
وعلى التقى إذا ترسخ نسي التقى      تاجان : تاج حكيمة وجـلال (٤)

ولا تتسم تقوى امرئ بدون قناعة :

نعم الفرائض الأرض قانع بـه      وكن عن الشر قصير الخطـا (٥)

(١) الديوان ٢٩٩

(٢) الديوان ١٠٣

(٣) الديوان ٢٤٣

(٤) الديوان ٢٩٥

(٥) الديوان ٦

## ابو العتاهية ونفسه :

---

ما دام مذهب ابي العتاهية في الحياة قوامه الخوف من الحياة والتنفير منها ،

فليخل بنفسه بتدبير امر هذا النسق من المعاش ، وليقنع قبل كل شيء :

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| رجعت الى نفسي بفكري لعلها    | تفارق من قد غرّها واذا لها   |
| فقلت لها يا نفس ما كنت آخذًا | من الارض لو اصبحت املك كلها  |
| فهل هي الا شبعة بعد جوعه     | والا متى قد حان لي ان املكها |
| ومدة وقت لم يدع مرما مشي     | علي من الايام الا اقلها      |
| ارى لك نفسا تبتغي ان تعزها   | ولست تعز النفس حتى تذلهـا    |

(١)

ففي هذه القناعة عزاء لنفسه ، وفيها المفر من وجه الحياة المتجهم بالفناء :

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| ساقنح ما بقيت بوقت يـمـم  | ولا ابغي مكاثرة بمـال      |
| تعالى الله يا سلم بن عمرو | اذل الحرص اعناق الرجال     |
| هب الدنيا تماق اليك عفرا  | اليس يصير ذاك الى الزوال ؟ |
| فما ترجو بشي ليس ينقـس    | وشيكا ما تغيره الليالي     |
| وحقك كل ذا ينفى سريعا     | ولا شـيـء يدوم مع الليالي  |

(٢)

وحياة فيها فناء ، كثير عليها الكفاف في اعتقاد ابي العتاهية :

حسبك ما تبغيه القوت      ما اكثر القوت لمن يموت (٣)

ويرافق معنى القناعة عند ابي العتاهية معنى الاستسلام واطراح المطامع :

على الناس بالتسليم والبر والرضا      فما ضاقت الحالات حتى توسعت (٤)

---

(١) الديوان ٢٣٠

(٢) الديوان ٢٠٦ - ٢٠٧

(٣) الديوان ٣٤٦

(٤) الديوان ٤٩

وهي قناعة معدرها اليأس قبل كل شيء ،

|  |                               |
|--|-------------------------------|
| جفت من الدنيا وحزت ومنيتنا               | وما لك إلا ما وهبت وامضيتنا   |
| وما لك ما يأكل الناس غير ما              | أكلت من المال الحلال فاقضيتنا |
| وما لك إلا كل شيء جعلتـــــــــــــــــه | أمامك لا شيء لغيرك ابقيتنا    |
| وما لك ما يلبس الناس غير ما              | كسوت والا ما لبست فابليتنا    |

(١)

ولا تتم التقوى بدون الصبر :

|   |   |
|---|---|
| وليس للمرء ما تمنــــــــــــــــي      | وليس للمرء ما تخيــــــــــــــــر      |
| هون عليك الأمور واعلــــــــــــــــم   | أن لها موردا ومصلــــــــــــــــح      |
| واصبرا إذا ما بليت يومــــــــــــــــا | فإن لها ما قد سلمت اكثــــــــــــــــر |

(٢)

وانها لتحسن وتكمل باعتزال الناس • واليك فلحفة ابي العتاهية في ذلك يجملها

بهذه الوصية :

|                                   |                                   |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| رغيف خبز يا بــــــــــــــــس    | تأكله نسي زاوــــــــــــــــس    |
| وكوز ماء يا بــــــــــــــــار   | تشربه من صافــــــــــــــــس     |
| وغرفة ضيقة بــــــــــــــــة     | نفسك فيها خالــــــــــــــــس    |
| او مسجد بمعزــــــــــــــــزل    | عن السورى في ناحــــــــــــــــس |
| تدوم فيه دفتــــــــــــــــرا    | مستندا بشارــــــــــــــــس      |
| معتبرا بمن مضــــــــــــــــى    | من القرون الخالــــــــــــــــس  |
| خير من الساعات فــــــــــــــــى | نسي القصور العالــــــــــــــــس |
| تعقبها عقوبــــــــــــــــة      | تخلص بنار حامــــــــــــــــس    |
| فهذه وصيتــــــــــــــــى        | مخبرة بحالــــــــــــــــس       |
| طوبى لمن يسمعــــــــــــــــها   | تلك لعمري كافــــــــــــــــس    |
| فاسمع لنصح مشفــــــــــــــــق   | يدعى ابا العتاهــــــــــــــــس  |

(٣)

(١) الديوان ٤٦

(٢) الديوان ١١٨

(٣) الديوان ٣٠٤ - ٣٠٥



فعنده ان زهده ناقص ما لم ينفض يديه مرة واحدة من غرام الدنيا وساكنيها :

|                         |                             |
|-------------------------|-----------------------------|
| يظن الناس بي خيرا واني  | لشر الناس ان لم تعرف عني    |
| اجن بزهرة الدنيا جنونا  | واقسي العمر فيها بالتمني    |
| وبين يدي محتبس نقيـل    | كأنني قد دعيت له كأنني      |
| ولواني صدقت الزهد فيهـا | قلت لاهلها ظهر المـجنـن (١) |

ففي هذه العزلة - كما رأيت - النجاة من الدنيا ، والسلوان عن شرورها . فاذا ما خلا ابوالعناهية بنفسه ، وقد اعتزل الدنيا وعكف على التأمل ، فليقلب نظره في ما حوله ، وليجمل قليلا في ارجاء نفسه ينقذها من الآثام والمعاصي ، وسلاحه في ذلك زجر النفس وتبكيته والانابة الى الله . وفي الحق ان من هذه القوائد ما يوحى بروحانية خالصة تلامس اعماق النفس :

|                              |                                   |
|------------------------------|-----------------------------------|
| لا بكيـن على نفسي وحق ليـه   | يا عين لا تبخلي عني بعبرتيـه      |
| لا بكيـن على نفسي فتعدني     | عين موزقة تبكي لفرقتيـه           |
| لا بكيـن ويبكيـني ذروفتيـني  | حتى المات اخلائي واخوتيـه         |
| لا بكيـن فقد جد الرحيل الى   | بيت انقطاعي عن الدنيا ورحلتيـه    |
| امسي واصبح في لهو وفي لعب    | ما ذا اضيع في يومي وليلتيـه       |
| يا نفس ويحك ما الدنيا بياقية | فشمري واجعلي في الموت فكرتيـه     |
| اشكو الى الله تضييقي ومسكتني | اشكو الى الله تقصيري وقسوتيـه (٢) |

وليتبصر في احوال الدنيا ، وليستغفر ربه على ما قدم من ذنوب :

|                       |                          |
|-----------------------|--------------------------|
| سبحان علام الغيـوب    | عجبا لتعريف الخطـوب      |
| تعري فروع الانس بيـني | وتجتني ثمر القلـوب       |
| حتى متي يا نفس تفتـر  | ين بالامل الكـذوب        |
| يا نفس توسي قبـل ان   | لا تستطعي ان تتوسـي      |
| واستغفرى لذنوبـك      | الرحمان غفار الذنـوب (٣) |

(١) الديوان ٢٦٣

(٢) الديوان ٣٠٠ - ٣٠٢

(٣) الديوان ٣١

وانهما لذنوب كثيرة ،

فاغفر ذنوبي انهما جمعة

واحتسب خطيئي انك الساتر (١)

وليكر آلاء الليل واطراف النهار التضرع لله ، والندم على ما اقترف من شرور ، نشيدا روحانيا

رائعا :

الهي لا تعذبني فانسي  
وما لي حيلة الا رجائي  
فكم من زلة لي في البسرايا  
اذا فكرت في قدمي عليها

مقرو بالذنى قد كان منسي  
وعفوك ان عفوت وحسن ظنسي  
وانت علي ذو فضل ومــــن  
عضضت اناملني وقربت سنسي (٢)

فيه الاقرار بالاثم والخوف من حساب الله :

ليت شعري فدا اأعطى كتابي بشالي لشقوتي ام يمينسي (٣)

ومن الحق بعد هذه الجولة الطويلة في زهدياته ، ان نلسم شعث هذه المعالم  
الزهدية ، ونتبين طريقه الزهدى بنظرة عابرة . فجماع القول في نظرته الى الحياة  
ان لا خير فيها والموت يشوهها ويكدر صفوها . فاذا كان المرء فيها عابر سبيل فليقطع  
صلته بها ، وليضن عليها بالجهد والمعنى .

اما نظرته الى الموت ، فخلاصتها ذلك الخوف الشديد والرغبة البالغة للذان  
يسيطران عليه ، ويحملانه على تصوير الموت صورا عديدة منكرة ، فاذا به مكب على وصف  
اهواله ، ثم لا يلبث ان ينفلت من ذلك الى التحذير منه والاتعاظ به ، والتخلي لاجله عن  
الدنيا ، والاستعداد للحياة الصحيحة - الحياة الاخرى - بالتقى والعمل الصالح ، واطراح

(١) الديوان ١٢٠

(٢) الديوان ٢٦٣

(٣) الديوان ٢٦٣

الميل للدنيا بتذليل النفس وترويضها على القناعة والصبر والاستعلاء ، والعكوف على الوحدة ، والاستغفار .

ولعلنا محقون في زعمنا - بعد ما رأينا من زهده - ان زهده يخلو من المبادئ ولا يحمل فلسفة . ولقد صدق الأستاذ المقدسي حينما وصفه بقوله " وكان نسي شعره يقلد الزهاد ورجال الدين تقليداً " (١) . قالوا قاع انه لم يعد فيما قاله حدود الوعظ والنصح ، والتبشير والوعيد . ذلك انه خلو من التأمل والفكر . فانت اذ تقرأ لزوميات أبي العلاء المعري مثلاً ، تستطيع ان تخرج من معظمها بمنهج له ايجابي في الحياة ، كما في قوله :

|  |  |
|--|--|
| الدين انصافك الاقوام كلهم<br>والمرء يعييه قود النفس مصحبة<br>وصومه الشهر ما لم يجن معصية | واى دين لا يسي الحق ان وجبا<br>للخير ، وهو يقود العسكر للجب<br>يفنيه عن صومه شعبان او رجبا (٢) |
|--|--|

او :

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| الدين هجر الفتي الذات عن يسر | في صحة واقتدار منه ما عسرا (٣) |
|------------------------------|--------------------------------|

فقد حدد الدين ، ورسم مفهومه العملي له في الحياة ، او قل وصف لك منهج الحياة

كما يراه :

|  |  |
|--|--|
| فلا تأكلن ما اخرج الماء ظالما<br>ولا بيضامات ارادت صريحه<br>ولا تفجعن الطيروهي غوافل<br>ودع ضرب النحل الذي بكرت له<br>فما احزته كي يكون لغيره<br>مسحت يدي من كل هذا فليتني | ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح<br>لاطفالها دون الغواني الصرائح<br>بما وضعت فالظلم شر القبايح<br>كواسب من ازهار نبت فوائح<br>ولا جمعت له للندي والمنايح<br>ابته لشأني قبل شيب المسائح (٤) |
|--|--|

(١) امراء الشعر ١٢٢

(٢) اللزوميات ١٥ / ١

(٣) اللزوميات ٣٦١ / ١

(٤) اللزوميات ٢١٨ / ١

هذه هي العدالة في منطقة « فاذا تزهد ابو العلاء ، وعزف عن الدنيا ، فانما لينفرد بنفسه ، يفكر ويتدبر ، ويقلب النظر في الوجود ومشكلاته ، ويرسم طريق النجاة . فهو في زهد ، ايجابي بناء ، في حين ان ابا العتاهية سلبى يتبط العزائم ، ويخور الهم . ايمن الفلسفة حين يبصر الناس بشرور الدنيا ويحثهم على اعتزالها ؟ »

|                                 |                              |
|---------------------------------|------------------------------|
| وغيرك يا دنيا بنا وانتقالك      | ألم نريا دنيا تصرف حالك      |
| ولو كنت في كفا مري بكما لك      | فلست بدار يستتم بك الرضا     |
| وذو اللب فينا مشفق من حلالك (١) | حرامك يا دنيا يعود الى الفنا |

او حين يذكرهم بالموت فيدعوهم الى الاعراض عن الدنيا ورفضها ؟ »

|   |                                 |
|---|---------------------------------|
| سريع تداعبها وشيك فناؤها                                | الا نحن في دار قليل بقاؤها      |
| تنكرت الدنيا وحان <sup>بذاتها</sup> <del>اعتزالها</del> | نزود من الدنيا التقى والنهى فقد |
| جميعا وتطوى ارضها وتساوها                               | غدا تخرب الدنيا ويذهب اهلها     |
| سموت اليها فالمنيا وراءها (٢)                           | ترقى من الدنيا الى اى غايه      |

فزهد من هذه الناحية تشخيص جزئي ، وليس تشخيصا كاملا ، للمرض . اما العلاج فلا يصفه لك . يقول لك ان الناس غافلون ، جشعون ، مخادعون ، ولكنهم لا يشيرون لاصلاحهم بغير الوعظ المعاد . وعبوب مجتمعه التي يندد بها لا تصور مجتمعه بالذات ، ولكنها تنطبق على اى مجتمع فاسد - غدر ومكروراء - وفقدان وفاء ، وتطاحن على حطام الدنيا . و اى مجتمع بشري لا يتعاقب عليه الغدر والمكر والرياء ، ولا يتنافس فيه الناس على الحطام ؟ انقول ان مجتمعه ليس مجتمعا معينا بالذات ،

(١) الديوان ١٨٨ - ١٨٩

(٢) الديوان ١٠٤

ولكنه الحياة كلها ؟ انقول ان نقائص هذا المجتمع انما هي نقائص الحياة باكملها ؟  
 ومع ذلك فماذا رأى في هذه الحياة من نقائص الا الفناء والزوال والاماني الباطلة ؟  
 وماذا ارتأى من علاج لذلك ؟ عملا صالحا في عزلة عن الدنيا ، وتأهباً  
 للقاء الله بالتقوى ، اى الموت . وهكذا جاء زهد ضحلا ، فاقع اللون ، محدودة  
 معانيه وعادية مكررة . وهو الى الموعظة اقرب منه الى الحكمة والتأمل . ثم انه  
 لم يأت بجديد في هذا الزهد ، فإى زاهد عادى كان حريا ان يجد ما وجد ابا العتاهية  
 من ختل الدنيا ومكرها ، وفناء البشر ، وضياع المنى . اما الجديد ، فالالفاظ تصوغ  
 المعاني الواحدة بقوالب شتى ، والبحور المختلفة تنتظم الفكر الواحدة . فقد تغنيك  
 قصيدة واحدة عن ديوانه كله " . . . ولكن ابا العتاهية اتى في هذا الباب بما لم يسبق  
 اليه ، وزاد في معانيه زيادة بشار وبسي نواس في ادب اللهو والمجون . واضح تعبير  
 في ذلك ان نقول انه فلف الزهد ، وملأ الادب العربي - في عصره - بالموت  
 والتخويف منه وما بعده ، واحتقار اللذة والجد في الهرب منها . . . وشعر لجمهور الناس  
 لا للخاصة . . . وقد كان لشعره صبغة دينية علمية فلسفية . . . " (١) . وكان  
 شعره فيه ذلك الشعر السهل الجميل الذى وصفه المبرّد اوجز وصف واجمله وابلغسه  
 حين قال " كان يخرج القول منه كمخرج النفس قوة وسهولة واقتدارا " (٢) . ولن نستطرد  
 في تقييم هذا الزهد الآن ، وفي الحكم عليه ، فان ذلك محله الفصل القادم .

(١) ضحى الاسلام ١٩٤/١ - ١٩٥

(٢) راجع ضحى الاسلام ١٩٥/١

## - الفصل الرابع -

- : -

### ختم القول في زهد ابي العتاهية

---

قلنا في فصل سابق ان الباحثين ، قد ادى ومحدثين ، مجمعون على ان ابا العتاهية قد ختم حياته بالزهد . ولكنهم في تأويل هذا الزهد طائفتان : طائفة المصدقين ، وطائفة المكذبيين . فالقضية اذن عبارة عن هجوم ودفاع . ولا يصح حكم قبل ان نقف على حجج كل فريق وبراينه . فلنستمع الى بعض روايات الفريقين .

من ذلك رواية يرويها صاحب " الاغانى " بسند عن الحسن بن محمد عن هارون بن مخارق عن مخارق المغنسي ، قال : " جاءني ابو العتاهية فقال : قد عزممت على ان اتزود منك يوما تهب به لي ، فمتى تنشط ؟ فقلت متى شئت ، فقال : اخاف ان تقطع بي ، فقلت : والله لا فعلت ، وان طلبني الخليفة ، فقال يكون ذلك فسي غد ، فقلت : افعل . فلما كان من غد باكرني رسوله فجئته فادخلني بيتا له نظيفا ، فيه فرش نظيف ، ثم دعا بمائدة عليها خبز سميد . . . . وجاؤنا بفاكهة وريحان والوان من الانبذة ، فقال : اختر ما يصلح لك منها ، فاخترت وشربت وصب قدحا ثم قال : غنني في قلبي . . . . فغنيت فشربت قدحا وهو بيكي احربكا . . . . وما زال يقترح علي كل صوت غني به في شعره فاغنيت ، ويشرب ويبيكي حتى صار العتمة ، فقال : احب ان تصبر حتى ترى ما اصنع فجلست ، فامر ابنة وعلامه فكسرا

كل ما بين ايدينا من النبيذ وآلته والملاهي ، ثم امر باخراج كل ما في بيته من النبيذ وآلته ، فاخرج جميعه ، فما زال يكسره ويصب النبيذ وهو يبكي حتى لم يبق من ذلك شي " ، ثم نزع ثيابه واغتسل ثم لبس ثيابا بيضا من صوف ، ثم عانقني وبكى ثم قال : السلام عليك يا حبيبي وفرحي من الناس كلهم سلام الفراق الذي لا لقاء بعده ، وجعل يبكي وقال : هذا آخر عهدى بك في حال تعاشر اهل الدنيا . . . " (١)

واننا نستطيع على الرغم من الصنعة والرومانطيقية الباديتين في هذه الرواية ، وعلى الرغم من السذاجة البالغة ان نستنتج امورا قد تلقى بعض الضوء على هذه القضية الشائكة . من ذلك ان الرجل كان مقبلا على الدنيا ولمذاتها ايما اقبال ، وهذا مما اخذه عليه المشككون في زهده . ومن ذلك ان في تعليل زهده غموضا لم يجل . ولا نستبعد ان تكون الرواية كلها من نسج راية فسيح الخيال . وهذه رواية اخرى فسي " تاريخ بغداد " تتميز بالوضوح ، وتشرك الاولى في سذاجتها " . . . قلت لابي العتاهية ما الذي صرفك عن قول الغزل الى قول الزهد ؟ قال : اذا والله اخبرك اني لما قلت :

اهدت لي الصد واللامعات  
فكان هجرانها مكافاتي  
احدوسة في جميع جاراتي

الله بيني وبين مولاتي  
منحتها مهجتي وخالصتي  
هيمني حبها وهيرني

رايت في المنام في تلك الليلة كأن آتيا اتاني فقال : ما اصبحت احدا تدخله بينك وبين عتبة يحكم لك عليها بالمعصية الا الله تعالى ؟ فانتبهت مذعورا ، وتبت الى الله تعالى من ساعتني من قول الغزل . . (٢)

(١) الاغانسي ١٠٧/٤ - ١٠٨

(٢) تاريخ بغداد ٢٥٨/٦

لننح وهن الرواية وضعفها جانبا ، ولنقبل مثل هذا التعليل السطحي .  
 بيد ان ابا العتاهية لم يتبع قول الغزل . ألم يحبس الرشيد ويضربه لما اى  
 ان يقول غزلا ، فاذعن ؟ (١) ، ثم ان الامتناع عن قول الغزل غير التزهد . ومع  
 ذلك فان "نكلسون" يقول في هذا الصدد - ما نحواه - " ان حبسا بسي  
 العتاهية لما اى ان يقول غزلا ، ما هو الا - كما رجح "غولدزهر" - تأويل  
 شعبي قريب لاصراره على قرض الشعر الديني الذي كان يعد خطرا من حيث اتجاهه  
 الى التفكير الحر " (٢) .

ومهما يكن من امر ، فالذى تعلنه مثل هذه الروايات - وهي متشابهة فسي  
 فحواها وفي سذاجتها وافتقارها الى التحليل والاستقراء ، ان الرجل كان على شيء  
 من التزهد . نتبين هذا ايضا في ثنايا نصوص مختلفة . من ذلك نص ورد فسي  
 " الاغاني " قال محمد بن امية : " كنت جالما بين يدي ابراهيم بن المهدي ،  
 فدخل اليه ابو العتاهية وقد تنسك ولبس الصوف وترك قول الشعر الا في الزهد . . . (٣)  
 وفي " مروج الذهب " انه تنسك ولبس الصوف على اثر فضله في حب عتبة (٤) .

اما الحجة الاساسية التي يحتج بها المتشككون في زهده ، فتعبر عنها هذه  
 الرواية تعبيرا حسنا : " انشد المأمون بيتا يي العتاهية يخاطب سلما الخاسر :  
 تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحرص اغناك الرجال

(١) الاغاني ٢٩١/٤ ، ٦٢ ، ٦٨

(٢)

Nicholson , A Literary History of the Arabs, 298

(٣) الاغاني ١٤٥/١٢ ، راجع ايضا الاغاني ٢٩١/٤ ، ٦٢ ، ٦٨

(٤) مروج الذهب ٢٢٣/٦ - ٢٢٤



فقال المأمون : ان الحرص لمفسد للدين والمرءة . والله ما عرفت من رجل قط  
حرما ولا شرها فرأيت فيه مصطنعا . فبلغ ذلك سلما فقال : ويلسي على المخت  
الجزار الزنديق ، جمع الاموال وكثرها وعبأ البدور في بيته ثم تزهد مرااة ونفاقا  
فاخذ يهتف بي اذا تصديت للطلب" (١) ورد عليه سلم بهذه الابيات :

|                         |                           |
|-------------------------|---------------------------|
| ما اقبح التزهيد من واعظ | يزهد الناس ولا يزهد       |
| لو كان في تزيده صادقا   | اضحى وامسى بيته المسجد    |
| ويرفض الدنيا ولم يقنعها | ولم يكن يسعى ويحترف       |
| يخاف ان تنفد ارزاقه     | والرزق عند الله لا ينفد   |
| والرزق مقسوم على من ترى | يناله الابيض والاسود      |
| كل يوفى رزقه كاملا      | من كف عن جهد ومن يجهد (٢) |

فالذى يلوح ان ابا العتاهية كان رجلا حريصا على الدنيا ، مقبلا عليها . أليس  
هذا ما توحى به رواية المسعودي من ان تمكنه كان نتيجة اخفاقه في الوصول الى  
عتبة ؟ " ... وغدا عليه ( على الرشيد ) ابو العتاهية وهو لا يشرك في  
الظفر بها . فقال له الرشيد : والله ما قصرت في امرك . وسرور ، وحسين ،  
ورشيد ، وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الامر . قال ابو العتاهية : فلما اخبرني بذلك  
مكنت مليا لا ادرى اين انا ثم قلت له : الآن يثبت منها اذ ردتك ، وعلمت انها  
لا تجيب احدا بعدك . فلبس ابو العتاهية الصوف وقال في ذلك من ابيات :

(١) الاغانى ٢٥ / ٤

(٢) واضح ان البيت يكسر هكذا . والصواب ( ورفض ) كما في سائر النسخ .

(٣) وفيات الاعيان ١٧ / ٢ . راجع كذلك معجم الادباء ٢٣١ / ١١ . وقد وردت بعض  
هذه الابيات في " الاغانى " منسوبة الى الجواز بن اخت سلم الخاسر هذا (٧٦ / ٤)

فقال المأمون : ان الحرص لمفسد للدين والمرءة . والله ما عرفت من رجل قط  
حرما ولا شرها قرأيت فيه مصطنعا . فبلغ ذلك سلما فقال : ويلسي على المخت  
الجزار الزنديق ، جمع الاموال وكنزها وعبا البدور في بيته ثم تزهد مرااة ونفاقا  
فاخذ بهتف بسي اذا تهديت للطلب<sup>(١)</sup> ورد عليه سلم بهذه الابيات :

|                          |                                       |
|--------------------------|---------------------------------------|
| ما اقبح التزهيد من واعظ  | يزهد الناس ولا يزهد                   |
| لو كان في تزهيده صادقا   | اضحى وامسى بيته المسجد                |
| ويرفض الدنيا ولم يقنعها  | ولم يكن يعمى ويمتد                    |
| يخاف ان تنفذ ارزاقه      | والرزق عند الله لا ينفد               |
| والرزق مقسوم على من تهرى | يناله الابيض والاسود                  |
| كل يوفى رزقه كاملا       | من كف عن جهده ومن يجهد <sup>(٢)</sup> |

فالذى يلوح ان ابا العتاهية كان رجلا حريصا على الدنيا ، مقبلا عليها . أليس  
هذا ما توحى به رواية المسعودي من ان تمكنه كان نتيجة اخفاقه في الوصول الى  
عتبة ؟ " . . . وغدا عليه ( على الرشيد ) ابو العتاهية وهو لا يشك في  
الظفر بها . فقال له الرشيد : والله ما قصرت في امرك . وصبر ، وحسين ،  
ورشيد ، وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الامر . قال ابو العتاهية : فلما اخبرني بذلك  
مكنت ملما لا ادري اين انا ثم قلت له : الآن يثبت منها اذ ردتك ، وعلمت انها  
لا تجيب احدا بعدك . فلبس ابو العتاهية الصوف وقال في ذلك من ابيات :

(١) الاغانى ٢٥ / ٤

(٢) واضح ان البيت يكسر هكذا . والصواب ( ورفض ) كما في سائر النسخ .

(٣) وفيات الاعيان ١٧ / ٢ . راجع كذلك معجم الادباء ٢٣٩ / ١١ . وقد وردت بعض

هذه الابيات في " الاغانى " منسوبة الى الجواز ابن اخت سلم الخاسر هذا ( ٧٦ / ٤ )

وحططت عن ظهر المطي رحالي  
فغنيت عن حل وعن ترحــــــــــــــــال" (١)

قطعت منك حبال الآمال  
ووجدت برد اليأس بين جوانحي

وهكذا نرى ان الذين كذبوا زهدهم بنوا حكمهم على تاريخه الحافل باللهو والحرص  
على الدنيا . ولكن ليس بين روايات الفريقين رواية يصح ان يقيم عليها الحكم في هذه  
القضية ، سوى اشارات عارضة تطعن في زهدهم لحرصهم او لتمسكه بالدنيا . قال  
فيه ابراهيم بن المهدي :

والموت لا يسهو وقلبك ساهي  
عن عينه قبل الممات تناهــــــــي  
دبها وانت عن القيامة لاهي  
والدار دار تفاخرو تباهــــــــي  
تحتاجن لها فانك لاهــــــــي  
تحتاج منك لها الى اشياء (٢)

ان النية امهلتك عناهــــــــي  
يا ويح ذي السن الضعيف اما له  
وكلت بالدنيا تكيها وتـــــــــ  
والعيش حلوه والمنون مريـــــــــرة  
فاختر لنفك دونها سبــــــــلا ولا  
اني رأيتك مظهرا لزهادــــــــة

وقصارى ما نجمله من مثل هذه الاشارات والروايات التي تطعن في زهدهم ، ان قوام هذا  
الطمع ما عرف عن الرجل من حب للحياة وميل الى الاستمتاع بها . ولكن كلا الجانبين ،  
جانب "الدفاع" وجانب "الهجوم" لم يستغرقا الجهد في اقامة البينة . فهذه  
الروايات جميعا باستثناء التي ترد زهدهم الى نكبته في غرامه ، لا تذكر سببا واضحا لتحوله  
الى حياة الزهد . وخلاصتها انها - بما فيها التي تطعن في هذا الزهد - تعترف  
ضمنيا بانه ختم حياته على نحو من التزهد ، وان يكن هذا التزهد في نظرها رثاء ومخادعة .

(١) مروج الذهب ٢٣٥/٦ - ٢٣٦

(٢) الاغانى ١٠١/٤ - ١٠٢

فلننح جانباً هذه الروايات التي لن تكون لنا ذات غناء كبير ، ولنتلمس الأمور في أصولها  
 - في أبي العتاهية نفسه ، في عصره وشخصيته ومزاجه . ولن نعرض إلى كل  
 هذه المواضيع التي توسعنا في بسط بعضها في فصول قائمة سابقة ، إلا بالقدر  
 الذي يستلزمه منا سياق البحث .

أما عصره ، فنحن نعلم أنه لم يفر بالتزهد فحسب ، ولكنه كان من أحفل  
 العصور الإسلامية بالزهاد . ففي الوقت الذي كان فيه أبو نواس وشار وسواهما  
 من زمرة البجان يعيشون في المجتمع العباسي فساداً ونسفاً ، كان أمثال إبراهيم بن آدم ،  
 وشقيق البلخي ، ورابعة العدوية ، والفضيل بن عياض ، وغيرهم من الزهاد يملؤونه  
 صلاحاً وورعاً . وهكذا انبثق ضوء الردة الروحية من خلال دياجير المجون الحالكة .  
 فليس بالبدع أن يكون العصر من العوامل التي أسهمت في تكوين نزعة شاعرنا  
 الزهدية . وقد لا يكون زهده ثورة خالصة على الفساد الخلقي ، أو السياسي ،  
 ولكنه من العوامل التي أهانت به لأن يقف ذلك الموقف اليأس من الحياة . وعصره  
 - في هذه الناحية - قد بلور هذا الموقف وجلى هذا اليأس ، وشجعه على التصدي  
 للمجتمع في شعر زاهد متشائم . فما لا شك فيه أن في مزاج الرجل استعداداً  
 طبيعياً للتشائم والقنوط ، وأن فيه خوفاً واضطراباً . وآية ذلك ، هذا الشعر  
 الكثير الذي فرضه في تصوير أهوال الموت ورهيته . فالواقع أن الموت لم يعد له - في  
 ما عبر عنه - مجرد حقيقة قاسية يتعظ بها ويعظ ، بل غداً وسواساً ينخر في عظامه  
 وشبحاً يطارد أينما حلّ وإنى اتجه ، فلا يفتأ يرهب الناس به ويخيفهم ليحمرانه في حيرته  
 وجزعه غير وحيده ، وليتملى بخوفهم عن خوفه ، وليستأنس بمصائبهم . وأن أية قصيدة

لله في الموت لتتطرق بهذه الحال النفسية المضطربة :

|                               |                                   |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| أأغفل والمنايا مقبلات         | عليّ ، واشترى الدنيا بدنيـــــــي |
| ولو اني عقلت لطال حزنيــــي   | ورمت اخاء كل اخ حزنيـــــــن      |
| واظلمات النهار لحزن قلبيــــي | ومت الليل مفترشا جبينـــــــي (١) |

اصغ اليه يقول :

|                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| ارى الموت لي حيث اعتمدت كميناً | واصبحت مهموماً هناك حزينا        |
| سيلحقني حادى المنايا بمن مضى   | اخذت شمالاً او اخذت يميناً       |
| يقين الفتى بالموت شك ، وشك     | يقين ، ولكن لا يراه يقيناً       |
| علينا عيون للمنون خفيـــــــة  | تدب ديباً بالمنية فيـــــــا (٢) |

اى ان ابا العتاهية مصاب - بلغة علم النفس - بـ "هستيريا الموت" والذعر منه .

فلا غرو اذا استمد من هذه الحال النفسية الشاذة مدداً يحارب به هذه الحياة التي لم تحمل اليه الا الرعب والخوف . يضاف الى ذلك ما كان يرافقه من احساس دائم بمركب النقص او الشعور بالضعة . ولقد رأينا انه عمد الى الدعوة الى التقى والزهد يعتاض بهما عن ضعة مشكك حسين قال :

|                              |                                  |
|------------------------------|----------------------------------|
| دعني من ذكرا ب وجدـــــــد   | ونسب يعليـك سور المجـــــــد     |
| ما الفخر الا في التقى والزهد | وطاعة تعطي جنان الخلـــــــد (٣) |

او حين زعم انه جلس يحجم تواضعا للاجر . ونحن نعلم انه نشأ في اسرة كان منها

الحجّام والجّرار ، فلن نستغرب اذا وجدناه يسخر اذ به الطيّع ليسرف في تمجيد التقى

والقناعة ، وليقطع دابر المتقولين العائيين عليه الحجامه :

|                                |                                   |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| الا انما التقوى هي العز والكبر | وحبّك للدنيا هو الذل والعدم       |
| وليس على عبد تقى نقيصـــــــة  | اذا صحح التقوى وان حاك او حجم (٤) |

(١) الديوان ٢٦٦

(٢) الديوان ٢٦٨

(٣) الديوان ٦٩

(٤) الديوان ٢٤٣

فمجل حاله النفسية ومزاجه وعصره ، جميع ذلك يغريه بالزهد . ولكن لماذا شك  
معاصروه وغير معاصريه في صدق هذا الزهد ؟ قمارى ما حملته اليك مطالعنا  
في هذا الشأن ان شكهم قوامه :

— ماضيه الماجن

— الطعن في عقيدته

— اقباله على الحياة ونفوره من الموت

— بخله

اما ماضيه ، فالروايات مجمعة على انه كان ماجنا ، وان ابا العتاهية كان مختلا ،  
فاندا . (١) فاذا ما عدل عن الخمر واللغو الى النسك والصلاح ، فذلك في ظن زملائه  
في القنك والعبث رياء . وبعبارة اخرى ، فانه امر بعيد الاحتمال ، عسير التصديق .  
فاذا عجب له نفر منهم ، رابوا تصديقه لغرابته ، فليصوه بالزور والبهتان .

اما الطعن في عقيدته ، فقد كان بداع من الزعم بانه كان مذهبيا<sup>(٢)</sup> في دينه ، وانه  
مولى اتهم بالزندقة<sup>(٣)</sup> . ولكن هذا الطعن لم يصح لان قضية عقيدته كلها لم يفصل  
فيها بعد ، ولا يزال الباحثون في خلاف من امرها . اضف الى هذا ان تهمة الزندقة  
هذه لم تثبت . وفي "الاغاني" ان حمدويه صاحب الزنادقة ، بات طيلة احدى الليالي  
يرقبه فلما أعجزه ان يجد عليه مأخذا يثمن منه وانصرف خاسئا<sup>(٤)</sup> .

(١) الاغاني ١ / ٤

(٢) راجع الاغاني ٦ / ٤

(٣) راجع الاغاني ٣٤ / ٤ ، ٣٥

(٤) الاغاني ٣٥ / ٤

وأما إقباله على الحياة ونفوره من الموت ، ففي حاجة الى بعض التفصيل : لا ريب في ان ابا العتاهية قد احب الدنيا واقبل عليها مدنفا كلفنا . ولا ريب في ان الدنيا لم تواته . وهذا الاحساس بالحرمان من الدنيا ولد في نفسه النعمة عليها . فاذا كان في زهاديته ابيات توحى بالتمسك بالدنيا والنفرة من الموت والبكاء على الشباب ، فهذا في اعتقادنا من قبيل التدبير المشددة يأسه من الحياة ، وطول تمرسه باحوالها . فاذا بكى شبابه فليس معنى ذلك انه تمسك بالدنيا بقدر ما هو تصوير للمرارة التي خلفتها الحياة في اعماقه . خذ مثلاً قوله :

ايا عجب الدنيا لعين تعجبت  
 تغلبني الايام بدءا وعدودة  
 وعانت ايامي على ما يروغني  
 ساعني الى الناس الشباب الذي مضى  
 ويا زهرة الايام كيف تغلبت  
 تصعدت الايام لي وتصوبت  
 فلم ار ايامي من الروح اعتبت  
 تخربت الدنيا الشباب وشيبت (١)

تَرَ أَنَّهُ لَا يَرْتَضِي شَبَابَهُ وَلَا يَأْسُ عَلَى مَا قَاتَ مِنْ عَمَلِهِ ، وَلَكِنَّهُ يَجْعَلُ مِنْ هَذَا النَّاسِ  
عَلَى الدُّنْيَا وَالشَّبَابِ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ الْفَنَاءِ الَّذِي يَرْهَبُ بِهِ النَّاسُ وَيَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى الزَّهْدِ .  
اسْمِعْهُ يَقُولُ :

انما تنفي الحياة العنايا ————— مثلما ينفي المشيب الشباب (٢)  
توقن بانه لا يأسى على شبابه بقدر ما يأسى على ما ضاع من عمره مدى ، وهو في غفلة عن  
حقيقة الحياة . • وصحيح ان في الايات الآتية ما يوحي بانه عشق دنياه يوما :

يا عاشق الدار التـــــــــي  
احببت دارا لـم تـزل  
اترى شبابك عائد  
ليست له هوائيه  
عن نفسها لك ناهيه  
من بعد شيبك ثانيه (٣)

(١) الديوان ٥١

(٢) الديوان ٢٩

(٢) الديوان ٣٠٢

ولكنه لا يسترسل في هذا العشق ، وإنما يتعظ بتجارسه السابقة الناسية ، ويجعل  
 من سحر الدنيا واجتذابها للناس واغترارهم بها سلاحا يتلح به في الدعوة السي  
 اعتزالها . ثم ان الزهد ليس حتما ان يقتل كل صبوة ، ويكس كل نزوة او يبيت كل احسان  
 بالوجود . والزاهد الحق ليس الرجل الذي يكذب نفسه ويدعي ان الدنيا من المباح  
 واللذائذ خلاء ، ولكن الزاهد الحق من اقرب سحر الدنيا وسلطانها فاعرض عنها على  
 عمد ، وقسا على نفسه على كره منها ورغبة الى الاستمتاع بها . وای زاهد ذلك الزاهد  
 الذي لا يعد الطعام الشهوي مثلا ، متعة وبهجة فيفتري على الطبيعة الكذب ؟  
 وای فضل له اذا امتنع عن شيء ينفر منه اصلا . فابو العتاهية حين يقول في معرض زهدياته :  
 لعمر ابي ان الحياة حلوة وللموت كأس يا لها ما امرها (١)

ار :

اجن بزهرة الدنيا جنونا وانسي العمر فيها بالتمني (٢)

فليس ذلك اعتصاما بالحياة ، ولكنه تذكير بغرورها وبانخداعه بها ، واذا قال :

الشيب احدي الميتين تقدمت احداهما وتأخرت احداهما (٣)

فانه لا يبكي لفرقة الشباب ولا يحزن لرؤية الشيب ، ولكنه يتعظ بزوال الاولى واقبال الثاني :

الليل شيب والنهار كلاهما رأسي بكرة ما تدور راحما  
 يتناهبان لحونا ودما لنا ونفوسنا جهرا ونحن نراهما (٤)

فذلك وصف لقسوة الحياة وعتوها لا بكاء عليها . واذا رأى الموت عاما في الناس فهتف :

الا يا موت لم ار منك بددا اتيت وما تحيف وما تحابي  
 كأنك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على شبابي (٥)



فليس ذلك جزءا من الشيب ولكنه تعبير صادق عن قسوة الموت وجبروته . وهذا الخوف من الموت قد ينتقص من زهده ، ولكنه لا يطعن فيه . فقد يخشى احدنا الممرض فيعيش في قلق وحيرة ، وهو معافى دون ان تتأثر بنيتة بهذا الخوف . واذا وجد ان الناس قد انقضوا من حوله ، وقد ولت عنه الحياة بجمالها وقوتها ومغرياتها فانشد :

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| لله عقلي ما يزال يخونني    | ولقد اراه وانه لمصيب      |
| لله ايام نعمت بليتها       | ايام لي غصن الشباب رطيب   |
| ان الشباب لنا فق عند السرى | ما للمشيب مخادن وحبيب (١) |

فادرك ان في ذلك استفحالا لنزعة الزهدية . فانه يستعيد بهذه الابيات العناصر المختلفة التي اغتره بالزهد : لقد قلب النظر في دنياه ، وقد قضى فيها آثر سني حياته على نفسه وأحفلها بالخصب والنضرة ، سني الشباب ، فوجد ان الذين كانوا يسمعون اليه انما كانوا يسمعون الى شبابه وما يستتبع هذا الشباب من قوة ويسر ، ثم وجدهم وقد ولي عنه هذا الشباب ، قد انقضوا من حوله وتركوه قائل وحيدا . فلم لا يجعل من اساءه على تلك السنين التي خدع فيها اسى على الشباب الذي كشف له زواله عن حقيقة الحياة المرة ، وقد كانت عنه مستورة بخيوط واهنة زاهية ؟ ومع هذا فنحن لا نزع ان ابدا العتاهية كان في حياته الزاهدة منقطعا عن الدنيا كل الانقطاع . وسرى فيما بعد ان مسلكه في حياته كان غير مسلكه في شعره .

واما بخله ، فهو من مظاهر حرصه على الدنيا . ولقد توارث الانباء في ذلك كثيرا . والراجح ، بناء على هذه الروايات ، ان الرجل كان بخيلا . ولكن هل يضاد البخل الزهد وينفيه ؟ لنتساءل اولاً لم كان أبو العتاهية بخيلا ؟ نحن نعلم انه نشأ نشأة خاملة معدمة ، وانه لم يزل يتحسس مواضع النقص فيه من ضعة نسب ، ووضاعة اصل ، وعوز .

فإذا ما اقبلت عليه الدنيا ، واشتد حرصه عليها ، فخلاله مدقوع بعاملتي الخوف والنقص ،  
 الخوف من الايام البائسة الشديدة التي كابسه فيها الحرمان ، والنقص لكل تلك المعاني التي  
 افتقدها في مطلع حياته . فلا غرو اذا كثر ماله وتغاني في الحرص عليه . وما لنا نؤمّل  
 في الاستقصاء ، فدونا المثل الذي شاهده كل يوم - الطفل المشوق الى الحلوى ، وقد  
 حرمته امه من القدر الذي يشبع نهمه منها ، لا تكاد تمنح له السانحة يجد في يده  
 منها شيئاً ، حتى يستحيل شرباً عنيماً ، لو تجمع اهل الارض جميعاً على ان يستنقذوا منه  
 شيئاً منها ما وجدوا الى ذلك سبيلاً .

وقد يكون البخل مفسدة للزهد . ولكن من قال ان ابا العتاهية كان زاهداً  
 كهؤلاء الزهاد المنقطعين في صوامعهم الى الله وحده ؟ لا مريّة في ان المصادر عن  
 النهج الذي انتهجه في حياته ، في صور الزهد ، تكاد تكون معدومة . ولا محيص  
 لنا من ان نعتد شعره الزهدي الذي استخرجنا منه في الفصل السابق مجمل آرائه الزهدية .  
 فماذا يعكس هذا الشعر ؟ انه لا يعكس اي نسق لحياة زهدية . ولقد رأينا ، ونحن نجول  
 فيه ، خلوا من اية فلسفة . واين الفلسفة في قوله يصف الايام وتقلبها :

دارت نجوم السماء في الفلك  
 قد انقضى ملكه الى ملك (١)

ما اختطف الليل والنهار ولا  
 الا لنقل السلطان عن ملك

او في زوال الدنيا :

ودع الركون الى الحياة فتنتفع  
 لم تذهب الايام حتى تنقطع  
 حتى تشتت كل امر مجتمعة  
 لو قد اتاك رسوله لم تمتنع (٢)

اياك اعني يا ابن آدم فاستمع  
 لو كان عمرك الف حول كامل  
 ان المنية لا تزال ملحمة  
 فاجعل لنفسك عدة للقاء من

(١) الديوان ١٦٠

(٢) الديوان ١٤٨

او في رعد الناس بالموت ،

هو الموت فاصنع كلما انت صانع  
الا ايها المرء المخادع نفسه  
ويا جامع الدنيا لغير بلاغ  
وكم قد راينا الجامعين قد اصبحت  
لو ان ذوى الابهار يرون كلمنا  
نما يعرف المعطشان من طال ريسه

وانت لكأس الموت لا بد جارح  
رويدا أتدرى من أراك تخادع  
ستركها فانظر لمن انت جامع  
لهم بين اطباق التراب مضاجع  
يرون لما جئت لعين مدا—  
فما يعرف الشبعان من هو جائع (١)

فهو زهد لا يعكس حياة زاهد ، ولكنه يعكس بالتأكيد نزعة زهدية واضحة . فهل تطورت هذه النزعة في ذهن ابي العتاهية حتى غدت منهجا ؟ اغلب الظن انها لم تتحول هذا التحول الكبير . اذن فكيف كان زهده ؟ لم يكن زهدا كزهد النساك المنقطعين الى الوحدة والعبادة ، ولكنه كان زهدا فنيا ، اى طريقة مستخدمة للتعبير عن المعاني الزهدية التي تجول في نفسه وفي خاطره . فابو العتاهية اذن زاهد فني اكرما هو زاهد صوفي . ولكن نزعة الزهد الاصيله كامنة في قلبه . واذا كان التعلق بالدنيا يعيب زهد الزهاد المعروفين ، فانه لا يفسد منحى كمنحى ابي العتاهية الزهدي .

وصحيح ان شعره لا يعكس كرها للدنيا ، بيد ان تمسكه بها كتمسك اى انسان . وصحيح انه كان ماجنا فاحشا في اول امره ، ولكن انصرافه الى الجد في آخرايامه صحيح كذلك . ومثل هذا التحول لا يتم بدون ميل الى رصانة الحياة ، واستخفاف ببها رجها . ولا بد من طبيعة تدفع الى ذلك فقد تكون حجت في اول عمره بدافع الصبا ، ثم ما لبثت حين

شعب ونضج ان بانث وتبلورت . ولا ننسى ان ابا العتاهية شاعر ، فاذا تحول نظره عن زخرف الدنيا الى حقائق الحياة والموت ، واذا أعرض عن اللهو الى التعفف والتأمل ، وعن العبث الى الرزانة والهدوء ، فليس ذلك بدعا ولا عجبا . حتى ان الروايات التي طعننت في زهده ، وكذبت له لم تعرض الى شعره في الزهد ، وكأنها تقول ان زهده كان فنا اكرما كان مسلكا (١) . فلقد تحول عن نهج زملائه الشعراء المجان في اقبالهم على الحياة ، ولكنه لم يتحول عن الحياة كلها . والذين عدوا زهده زائفا محقون من هذه الوجهة ، ولكنهم لم ينصفوه حين انكروا عليه نفوره من التهالك على الدنيا ، او احساسه بتفاهة الحياة وخوفه من الموت ، ولعله كان اولى واقم لو قالوا ان تحوله الى التنفير من الحياة والدعوة الى اعتزالها ، ما هو عن اقتدار منه ويسر ، ولكن عن عجز وهلع . فاذا وجد في ~~الشيخ~~ هذا الخوف امنا اكتفى بهذا القدر من الزهد الذي نزم انه زهد فكري فني . ومن تحصيل الحاصل ان نقول ان في طبيعته استعدادا الى هذا التفكير المتشائم اليائس الزاهد ، الذي تضافرت عوامل شتى على امداده وتغذيته حتى اتضح قويا في زهدياته . ثم ان قوام نفسية ابي العتاهية الخوف ، خَافَ الْمَوْتَ ثَرْنًا الى الآخرة ، وَخَافَ الزَّوَالَ فِكْرَهُ الدُّنْيَا ، وَخَافَ الْحَيَاةَ كُلَّهَا قَلْبًا الى الزهد والدعوة الى اعتزال الدنيا . ففي ذلك له عوض من وجوه عدة : فيه عوض عن ماضيه الشائن ضعفا ومجونا . وفي هذا الزهد اطراح لكل المفاخر والامجاد التي حرمها :

ونسب يعلي بك سور المجد  
وطاعة تعطي جنان الخلد (٢)

دعني من ذكر ابي وجد  
ما الفخر الا في التقى والزهد

(١) في " الموشح " اشارة الى تفاهة زهدياته " . . . العباس بن الاحنف في الغزل  
مثل ابي العتاهية في الزهد يكثران الحز ولا يصيبان المفصل " ( ٢٩١ ) .

رفيه عوض بالتنفيس عن نزعة فنية يحتبسها . فقد حدث ابن ابي الابطاح قال :  
 " اتيت ابا العتاهية فقلت له : اني اقول الشعر في الزهد ، ولي فيه اشعار كثيرة ،  
 وهو مذهب استحسنته لاني ارجو ان لا آثم فيه ، وسمعت شعرك في هذا المعنى  
 فاحببت ان استزيد منه ، واحب ان تشدني من جيد ما قلت ، فقال : اعلم ان ما قلت  
 ردي ، قلت : وكيف ؟ قال : لان الشعر ينبغي ان يكون مثل اشعار الفحول  
 المتقدمين ، او مثل شعر بنار وابن هرمة ، فان لم يكن كذلك فالصوات لقائله  
 ان تكون الفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيما الاشعار التي  
 في الزهد . فان الزهد ليس من مذاهب العلوك ، ولا من مذاهب رواة الشعر ، ولا طلاب  
 الغريب . وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد واصحاب الحديث والفقهاء واصحاب الرياء  
 والعامّة ، وأعجب الاشياء اليهم ما فهموه . فقلت : صدقت . . . " (١) .

ومهما يكن من امر فقد كان في نفسه هوى للزهد ، قولا ان لم يكن فعلا .  
 فكان في زهده شاعرا ولم يكن ناسكا . لم يكن ينتمي الى طائفة الزهاد المتصوفين  
 العاكفين على العبادة . فاذا كان في شعره مراثيا " فهو رواية واشعاره من مظاهر  
 التصوف ، لان التخليق باخلاقي الزهاد لا يكون الا ان صح لهم اسم وصيت ، ولا جدال  
 في ان الزهاد كان لهم سلطان في ذلك العهد ، وكان يسرا ابا العتاهية ان يقف من الخلق  
 ذلك الموقف المشرف الذي كان يقفه عمرو ابن عبيد ، وعبد الله بن المبارك ،

وقد صح له شيء من تلك الاحلام ... (١) . فزهد ابي العتاهية اذن كان من لون خاص فريد ، لا تتلمس اصوله في اخفاقه في حبه مثلاً ، فقد رأينا هذا الحب اقرب الى ان يكون صنعة والتمالا . وانما تستقصى مصادره في نفسية ابي العتاهية ومزاجه . فالواقع ان لدى الرجل نزعة الى التشائم بنطرتيه ، والزهد مظهر من مظاهر التشائم . فاذا حجب الشباب هذا الاستعداد فترة من الزمن ، فان الكهولة كفيلة بان تكشف عنه وتعلنه ، وتستقصى كذلك في عصره الذي كان فيه تيار الزهد موازياً او معاكساً لتيار الفحش والفسق . فاذا اعرض ابي العتاهية عن حياة الله والاولى ، او تخلف عن مجلس زملائه السابقين في العبث ، فانما

(١) التصوف الاسلامي ١١/١ - عمرو بن عبيد : من فضلاء عصره وزهاده وعلمائه المشهورين . قيل وصفه الحسن البصري بقوله : " كان الملائكة أدبته وكان الانبياء رثته " . وكان ذا دالة بالغة على ابي جعفر المنصور ، وحظوة كبيرة عنده حتى انه رثاه لما مات . ولد سنة ثمانين للهجرة ، وتوفي سنة مائة واربع واربعين للهجرة . ( ومنهم من قال قبل ذلك او بعده بقليل ) - راجع وفيات الاعيان ١٣٠/٣ - ١٣٣ .

عبد الله بن المبارك : جمع بين العلم والزهد ، وتفقه على سفیان الثوري ومالك بن انس . وكان ورعاً . قالت ام هارون الرشيد عنه ، لما رأت الناس حوله وقد قدمت ولدها الرقة : " هذا والله الملك ، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس الا بشرط واعوان " . ولد سنة مائة وثمانين للهجرة ، وتوفي سنة مائة واحد وثمانين او اثنتين وثمانين للهجرة - راجع وفيات الاعيان ٢٢٧/٢ - ٢٣١ .

ليخلو بنفسه يتدبر حقائق الحياة ، ويرجع البصر في الكون حوله فيرى حقارة الدنيا وتفاهتها ، ويشاهد احوال الموت وبطشه ، فيفيض شعره بأسا يحمل على الزهد في الحياة ، لا ليختط لنفسه خطة زاهدة في عيشه . ذلك لا يعني مثلاً انه ترك القصر وسكن الكوخ ، وقل عن جسده الدياج وارثدى الصوف ما وانه حرم على نفسه اطيب الطعام واعتاض عنها بما يمسك عليه رقبته . اغلب الظن انه لم يفعل شيئاً من هذا القبيل . ولكنه كان في قرارة نفسه مدركاً لحقيقة الحياة والموت ، ينبه الناس اليها ، ويعبر عنها بشتى الشكول والصور . وهذا لا يعيب ابا العتاهية الذي لم يدع انه كان زاهداً كهؤلاء الزهاد المعرونيين المتخليين من الدنيا . وغاية ما قاله في زهدياته انه ادرك سخر الحياة وباطلها فاتعظ بها ، وعمل على ان يتحلل من اسرها فقال :

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| قد رأيت الدنيا الى ما تصير | كل شيء منها صغير حقير      |
| انا في حيلة التخلص منها    | وعلى ذلك الا لك قد يبر (١) |

لم يقل انه نفخ منها يديه ، ولكنه كان مخلصاً مع نفسه ومع الناس ، فادر بصراحة انه يجهد نفسه في سبيل الخلاص منها .

فأبو العتاهية اذن لم يكن زاهداً بالمعنى المألوف ، المعروف ، ولكنه كان زاهداً من حيث الفن الشعري . ولكن مثل هذا لا يتأتى من غير حافز نفسي والحافز كان في قرارة نفسه . كان احساساً قوياً ملحاً باليأس من الحياة ، وما اليأس الا بعض الزهد ، بل قل انه الجانب النظري منه . فهل كان ابو العتاهية زاهداً نظرياً ؟ الراجح انه كان كذلك اكثر مما كان زاهداً عملياً . ولكننا وان نقينا عنه صفة الزاهد العملي ، فاننا لا نستطيع ان نجرده من نزعة الزهد اصلاً ، وان تكن هذه النزعة لم تتجلى وتتطور

تطوراً علياً . وهذا الشعر الزهدى الكبير الذى قاله ، هل يعقل ان يكون كله صنعة وتكلفاً لا ينبع عن احساس ، ولو ضئيل ، بما يحمله من معان ؟ لا يعقل هذا ولا يصح . ففي هذا الشعر نزعة للزهد بارزة . ولننظر الساخطين على ابيى العتاهية والمنكرين عليه صدقه في زهد ، فنقل ان فيه نزعة ظاهرة للياس من الحياة وللتناسل . وان الذين قالوا ان ابا العتاهية يمثل التيار المضاد لتيار الفساد في عصره محقون في قولهم على هذا الاساس . فلقد كان النغم الشائع في عصره صخباً ومجوناً . اما رنة السكينة وهمسة الحشمة ، فلم يتح لهما من ينشد هما ، ولو خافتا ، من ادباء العصر نشيداً واضح النبرات ، ميز الالحن ، الا ابو العتاهية . وهنا تكمن مكانة ابي العتاهية الحق في الزهد " يقول "نكلمون " - ما مؤداه - " ان ابا العتاهية كان اول ، ولعل آخر برهان ، في تاريخ الادب العربى على تطويع الشعر للغة العادية البسيطة مع المحافظة على مزايا الشاعرية " (١) .

ولعل في هذا بعض المبالغة . انما المهم ان ابا العتاهية قد نهج لمعاصريه وللآخيه نهجاً جديداً ، هو النظم في الزهد والتقى (٢) فقد اوتى قدرة غريبة على تطويع اللفظ والمعنى على السواء ، فبسط معانى الزهد ، وقلب النظر فيها ، وعرضها بقوالب وصور شتى . اى انه " شعر الزهد " . فلا غرو اذا تأثر به اديب كابن عبد ربه . يقول الدكتور جبرائيل جبور : " ولعل ابن عبد ربه قد تأثر بابي العتاهية في زهد ، وقد شبهه بالرجوع عن حياة اللهو الى الزهد ، وان شئت



نقل شابهه بالرجوع عن شعر في اللهم والى شعر في الزهد ، وما اكثر ما يستشهد  
 بأشعار أبي العتاهية في العقد في مواضيع الزهد . وما اكثر ما يرد فيها أبيات  
 له في الموضوع نفسه ، فيذم الدنيا والزمان الذي عاش فيه ، كما كان يذم أبو العتاهية  
 دنياه وزمانه ، ويذكر الموت ويدعو الى الالتفات الى الحياة الآخرة كما كان يفعل أبو العتاهية " (١)

لقد كان قبل أبي العتاهية شعر زاهد<sup>١</sup> ولكن أبا العتاهية جدد في  
 ذلك وطور زاد في معانيه زيادة بشار وأبي نواس في أدب اللهم والمجون " واضح تعبير  
 في ذلك أن نقول أنه فلسف الزهد وملأ الأدب العربي - في عصره - بالموت  
 والتخويف منه وما بعده واحتقار اللذة ، والجهد في الهرب منها . . . وشعر لجمهور  
 الناس لا للخاصة " (٢)

بهذا استحق أبو العتاهية فضل ريادة شعر الزهد العربي الذي أكسبه ،  
 يجدد فيه ويطور ، ويزيد ويبتكر ، كما عكف أبو نواس على شعر اللهم ويعمل فيه فنه وأدبه .  
 واستحقه إذ كان في ريادة هذا العالم ، المجهول تقريبا في الأدب العربي ، رائد نزعة  
 خلقية وهنت في عصره . كانت النزعة الى اللهم والفسق شائعة مألوفة في أدب العصر  
 وبين أدبائه ، ولكن النزعة الى التأمل في الحياة ، والاعتاظ بالموت ، لم تكن ذات شأن

(١) ابن عبد ربه وعقده ١٣٥

(٢) ضحى الاسلام ١٩٤/١ - ١٩٥ .

ملحق بالصفحة ١٤٤

( يضاف الى الفقرة الثانية بعد كلمة " زاهد " في السطر الاول فيها )

x x x

... لا يتعدى نطاق الاشارات والتأملات ، ولا يعدوان يكون لونا من اللون التافى من الحياة  
او الحضر على التقى بالتهويل بالموت والتخويف بالاخرة ، او هو خاطرات عابرة تعرض لقائلها تحت  
ازمة نفسية او افتعال وقتي سريع الزوال ، واما انه نهج وطريقة التزامها الشاعر وبنى صرح  
ادبه عليهما ، فلا نعرف سابقا لابي العتاهية في هذا ، توفر على معاني الزهد فقلّب النظر  
فيها وبدأ القول واعاده ، وجعل ذلك لنفسه منجها . فمثل قول عروة بن اذينة :

|                           |                        |
|---------------------------|------------------------|
| نراعا اذا الجنائز قابلتنا | ويحزننا بكاء الباقيات  |
| كروعة كلفة لغار ذئب       | فلما غابعات راتعات (١) |

تجد له شبيها في كثير من شعراي العتاهية من دون شك :

|                           |   |                              |
|---------------------------|---|------------------------------|
| عجبت من آمل وراعظ         | م | الموت فلم يتعظ ولم يكـد      |
| يجرى البلى فيها علينا     |   | كان جرى قبلنا على لبـد       |
| يا موت يا موت كم اخي نفـة |   | كلفتني غمض عينه بيـد         |
| يا موت يا موت صبحتـ       | م | الشمس ومست كواكبـ            |
| يا موت يا موت لا اراك مـن | م | الخلق جميعا تبقي على احد (٢) |

ولكن معاني عروة لم تكن نتاج شعره زاهد كثير ، ولكنها نتاج بيتين فحسب لعلنا لا نعثر على  
غيرهما له .

(١) البيان والتبيين ٢٠١ / ٣

(٢) الديوان ٧١-٧٠

وكذلك قول مسعر بن كدام :

نهارك ما مغرور سهو وغفلة  
وتتعب فيما سوف تكره غبــــــــــــــــة

وليلك نهم والردى لك لانم  
كذلك في الدنيا تعيش البهائم (١)

تجد مثل معناه في قول ابي العتاهية وقد بسطه في غير شكل من اشكال التعابير المختلفة :

يا ساكن الدنيا لقد اوطنتها  
وشغلت قلبك عن معادك بالمنى

وامنتها عجباً فكيف امتنتها  
وخدعت نفسك بالهوى وفتنتها (٢)

او قوله :

لا يأمن الدهر الا الخائن البطر  
ما يجهل الرشيد من خاف الآكة ومن

من ليس يعقل ما يأتي وما يـذر  
امسى وهمته في دينه الفكــــــــر (٣)

او قوله :

المرء يخدعه منــــــــــــــــاه  
يا ذا الهوى كم لا تكن

والدهر يسرع في بــــــــــــــــاه  
من تعبده هــــــــــــــــواه

...

النام في غفلاتهــــــــــــــــم  
والموت دائرة رحــــــــــــــــاه (٤)

فابو العتاهية لم يتدع هذه المعاني الزهدية ولم يحدث شعراً الزهد في الادب

العربي .....

---

(٣) الديوان ١٠٤

(٤) الديوان ٢٨٥

(١) حلية الاولياء ٢٢٠ / ٢

(٢) الديوان ٥٨

في ادب هؤلاء الادباء الى ان جاء ابو العتاهية فتولاها بشعره السهل الممتنع ،  
وعبر عنها اوضح تعبير ، وايسره ، وبسطه ، فحققت له الريادة من وجهتين  
معاً : الوجهة الخلقية ، والوجهة الفنية . وان شاعرا كأبي العتاهية  
له كل مقومات الشاعرية الحق ، وله مثل هذا الفضل في الخلق والفن ، لجدير  
باكثر من هذه الصفحات القصيرة التي أوصل ان تكون قد رفته بعض حقه من التعريف .

## - الباب الثالث -

- : -

### مختارات من زهديات ابسي العتاهية

---

لعل من تمام التعريف بابسي العتاهية ، ان نختتم هذا البحث المتواضع - الذي لم يستوعب جميع ما كان ينبغي ان يستوعبه من شأن هذا الشاعر - بشيء من شعره الزهدي ، وقد نمقناه بحيث يلتئم مع فصول الرسالة :

x x x

### زوال الدنيا

---

#### ( ١ ) - المسم في المسم

---

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| كفك بدار الموت دار فناء    | لعمرك ما الدنيا بدار بقاء  |
| يرى عاشق الدنيا بجهد بلا   | فلا تعشق الدنيا أخى فناء   |
| وراحتها بمزوجة بمنى        | حلاوتها بمزوجة بمنى        |
| فانك من طمى خلقت ومنا      | فلا تمش يوما في ثياب مخيلة |
| وقل امرؤ يرضى له بقضاء (١) | لعلك تلقى امرؤك شاكرا      |

#### ( ٢ ) - الدنيا سراب

---

|                           |                        |
|---------------------------|------------------------|
| طالما سحبت خلفي الثيابا   | طالما حلا معاشي وطابا  |
| طالما ناهزت صحبي الشرابا  | طالما طارعت جهلي ولعبا |
| فرماني سهمه واصابا        | طالما كنت احب التهابا  |
| ايمن تبغي هل تريد السحابا | ايها الباني قصورا طوبا |

---

(١) الديوان ٢

انما انت بوادى الضباب  
ايها الباني لهدم الليالي  
أأمنت الموت والموت يأبى  
لو ترى الدنيا بعين بهيرة  
انما الدنيا كفى تولسى

ان رماك الموت فيه اصابا  
ابن ما شئت ستلقى خرابا  
بك والايام الا انقلابا  
انما الدنيا تحاكي المرابا  
وكما عاينت فيه الضبابا (١)

### (٣) - البيت الحق

جمعت من الدنيا وحزت ومنيئا  
وما لك مما يأكل الناس غير ما  
وما لك الا كل شيء جعلته  
وما لك مما يلبس الناس غير ما  
وجمعت ما لا ينبغي لك جمعه  
نفسى المني حتى اذا ما بلغت  
ايها صاحب الابهات قد اتخذت له

وما لك الا ما وهبت وامضيت  
اكلت من المال الحلال فافنيئا  
امامك لا شيء لغيرك ابقيت  
كسوت والا ما لبست فابليت  
وقصرت عما ينبغي وتوانيت  
سموت الى ما فوقها فتنيت  
ستبدل منها عاجلا في الشرى بيتا (٢)

### (٤) - عظة الفناء

نعي نفسي الى مر الليالي  
فما لي لست مشغولا بنفسي  
لقد ايقنت اني غير بـاق  
وما لي عبرة في ذكر قـدم  
ما قنع ما بقيت بقوت يـدم  
تعالى الله يا سلم بن عمرو  
هب الدنيا تساق اليك عـدم  
فما ترجو بشي لمن يبقـى  
وحقك كل ذا ينفى سرعـما

تصرفهن حالا بعد حال  
وما لي لا اخاف الموت ما لـبي  
ولكني اراني لا ابـالـبي  
تفانوا ربما خطرـوا ببـالـبي  
ولا ابغى مكاثرة ببـالـبي  
اذل الحرص اعناق الرجـال  
اليس صير ذاك الى السـوال  
وشيكما ما تغيره اللـيالـبي  
ولا شيء يدم مع اللـيالـبي (٣)

(١) الديوان ٢٨

(٢) الديوان ٤٦ - ٤٧

(٣) الديوان ٢٠٥ - ٢٠٧

## (٥) - اللذة المنغصة

نعم الموت كل لذة عيش  
عجبا انه اذا مات ميت  
حيثما وجه امرؤ ليفوت ال  
انما الشيب لاهن آدم ن  
من تمنى المنى فغرق فيها  
ما أكل العقل في اعين النسا  
انما تنظر العيون من النسا

م

يا لقومي للموت ما اوحياه  
صد عنه حبيبيه وجفياه  
موت فالموت واقف بحذاه  
قيام في عارضيه ثم نعياه  
ما قبل ان ينال منياه  
من لاقلاله وما اقمياه  
من الى من ترجوه او تخشاه (١)

## (٦) - خداع الدنيا

الا كل مولود فللموت يولد  
تجد من الدنيا فانك انما  
وافضل شيء نلت منها فانه  
وكم من عزيز اعقب الدهر غيرة  
فلا تحمد الدنيا ولكن ذمها

ولست ارى حيا لشيء يخلد  
سقط الى الدنيا وانت مجرد  
متاع قليل يضمحل وينفد  
فاصبح محروما وقد كان يحسد  
وما بال شيء ذمه الله يحمد (٢)

## (٧) - عيش للده

ركنا الى الدنيا الدنة ضلوة  
وانا لنرمي كل يوم بعبرة  
نسر بدار اورثتنا تفاغنا  
اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى  
اخي كن على يأمن من الناس كلهم

وكشفت الاطماع منا الماويها  
نراها لما تزداد الا تماويها  
عليها ودار اورثتنا تعاديها  
لقلب عريانا وان كان كاسيها  
جميعا وكن ما عشت لله راجيها (٣)

(١) الديوان ١١ - ١٢

(٢) الديوان ٧٤

(٣) الديوان ٢٩٩ - ٣٠١

## (٨) - ضلال المنس

كأنسي خلقت للبقاء مخلدا  
الى الموت الا ان يكون لمن ثوى  
حسنت المنس يا موت حسنا مبرحا  
ومزقتنا يا موت كل ممزق  
الا يا طويل السهر اصبحت ما هيا  
افسي كل يوم نحن تلقى جنازة  
وفي كل يوم منك نرثي لمعول  
الا ايها الباني لغير بلاغنة  
الا لزوال العمر اصبحت بانيسا  
كأنك قد وليت عن كل ما ترى

وان مدة الدنيا له ليس ثانيا  
من الخلق طرا حيثما كان لا قيا  
وعلمت يا موت البكاء البواكيا  
وعرقتنا يا موت منك الدواهي  
واصبحت مغترا واصبحت لاهيا  
وفي كل يوم منك نسمع ناديا  
وفي كل يوم نحن نسعد باليسا  
الا لخراب الدهر اصبحت بانيسا  
واصبحت مختالا فخورا مباهيا  
(١) وخلقت من خلقه عنك ساليا

## غدر الدهر

## (٩) - تقلب الدهر

وما الدهر يوما واحدا في اختلافه  
وما هو الا يوم يؤس وشدة  
وما كل ما لم ارج احرم نفعه  
ايا عجب الدهر لا بل لربيه  
وشتت ريب الدهر كل جماعدة  
اذا ما خليلي حل في برزخ البلى

وما كل ايام الفتي بسوا  
يوم سرور مرة وخرابا  
وما كل ما ارجوه اهل رجاء  
يخرم ريب الدهر كل اخاء  
وكدر ريب الدهر كل صفاء  
(٢) فحسبي به تأيا وبعد لقاء

## (١٠) - لثم الدهر

وانك يا زمان لذنو صروف  
وما لي لست احلب منك شطرا

وانك يا زمان لذنو انقلاب  
فاحمد منك عاقبة الحلاب



وما لي لا الح عليك ألا  
أراك وإن طلبت بكل وجه  
أو الأمل الذي وليّ ذهاباً  
وهذا الخلق منك على وفاء  
ومعد كل ذي عمل ومعي

بعثت الهمة لي من كل باب  
كحلسم النعم أو ظل السحاب  
وليس يعود أو لمع السراب  
وأرجلهم جميعاً في الركاب  
بما أسدى غداً دار الثواب (١)

### (١١) - عبر الدهر

المنايا تجوس كل البلاد  
لتتالن من قرون أراها  
هنا اثنين من مضي من نزار  
هل تذكرت من خلا من بني الأصفر م  
هل تذكرت من خلا من بني ساء  
أين داود أين سليمان  
راكب الريح قاهر الجن والأنس م  
أين نمرود وأبنه أين قنارو  
إن في ذكرهم لنا لأعتبرا  
وردوا كلهم حياض المنايا  
أيها المزعم الرحيل عن الدنيا م  
لتتالنك اللبالي وشيكها  
اتناسيت أم نسيت المنايا  
انسيت القبور أن انت فيها  
كيف الهو وكيف اسلو وانسى م  
أيها الواصلي سترقص وصلبي  
يا طویل الرقاد لو كنت تدري

والمنايا تبید كل العباد  
مثل ما نلتنا من نمرود وعاد  
هنا اثنين من مضي من أباد  
أهل القباب والأطواد  
سان أرباب فارس والسواد  
ن المنيع الأعراض والأجناد  
بسلطانه مدل الأعباد  
ن وهامان أين ذوالاوتاد  
ودليلا على سبيل الرشاد  
ثم لم يعدوا عن الأبراد  
تزود لذاك من خير زاد  
بالمنايا فكن على استعداد  
انسيت الفراق لـلاولاد ؟  
بين ذل ووحشة وانفـراد  
الموت والموت رائح ثم غاد  
عنه لو قد اذقت طعم افتقادي  
كنت ميت الرقاد حي السهاد (٢)

### (١٢) - ريب الدهر

لمن طليل أسائله  
غداة رأيته تنعم بي

معطله منازل  
أعاليه أسافل

وكنت اراه ما هولا  
وكل لا عتصاف الدهر  
وما من ملبسك الا  
فبصر من يعارعه  
ينازل من يهيم به  
واحيانا يوخره  
كذلك به اذا نزلت

ولكن بباد آهله  
معرضة مقاتله  
وريب الدهر شامله  
وينفضل من يناضله  
واحيانا يخالطه  
وتارات يعاجله  
على قوم كلاكله (١)

### جبروت الموت

#### (١٢) - لدوا للموت

لدو للموت وايندوا للخراب  
لمن نهنس ونحن الى تراب  
الا يا موت لم ار منك هدا  
كانك قد هجمت على مشيبي

فلكسهم يهيم الى تباب  
نصير كما خلقنا من تراب  
اتيت وما تحيف وما تحابي  
كما هجم المشيب على شبابي (٢)

#### (١٤) - المصير الحتم

انا نفسي دار تنغيص وتشكيد  
لقد عرفناك يا دنيا بمعرفة  
نرى الليالي والايام ممرعة  
جد الرحيل عن الدنيا وساكنها  
يا نفس للموت بي عين موكلعة  
ان كانت الدار ليست لي بباقية  
لم يكسب الدهر يوما من مسرتي  
ولي من الموت يوما (٣) لا دفاع له  
الحمد لله كل الخلق منتقم  
وكلما ولدته الواليدات السي

دار تنادي بها ايامها بيدي  
بانت لنا فانقصي ان شئت اوزيدي  
فينا وفيك بتفريق وتبعيد  
يرجو الخلود وما هي دار تخليد  
في كل وجه فروفي عنه اوحيد  
فما عنائي بتاسيس وتنشيد  
الا جرى منه مكروه بتجريد  
لو قد اتاني لقد ضلت اقاليدي  
مصرف بين خذلان وتأيد  
موت تؤديه ساعات المواليدي (٤)

(١) الديوان ٢٢٧ - ٢٢٨

(٢) الديوان ٢٣

(٣) واضح ان في الامر خطأ نسخيا ، فهي في اعتقادنا محرفة عن يوم ( لحالة الرفع )

(٤) الديوان ٨٤ - ٨٥

## (١٥) - نداء الموت

نار هذا الموت في الناس طرا  
 انما الدنيا بلاء وكـــــــد  
 ما استطاب العيش فيها حكيم  
 انت في دار ترى الموت فيها  
 ابت الدنيا على كل حـــــــي  
 انما تنفي الحياة النايـــــــب  
 ما ارى الدنيا على كل حـــــــي  
 بينما الانسان حي قـــــــوى  
 غير ان الموت شيء جليـــــــل  
 اى غيش دام فيها لـــــــحى  
 اى ملك كان فيها لقـــــــم  
 انما داعي المنايا يـــــــادى

كل يوم نزيد التهــــابا  
 واكتساب قد يســــوق اكتسابا  
 لا ولا دام له ما استطابا  
 مستشيطا قد ازل الرقابا  
 آخر الايام الا ذهابا  
 مثلما يتفي المشيب الشبابا  
 ما لها الا اذى وعدا بــــا  
 اذ دعاه يومه فاجابــــا  
 يترك الدور خرابا يبابــــا  
 اى حي مات فيها قآبــــا  
 قبلنا لم يسلبوه استلابا  
 احملوا الزاد وشردوا الركابا (١)

## (١٦) - بداية النهاية

يعزّ د فاع الموت عن كل حيلة  
 ونفس الفتى مسرورة بنائها  
 وكس من مقدى مات لم يرأهله  
 امامك يا نومان دار سعادة  
 خلقت لاحدى الغائتين فلا تنس  
 وفي الناس شر لو بددا ما تعاشرنا

ويعيا بداء الموت كل دواء  
 وللنقص تتموكل ذات نماء  
 حبه ولا جادوا له بغــــداء  
 يدم النما فيها ودار شقاء  
 وكن بين خوف منهما ورجاء  
 ولكن كساء الله ثوب غطاء (٢)

## (١٧) - رهبة الحساب

تقلدت العظام من البرابــــا  
 وبها دمت في الدنيا حريــــبا  
 سأسأل عن امورك كنت فيــــبا  
 باية حجة احتج يــــم

كأنني قد امننت من العقاب  
 فاني لا اتيق الى الصواب  
 فما عذرى هناك وما جوابــــي  
 الحساب اذا دعيت الى الحساب

كتابي حين انظر في كتابي  
واما ان اخلد في عذابي (١)

هما امران يوضح عنهما لي  
فاما ان اخلد في نعيم

### ضلال الانسان

#### (١٨) - العبرة الخالدة

فكان فيهن الصاب والسلع  
ولا على ما ولى به جزع  
قلمي بقم فما ترى صنعوا  
كان لهم والايمان والجموع  
شيئا من الثروة التي جمعوا  
اعظم نفعاً من الذى ودعوا  
هول حساب عليه يجتمعوا (٢)  
ويحصد الزارعون ما زرعوا (٣)

لقد حلت الزمان اشطره  
ما لي بما قد اتى به فزع  
لله در الدنى لقد لعبت  
بادوا ووفتهم الالهة ما  
اثروا فلم يدخلوا قبورهم  
وكان ما قدموا لانفسهم  
غدا يُنادى من القبور السي  
غدا تُوقى النفوس ما كسبت

#### (١٩) - الرحلة الكبرى

تدرى وتعاك حين تطلّع  
حتى متى انت بالصبا ولّع  
بادوا جميعاً وما باد ما جمعوا  
قلمي الى التراب ما الذى صنعوا  
بؤساً لهم اى موقع وقعوا  
الدنيا فعنها بالموت ينقطع (٤)

الشمس تنعاك حين تغرب لسو  
حتى متى انت لالعاب اشعر  
ان الملوك الاولى مضوا سلفاً  
يا ليت شعري عن الذين مضوا  
بؤساً لهم اى منزل نزلوا  
الحمد لله كل من سكن

(١) الديوان ٢٤

(٢) ظاهر في ذلك اللحن ، ولا نستبعد ان تكون تحريفاً عن " يجتمع " المضارع المجهول

(٣) الديوان ١٥٩ - ١٦٠

(٤) الديوان ١٤٨

## (٢٠) - عز القناعة

حتى متى يستفزني الطمع  
ما افضل الصبر والقناعة  
واخذع الليل والنهار لا قوام  
اما المنايا فغير غافلة  
اي لبيب تصفو الحياة لـه

أليس لي بالكفاف متسع  
للناس جميعا لو انهم قنعوا  
اراهم في الغي قد رتعوا  
لكل حي من كآسها جرع  
والموت ورد له منتجع (١)

## (٢١) - الحرص القاتل

الحرص لم وشله الطمع  
لوقنع الناس بالكفاف اذا  
للمرء فيما يقيمه سعنة  
يا حالب الدهر دهر اشطره  
يا عجباً لامرء يخادعه  
الناس في زرع نسلهم ويسد  
ما شرف المرء كالقناعة  
لم يزل القانعون اشرفنا  
للمرء في كل طرفة حـدث  
من ضاق بالصرع مصيبتـه

ما اجتمع الحرص قط والسورع  
لا تسعوا في الذئب قنعوا  
لكنه ما يريد ما يسع  
هل لك في ما حلت منتفع  
الساعات عن نفسه فينخدع  
الموت بها حصد كل ما زرعوا  
والصبر على كل حادث يقع  
يا حبذا القانعون ما قنعوا  
يذهب منه ما ليس يرتجع  
ضاق ولم يتسع لها الجزع (٢)

## (٢٢) - عظة الايام

رضيت لنفسك سؤاتك  
فحسنت اقبح اعمالك  
وكم من سبيل لاهل الصبا  
راى الدواعي دواعي الهوى

ولم تأل حبا لمرضاك  
وصعرت اكبر زلاتك  
سلكت بهم عن بنياتك  
تطلعت عنها لا فاتك

(١) الديوان ١٥٦

(٢) الديوان ١٤٧ - ١٤٨

وای الفخاض لم تأتـ  
 على ذاك في بعض غراتـ  
 تداعي بزنة اهواتـ  
 يبارق نفسك ساعاتـ  
 على العالمين لمقاتـ  
 واهوالها ثم روعاتـ  
 وایامها وعلاماتـ  
 اذا سحرتـ بلذاتـ  
 ولا نتعرف حالاتـ  
 تردد فينا بآفاتـ  
 فيعتبرون بامواتـ

لورأى الناس نبيا  
انت ما استغيت عن  
ناذا احتوت اليه

لله در ابیک ای زبــــــــــــــــان  
کل یوازیک الموده دائبــــــــــــــــا  
ناذا رأی رجحان حبه خرد ل

اصبحت فیه وای اهل زمان  
یعطي ویاخذ منک بالمیزان  
مالت مودته مع الرجحــــــــــــــــان (۳)

المرو منظور اليه  
من كنت تبغي ان تكون  
فاذل له ما في يديك

ما دام يرجي ما لديه  
الدهر ذا فضل عليه  
وغش عما في يدي

(٤)

- (١) الديوان ٥٥ - ٥٦  
(٢) الديوان ٢١٥  
(٣) الديوان ٢٦٠ - ٢٦١  
(٤) الديوان ٢٨٥

## (٢٦) - نعمة الفساد

يا خليلي لا اذم زفاني  
لست احصي كم من اخ كان لي  
لم اجد موافيا فتصدقت  
ليت حظي منه ومن مثله ان  
احمد الله كيف قد فسد الناس

غير اني اذم اهل زمانني  
منهم قليل الوفاء حلوا اللسان  
بحظي منه على الشيطان  
لا تراه عيني وان لا يراني  
وقل الوفاء في الاخوان (١)

## (٢٧) - التيه من الجهل

حتى متى ذوالتيه في تيهه  
يتيه اهل التيه من جهلهم  
من طلب العز ليقبى به  
لم يعتصم بالله من خلقه

اصحبه الله وعافاه  
وهم يموتون وان تاهوا  
فان عز المرء تقواه  
من ليس يرجوه ويخشاه (٢)

## (٢٨) - حياتان

عمر الفتى ذكره لا طول مدته  
فاحي ذكرك بالاحسان تفعله

وموته خزيه لا يومه الداني  
يكن كذلك في الدنيا حياتان (٣)

## (٢٩) - خاتمة المطاف

رغيف خبز يا بهيم  
وكوز ماء بهيم  
وغرفة ضيقة بهيم  
او مسجد بهيم  
تدريس في بهيم  
معتبرا بهيم

تأكله في زاوية  
تشربه من صافية  
نفسك فيها خالية  
عن السورى في ناحية  
مستندا بهيم  
من القرون الخالية

(١) الديوان ٢٦٠

(٢) الديوان ١٢

(٣) الديوان ٢٥٦

|                    |                       |
|--------------------|-----------------------|
| خير من الساعات فسي | فسي القصور العاليتين  |
| تعقبها عقوبة       | تخلي بنار حاميتين     |
| فهذه وصيتي         | مخبرة بحاليتين        |
| طوبى لمن يسمعه     | تلك لعمري كافيته      |
| فاسمع لنصح مشفق    | يدعي ابا العنايين (١) |

### نعممة التقوى

#### (٣٠) - زاد التقوى

|                   |                      |
|-------------------|----------------------|
| اذن حسي تصممي     | اسمعي نسم عسي وعسي   |
| انا رهن بمضجعي    | فاخذري مثل مصرعي     |
| عشت تسعين حجة     | في ديسار التزعزع     |
| ليس زاد سوى التقى | فخذى منه او دعني (٢) |

#### (٣١) - القصد والزهد

|                        |                               |
|------------------------|-------------------------------|
| ان القريرة عينه عبيد   | خشى الآله وعيشه قصيد          |
| عبد قليل النوم مجتهد   | لله كل فعالة رشيد             |
| نزّه عن الدنيا واطلها  | لا عرض يشغله ولا نقيد         |
| حذر خمسي الكدار مديته  | ما ان له في غيرها وكيد        |
| مستجمل في الله محتقر   | هزل المخافة عنده جدي          |
| متذل لله مرتقبي        | ما ليس من اتيانه بيدي         |
| رفض الحياة على حلاوتها | واختار ما فيه له الخليد       |
| يكفيه ما بلغ المحل به  | لا يشتكي ان نابه جهدي         |
| فاشد يدك ان ظفرت به    | ما العيش الا القصد والزهد (٣) |

(١) الديوان ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢) الديوان ١٦٠

(٣) الديوان ٧٩ - ٨٠



## ( ٣٢ ) - صفوة المنبسون

اتقي الله بحمدك  
ايها العبد الى كم  
كم وكم عاهدت --- ولا  
اعط مولاك كما تطلب  
م

ناهدا او بعض جهـدك  
تشتري النبي برشدك  
ك فلم توف بعهدك  
من طاعة ربك (١)

## ( ٣٣ ) - حسبك الله

الا الى الله تعبير الامور  
ان امرا يصفو له عيشه  
نحن بنوا الارض وسكانها  
لا والذي امسيت عبدا له  
حتى متى انت حريم على  
اذا عرفت الله فاقنع به  
تبارك الله وسبحانه

ما انت يا دنياى الا غرور  
تفانل عما تجن القبور  
منها خلقنا واليهـا نصير  
ما دام في الدنيا لحي سرور  
كثير ما يكفبك عنه اليسير  
فعندك الحظ الجزيل الكثير  
من جهل الله فذاك الفقير (٢)

## ( ٣٤ ) - يرى ولا يرى

لا رب ارجوه لي سواك  
انت الذى لم تنزل خفيـا  
ان انت لم تهدنا ظلمنا  
احط علما بجميعنا

ان لم يخيب سعي من رجاك  
لم يبلغ الوهم منتهاك  
يا رب ان الهدى هداك  
انت ترانا ولا تراكنا (٣)

## ( ٣٥ ) - البلاء الجميل

تمالى الواحد الصمد الجليل  
هو الملك العزيز وكل شيء  
وما من مذهب الا اليه

وحاشى ان يكون له عديل  
سواء فهو منتقص ذليل  
وان سبيله له والسبيل

(١) الديوان ٨٦

(٢) الديوان ١١٧ - ١١٨

(٣) الديوان ١٨١ - ١٨٢

وان له لمنّا ليس حصص  
وان عطاءه عدل علينا  
وكل مفوّه اثنى عليه  
ايا من قد تهاون بالعنايا  
الم تر انما الدنيا غرور  
وان عطاءه لهو الجزيل  
وكل بلائه حسن جميل  
ليبلغه فنحصر كلليل  
ومن قد غره الامل الطويل  
وان مقامنا فيها قليل (١)

### (٣٦) - سقيت قبور الصالحين

ما ذا يفوز الصالحون به  
لولا بقايا الصالحين غدا  
سبحان من سقت مشيتهم  
سقيت قبور الصالحين ديم  
ما كان اثبتهم لنا ورميم  
وقضى بذاك لنفسه وحكم (٢)

### (٣٧) - فخر النفس

يا رب يا ذا العرش انت حكم  
فيا رب هب لي من لدنك حلما فاني  
الا ان تقوى الله اكبر نسبة  
اذا ما اجتنبت الناس الا على التقى  
اراك امرا ترجو من الله غفوه  
فحنى متى يعضى ويعفو الى متى  
وانت بما تخفى الصدور عليهم  
ارى الحليم لم يندم عليه حليم  
تسامى بها عند الفخار كريم  
خرجت من الدنيا وانت سليم  
وانت على ما لا يحسب مقيم  
تبارك ربي انه لرحيم (٣)

### (٣٨) - اليه المصير

الا اننا كلنا بائس  
وبدوهم كان من ربهم  
فيا عجباً كيف يعصي الاله  
والله في كل تحريكه  
وفي كل شيء له آية  
واى بنى آدم خالده  
وكل الى ربه عائد  
ام كيف يجوده الجاحد  
وفي كل تمكينه شاهده  
تدل على انه الواحد (٤)

(١) الديوان ٢٠١ - ٢٠٢

(٢) الديوان ٢٣٧ - ٢٣٨

(٣) الديوان ٢٤١ - ٢٤٢

(٤) الديوان ٦٩ - ٧٠

## (٣٩) - القريب البعيد

لك الحمد يا ذا العرش يا خير معبود  
شهدنا لك اللهم ان لست محدثا  
وانك معروف ولست بموصوف  
وانك رب لا تزال ولم تزل

ويا خير مسؤول ويا خير محمود  
ولكنك المولى ولست بمجود  
وانك موجود ولست بمجدود  
قريبا بعيدا غائبا غير مقفود (١)

## (٤٠) - سبحان ربك

سبحان ربك ما اراك تتسبب  
سبحان ربك ذي الجلال اما ترى  
سبحان ربك كيف يغلبك الهوى  
سبحان ربك ما تزال وفيك عن  
سبحان ربك كيف يلتذ امره

والراس منك بشبيه مخسب  
نوب الزمان عليك كيف تسبب  
سبحانه ان الهوى لغلب  
اصلاح نفسك فترة ونكسب  
بالعيش وهو بنفسه مطلب (٢)

## (٤١) - توبه

سبحان علام الغيوب  
تعزى فروع الانس بي  
حتى متى يا نفس تغتر  
يا نفس تومي قبل ان  
واستغفرى لذنوبك  
اما الحوادث فالله  
والموت خلق واحد  
والسعي في طلب النقي  
ولقل ما ينجو الفتى

عجبا لتصرف الخطوب  
وتجتبي ثمر القلوب  
ين بالامل الكذوب  
لا تستطيعي ان تومي  
الرحمان غفار الذنوب  
بهن دائمة الهبوب  
والخلق مختلف الفروب  
من خير مكتسب الكموب  
المحمود من لطف العيوب (٣)

(١) الديوان ٢٠

(٢) الديوان ٢٢

(٣) الديوان ٣١

## (٤٢) - استغفار

الهمسي لا تعذبني فانس  
وما لي حيلة إلا رجائي  
فكم من زلة لي في البرايا  
إذا فكرت في قدومي عليها  
يظن الناس بي خيرا وانسي  
اجن بزهرة الدنيا جنونا  
وبين يدي محتبس ثقيلا  
لو اني صدقت الزهد فيها

مقربا لذى قد كان منسي  
وعفوك ان عفوت وحمي ظني  
وانت علي ذو فضل ومن  
عضضت انا لمسي وقرعت سنسي  
لشر الناس ان لم تعرف عنسي  
وانسي العمر فيها بالتعني  
كأنني قد دعيت له كأنسي  
قلبت لاهلها ظهرا المجهن (١)

x x x x  
x x  
x

### مصادر البحث ومراجعته

افتضنا الامانة للعلم ان نورد اسماء جميع الكتب التي كانت لنا ذات عون في هذا البحث . واذا كان بينها ما لم يشر اليه قبل الآن في هوامش البحث ، فلانه لم يكن اكثر من مرشد الى مصادر او مراجع اعتمدنا عليها ، او كان ذا صبغة عامة لا يتميز بها وحده كأن يورخ للعصر مثلا .

x x x x

x

### المصادر

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - الابشيهي ، شهاب الدين احمد ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، دار الطباعة ببولاق ، القاهرة ١٢٧٢ هـ .
- ٣ - ابن ابي الحديد ، عز الدين ، شرح نهج البلاغة ، ج ٤ ، مطبعة دار الكتب العربية ، القاهرة ١٣٢١ هـ .
- ٤ - ابن ابي اصيبعة ، ابو العباس احمد ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج ١ ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٨٨٢ هـ .
- ٥ - ابن ابي يعقوب ، احمد ، ( ابن واضح ) ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، مطبعة الغربى ، النجف ١٣٥٨ هـ .
- ٦ - ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ليدن ١٨٧١ .
- ٧ - ابن الجوزى ، ابو الفرج عبد الرحمن ، مناقب الامام احمد بن حنبل ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ٨ - ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، المطبعة الادبية ، بيروت ١٨٧٩ .
- ٩ - ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٨ / ١٩٥٠ .

- ١٠ - ابن ابي سلمى ، زهير ، الديوان ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٤ .
- ١١ - ابن ابي الصلت ، امية ، الديوان ، المطبعة الوطنية ، بيروت ١٩٣٤ .
- ١٢ - ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد ، العقد الفريد ، ج ٣ ، ٤ ، ٦ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٠ / ١٩٤٩ .
- ١٣ - ابن قتيبة ، ابو عبدالله محمد بن مسلم ، تأويل مختلف الحديث ، مطبعة كردستان العلمية ، القاهرة ١٣٣٦ هـ .
- ١٤ - ابن قتيبة ، ابو عبدالله محمد بن مسلم ، الشعر والشعراء ، ج ٢ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٦٦ هـ .
- ١٥ - ابن قتيبة ، ابو عبدالله محمد بن مسلم ، عيون الاخبار ، ج ١ ، ٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٥ / ١٩٣٠ .
- ١٦ - ابن قتيبة ، ابو عبدالله محمد بن مسلم ، المعارف ، غوتنغن ١٨٥٠ .
- ١٧ - ابن قتيبة ، عمرو ، الديوان ، مطبعة جامعة كايمبرج ، كايمبرج ١٩١٩ .
- ١٨ - ابن قيس الجوزية ، محمد بن ابي بكر ، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ، ج ٢ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
- ١٩ - ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ، البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٠ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٨ / ١٣٥٨ هـ .
- ٢٠ - ابن المعتز ، ابو العباس عبدالله ، طبقات الشعراء ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٦ .
- ٢١ - ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، مادة : شعب .
- ٢٢ - ابن نباتة ، ابو بكر محمد ، شرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ، المطبعة الميرية ، القاهرة ١٢٧٨ هـ .
- ٢٣ - ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحق ، الفهرست ، ليسينج ١٨٧١ / ١٨٧٢ .
- ٢٤ - ابو العتاهية ، الانوار الزاهية في ديوان ابي العتاهية ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٨٦ .
- ٢٥ - الاصمهباني ، الراغب ابن محمد القاسم حسين ، محاضرات الادباء ومحاورات البلغاء والشعراء ، ج ١ ، مطبعة المولحي ، القاهرة ١٢٨٧ هـ .
- ٢٦ - الاصطخرى ، ابو اسحق ابراهيم ، مسالك الممالك ، ليدن ١٩٢٧ .
- ٢٧ - الاصمهباني ، ابو الفرج ، الاغانى ، ج ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١٢ ( دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٢٧ / ١٩٥٠ ) ج ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ( بولاق ، القاهرة - ١٢٨٥ هـ ) .

- ٢٨ - البحتري ، ابو عبادة الوليد بن عبيد ، الحماسة ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٩٢٩ .
- ٢٩ - البخارى ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ، صحيح البخارى ، ج ٧ ، دار الطباعة ، القاهرة ١٣١٥ هـ .
- ٣٠ - البغدادى ، ابو منصور عبد القاهر ، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، ١٩١٠ . ج ٤ ، ق ٢ .
- ٣١ - البلاذرى ، احمد بن يحيى ، انساب الاشراف ، مطبعة الجامعة العبرية ، القدس ١٩٣٨ .
- ٣٢ - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨ / ١٩٥٠ .
- ٣٣ - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، التاج في اخلاق الملوك ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩١٤ .
- ٣٤ - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، ج ٢ ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٨ .
- ٣٥ - الحصرى ، ابو اسحق ابراهيم بن علي ، زهر الآداب وثمر الالباب ، ج ٢ ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٩٢٥ .
- ٣٦ - الحنبلي ، ابن العماد ابو الفلاح عبد الحسي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج ٢ ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ٣٧ - الخطيب البغدادي ، احمد بن علي ، تاريخ بغداد او مدينة السلام ، ج ١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣١ .
- ٣٨ - الدميرى ، كمال الدين محمد بن موسى ، حياة الحيوان الكبرى ، ج ١ ، المطبعة الميمنية ، القاهرة ١٣٠٥ هـ .
- ٣٩ - السبكى ، عبد الوهاب ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٣ ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
- ٤٠ - السراج ، ابو نصر عبد الله ، اللمع في التصوف ، ليدن ١٩١٤ .
- ٤١ - الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، ج ١ ، ٢ ، مطبعة حجازى ، القاهرة ١٩٤٨ / ١٩٤٩ .
- ٤٢ - الطبرى ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ١٠ ، ١١ ، ليدن ١٨٧٩ / ١٩٠١ .
- ٤٣ - العباسي ، ابو الفتح عبد الرحيم ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، ج ٢ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٧ .

- ٤٤ - القشيري ، ابو القاسم عبد الكريم ، الرسالة القشيرية ، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ، القاهرة ١٣٣٠ هـ .
- ٤٥ - القلقشندي ، ابو العباس احمد ، صبح الاعشى ، ج ٢ ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩١٣ .
- ٤٦ - الكبسي ، محمد بن شاكر بن احمد ، فوات الوفيات ، ج ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥١ .
- ٤٧ - المرزباني ، ابو عبيد الله محمد بن عمران ، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .
- ٤٨ - المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٦ ، ٧ ، ٨ ، المطبعة الوطنية ، باريس ١٨٦١ / ١٨٧٦ .
- ٤٩ - المعري ، ابو العلاء احمد ، لزوم ما لا يلزم ، ج ١ ، مطبعة التوفيق ، القاهرة ١٩٢٤ .
- ٥٠ - المقدسي ، شمس الدين احمد ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ١٩٠٦ .
- ٥١ - النواجي ، شمس الدين محمد بن الحسن ، حلبة الكييت في الادب والنوادر المتعلقة بالخمريات ، مطبعة ادارة الوطن ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- ٥٢ - الوشاء ، ابو الطيب محمد ، الموشى ، ج ٢ ، ليدن ١٣٠٢ هـ .
- ٥٣ - اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن اسعد ، مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ج ٢ ، مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد ، حيدرآباد ١٣٣٨ هـ .
- ٥٤ - ياقوت الرومي ، شهاب الدين ، معجم الادباء ، ج ١ ، ٤ ، ١١ ، مطبعة دار المأمون ، القاهرة ١٩٣٦ / ١٩٣٨ .
- ٥٥ - ياقوت الرومي ، شهاب الدين ، معجم البلدان ، ج ١ ، ٣ ، ليسينغ ١٨٦٦ / ١٨٧٠ .

### المراجعــــــــــــــــع

- ١ - امين ، احمد ، ومحمود ، زكي نجيب ، قصة الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٩ .
- ٢ - امين ، احمد ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ( الطبعة الرابعة ١٩٤٦ ) وج ٣ ( الطبعة الرابعة ١٩٤٩ ) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .
- ٣ - بدوي ، عبد الرحمن ، من تاريخ الالحاد في الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٥ .



- ٤ - برانق ، محمد احمد ، ابوالعتاهية ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ٥ - البستاني ، فؤاد افرام ، الروائع عدد ١٠ ، ابوالعتاهية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٧ .
- ٦ - جار الله ، زهدى حسن ، المعتزلة ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ٧ - جبور ، جبرائيل ، ابن عبد ربه وعقده ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٣ .
- ٨ - جبور ، جبرائيل ، عمر ابن ابي ربيعة ، ج ١ ( عصر ابن ابي ربيعة ) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٥ .
- ٩ - حتي ، فيليب وجرجي ادورد ، وجبور جبرائيل ، تاريخ العرب ، ج ٢ ( مطول ) بيروت ، مطبعة الكشف ، ١٩٥٣ .
- ١٠ - حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ٢ ، مطبعة الشبيكسي ، القاهرة ١٩٤٨ .
- ١١ - خلف الله ، محمد ، دراسات في الادب الاسلامي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ١٢ - دى بورا ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي ابوريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ١٣ - زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ج ٢ ( طبعة سنة ١٩٤٧ ) ج ٣ ( طبعة سنة ١٩٣١ ) ، مطبعة الهلال ، القاهرة .
- ١٤ - شريف ، محمد بديع ، الصراع بين الموالي والعرب ، دار الكاتب العربي بمصر ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ١٥ - الصعدي ، عبد المتعال ، ابوالعتاهية الشاعر العالمي ، مطبعة الشرق الاسلامية ، القاهرة ١٩٣٩ .
- ١٦ - عبد النور ، جبور ، التصوف عند العرب ، بيروت ١٩٣٨ .
- ١٧ - العقاد ، عباس محمود ، الفلسفة القرآنية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ١٨ - العمر ، قدرى ، من الادب ، ج ١ ، دمشق ٢ سنة ٢ .
- ١٩ - فروخ ، عمر ، التصوف في الاسلام ، مطبعة الكشف ، بيروت ١٩٤٧ .
- ٢٠ - كريم ، فون ، الحضارة الاسلامية ومدى تأثيرها بالموثرات الاجنبية ، ترجمة الدكتور مصطفى طه بدر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧ .

- ٢١ - لا يوم ، جول ، تفصيل آيات القرآن الحكيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،  
( ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ) ، مصر ١٩٢٤ .
- ٢٢ - مبارك ، زكي ، التصوف الاسلامي ، ج ١ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٣٨ .
- ٢٣ - المقدسي ، انيس ، امراء الشعر في العصر العباسي ، المطبعة الاميركانية ،  
بيروت ١٩٤٦ .
- ٢٤ - نيكولسون ، رينولد ، في التصوف الاسلامي وتاريخه ، مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر ، ( ترجمة " ابو العلا عفيفي " ) ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ٢٥ - الوهابي ، خلدون ، مراجع وتراجم الادباء العرب ( مادة : ابو العتاهية ) ،  
الشركة الاسلامية للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٥٦ .
- ٢٦ - اليازجي ، كمال ، معالم الفكر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٤ .

#### المنشورات الدورية

- ١ - عباس ، عبد الحلیم ، " ابو العتاهية " ، مجلة الرسالة ، صفحة ١٣٠٦ ، العدد  
٥٧ ، سنة ١٩٣٤ .
- ٢ - النابلسي ، سليمان فارس ، " التصوف الاسلامي " ، مجلة الرسالة ، صفحة  
٩٨ ، العدد ٨١ ، سنة ١٩٣٥ .

#### المراجع الاجنبية :

- 1°/ Brockelmann, Carl , Geschichte der Arabischen Litteratur,  
V. 1., Weimar , 1899 ( Abul Atahiya ) -
- 2°/ Brockelmann, Carl , Geschichte der Arabischen Litteratur ,  
Sup. V. 1. Leiden , 1937 ( Abul Atahiya ) -
- 3°/ Encyclopaedia Britannica , , " Sufism " ( Anonymous ) -
- 4°/ Oestrup , J., " Ab'ul-'Atahiya " , The Encyclopaedia of Islam .
- 5°/ Nicholson , R., " Ascetism-Muslām " , Encyclopaedia of Religion  
and Ethics .
- 6°/ Nicholson, Reynold , A Literary History of the Arabs ,  
The University Press , Cambridge 1953.

## الفهرست

|     |  |
|-----|--|
| ١   | الباب الاول - ( ابو العتاهية واحوال عصره )             |
| ١   | الفصل الاول - عوامل التطور في الحياة العباسية          |
| ١٣  | الفصل الثاني - مظاهر التطور في الحياة العباسية         |
| ٣٦  | الردة الروحية  |
| ٤٤  | الفصل الثالث - ابو العتاهية : معالم شخصية              |
| ٤٤  | نسبه ونشأته  |
| ٤٦  | استقامته   |
| ٤٨  | عقيدته   |
| ٥٤  | شعره وشاعريته  |
| ٥٨  | حياته  |
| ٦٦  | زهده وآخر امره   |
| ٦٧  | وفاته  |
| ٧١  | الباب الثاني - ( معالم الزهد في شعراي العتاهية )       |
| ٧١  | الفصل الاول - الزهد قبل ابي العتاهية                   |
| ٧١  | النزعة الزهدية قبل الاسلام                             |
| ٧٦  | النزعة الزهدية في صدر الاسلام                          |
| ٧٩  | تأثير النزعة الزهدية بالتصوف الدخيل                    |
| ٨٢  | الفصل الثاني - مفاصد المجتمع العباسي في شعراي العتاهية |
| ٩٩  | الفصل الثالث - الحياة والموت في شعراي العتاهية         |
| ١٢٦ | الفصل الرابع - ختام القول في زهد ابي العتاهية          |
| ١٤٦ | الباب الثالث - ( مختارات من زهديات ابي العتاهية )      |
| ١٦٢ | مصادر البحث ومراجعته                                   |